

الطبعة الثالثة

بارزان

وحركة الوعي القومي الكردي

1914-1826

أيوب بابو بارزاني

دار نشر حقائق المشرق - جنيف

Editions Orient-Réalités-Genève





بارزان

وحركة الوعي القومي الكردي

1914-1826

أيوب بابو بارزاني

الطبعة الأولى: 1980
الطبعة الثانية: 2018
الطبعة الثالثة منقحة ومصححة ومزودة: 2023
EAN: 9782940325054
ISBN: 978-2-940325-05-4

العنوان البريدي والالكتروني
Email: shilo@genevalink.ch
Editions Orient-Réalités-Genève
P.O.BOX: 1477
1211 Geneva 1
Switzerland

جميع حقوق الطبع محفوظة

شكر وتقدير

أتقدم ايضاً بالشكر الجزيل لأبي برشك (فلك الدين كاكائي) لملاحظاته القيمة السديدة وتقويمه عبارات في الكتاب عند مراجعته المستفيضة، وللسيد عبد الوحيد إبراهيم (حفيد الشيخ الشهيد عبد السلام بارزاني) الذي انتفعت بالكثير من معلوماته، وللسيد جهاد إسماعيل بارزاني (حفيد الشيخ الآخر) وللسيد مسعود البرزنجي اللذين ساعداني في استنساخ مسودات الكتاب.

أتقدم ايضاً بالشكر العميق لأولئك الجنود المجهولين الذين أثقلت عليهم باستجواباتي ولجأتي في استخلاص المعلومات الفريدة منهم ومعظمهم قد طعن في السن كالسادة (زبير راسعيني)، (وسمان قورتاس هسني)، والاخوين (حسكو وجرخو ماميسكي)، (محمد قورتاس ليريري)، (مامد كانياديري)، (ملا جعفر بارزاني)، (محو هادي هرنى)، (محمد خاب بيبي)، (مين ملا عبزید) و (السيد صالح محمود بارزاني).



الفهرست

شكر وتقدير	
مقدمة الكتاب	1
لمحة تاريخية تمهيدية	11

الفصل الأول

نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية	29
- امارة سوران	29
- امارة بادينان	30
- الاقتصاد القبلي والضرائب الحكومية	34
- مقاطعة بهرؤزو بارزان	38
- بارزان	42
- مسجد بارزان	44

الفصل الثاني

الرابطه القبائليه والتبعية المشيخة	49
--	----

الفصل الثالث

الشيخ عبد الرحمن وتأسيس المشيخة	53
---------------------------------------	----

الفصل الرابع

الشيخ عبد السلام	57
------------------------	----

الفصل الخامس

عقرة- مركز الزيبار التجارى والحركة الصوفية	61
--	----

الفصل السادس

- 65..... الشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام (اول المشيخة)
- 65..... - الشيخ محمد مرشدا
- 66..... - سكنة قرية بارزان
- 67..... - الشكوى
- 69..... - الفرار
- 70..... - الهجوم المسلح
- 71..... - التجنيد الإجباري

الفصل السابع

- 73..... فتاح آغا هرني

الفصل الثامن

- 77..... سلطان آغا بيروسيافى رئيس الشيروانيين وابنه احمد

الفصل التاسع

- 79..... الاتفاق على إسقاط فتاح آغا

الفصل العاشر

- 83..... الشيروانيون

الفصل الحادي عشر

- 85..... احول المريدين والأنصار

الفصل الثاني عشر

- 89..... المشيخة والجيران

الفصل الثالث عشر

- 95..... النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

الفصل الرابع عشر

103 الاشتباكات في كهلات وبجيل

الفصل الخامس عشر

107 الحلف ضد بارزان وعودة النفوذ لآغوات الزيبار

الفصل السادس عشر

111 بعد السجن

111 العودة -

112 تبلور الصراع -

الفصل السابع عشر

115 قوات الحلف تغزو بارزان

الفصل الثامن عشر

119 الخلاف بين أطراف الحلف الشمديني وانتفاضة 1895

120 انتفاضة 1895

الفصل التاسع عشر

125 تجدد القتال -

125 مناوشات منگورة -

126 انقسام في الكردين -

الفصل العشرون

129 مرحلة الاستقرار - أيام الشيخ محمد الأخيرة

الفصل الحادي والعشرون

133 عصر الشيخ عبد السلام الثاني - اليقظة الوطنية الكردية

133 - احوال الدولة العثمانية

- يقظة الطبقة الكردية المثقفة 136
- خلافة عبد السلام 139

الفصل الثاني والعشرون

- بروز شخصية عبد السلام 147

الفصل الثالث والعشرون

- الصراعات مع الجيران 151
- عود الى أغوات الزيار 151
- مع شيخ نهري 152
- الروابط مع مشيخة بجيل 152

الفصل الرابع والعشرون

- نهاية فترة الهدوء والاستقرار 159
- جفاء مع الحكومة والاغوات 159
- مضمون المذكرة 161

الفصل الخامس والعشرون

- معركة بيرس الاولى - خريف العام 1908 169
- الصفحة الاولى من المعركة 169
- الصفحة الثانية 171
- من ذيول الحملة - بطولة حاجك جهمی 173
- تمركز الجيش في المنطقة 174

الفصل السادس والعشرون

- ايام الاختفاء 177

الفصل السابع والعشرون

- معركة سهريّ باز 1909 181

الفصل الثامن والعشرون

الانتصاف من الإقطاعيين 187

الفصل التاسع والعشرون

سياسة السلطة الجديدة تجاه المشيخة 193

- المفاوضات 193

- تطلعات الشيخ الوطنية 196

الفصل الثلاثون

الغيوم تتجمع 201

أصدقاء الشيخ وقت المحنة 206

الفصل الحادي والثلاثون

تجدد القتال 207

معركة بله 208

الفصل الثاني والثلاثون

النزوح الى إيران 213

الفصل الثالث والثلاثون

الشيخ في ميدان السياسة 221

الفصل الرابع والثلاثون

خاتمة المطاف 227

تجدد الاشتباكات في بارزان 230

الفصل الخامس والثلاثون

محاكمة الشيخ عبد السلام واعدامه الحياة 233

243 الملحق

الملحق الأول

245 في العمارة البارزانية.

الملحق الثاني

249 ملحمة قمرى وترجمتها

249 ملخص للملحمة

الملحق الثالث

263 القصيدة الدينية

263 تعريف بالقصيدة

279 ملحق صور وخرائط

المقدمة

بعد مضي 43 عاما من صدور هذا الكتاب أرى لزاما ابداء بعض الملاحظات، استجابة لما توفرت من معلومات جديدة كنا نجهلها آنذاك، أميط عنها الخطر في تركيا بحذر مدروس في العقود الثلاث المنصرمة، وجاء هذا نتيجة تجدد نضال الشعب الكردي بقيادة حزب العمال الكردستاني والتغيرات الجيوسياسية التي عصفت بمنطقة الشرق الأوسط والعالم.

لابد من الإشارة الى انهاء أربع أطروحات لنيل شهادة الدكتوراه تتعلق بالقضية الكردية، فقد سُمح للطلاب باستخدام الأرشيف العثماني في أبحاثهم، وهذا ما ساعدني على اثراء الكتاب بمعلومات إضافية تاريخية هامة واعادة طبعه. وفيما عدا أطروحة اولو غانا سادات باللغة الفرنسية، الاطروحات الثلاث الأخرى هي باللغة الإنكليزية، والكتب هي التالية:

- 1 - ULUGANA SEDAT Vilayet De Bitlis Durant La Période Jeunes Turcs 1908-1914 Thèse Dirigé Par : Hamit Bozarslan Date De Soutenance : Le 16 Décembre 2019
- 2 - FROM ETHNICITY TO NATIONALISM: TURKISH NATIONHOOD and KURDISH MOBILIZATIONS by Kumru Toktamis April 2007
- 3 - The Invisible War in North Kurdistan Kristiina Koivunen
- 4 - Uğur Ümit Üngör YOUNG TURK SOCIAL ENGINEERING Mass Violence and the Nation State in Eastern Turkey 1913-1950

فرغت من مسودة هذا الكتاب قبل حلول الكارثة الوطنية بالشعب الكردي في العراق (1975) بأيام قلائل، وقد تعذر طبعه بعدها لأسباب وظروف قاهرة تتعلق بأحوالنا كلاجئين عقب النكسة وعدم وجود الوقت

المقدمة

لمراجعته واعداده للطبع ولحجزه حيناً من الزمن من قبل السلطات الأمنية (سافاك) في طهران.

لحسن الحظ وخشية من ضياعه وكأجراء احتياطي وعلى عجل سلمت النسخة الأصلية من الكتاب الى السيد كوركيس ملك جكو، شقيق المناضل والمحارب الذائع الصيت هرمز ملك جكو، وكان على وشك المغادرة مع عائلته الى أمريكا كلاجئ، وكان شديد الحزن وهو يردد، نحن ماضون نحو الذوبان وضياع الهوية، ماكان يريد رحيل الشعب الآشوري عن أرضه التاريخية، لكن الأقدار عاكسته، أخذ المخطوطة معه مشكورا الى أمريكا، وللكتاب قصة محزنة، فقد كتبت مسودته في أقل من عام، هو عام تجدد المعارك ربيع عام 1974 وبداية شهر آذار عام 1975 عام أكبر كارثة من صنع القيادة الكردية نفسها أولاً، أما العوامل الخارجية التي ساهمت في الانهيار الصاعق فتأتي بمسافة بعيدة بعد العامل الأول، حقول وسهوب كردستان كانت تحترق جراء القصف اليومي، الفساد مستشري من القمة الى القاعدة، والانفراد بالقرارات السياسية المصيرية والاستيلاء على أموال الثورة أمور يمنع الكلام عنها ومن المحرمات، الجبهات تنهار وفي النهاية تنهار القيادة الكردية وتلقي السلاح وتمنع أولئك الذين أرادوا المقاومة، وتهرب الى ايران مع كل ما جمعته من أموال.

استغربت عندما اكتشفت ان لهذا الكتاب عدو قبل أن يولد، نعم لديه أصدقاء، قرأ المسودة الدكتور محمود عثمان، سامي (محمد محمود عبد الرحمن، إبراهيم أحمد، فلك الدين كاكائي وآخرون، المحامي جرجيس فتح الله كان أشدهم حماساً، واتفقنا على ان أطلب من (قائد الثورة) ملا مصطفى نسخة (Copy) لصفحة واحدة فقط من مخطوطة كتاب كان جدنا الكبير (عبد السلام الأول) قد استنسخها بيده عام 1847 م ويحتفظ به ملا مصطفى، وبالإضافة الى كون (عبد السلام) عالماً جليلاً، كان أيضاً خطاطاً ماهراً وأردنا وضع الصفحة المخطوطة ضمن الكتاب، استشاط ملا مصطفى غضباً، ولم يطلب القاء نظرة على الكتاب ثم الحكم عليه، فلجأ الى

المقدمة

أسلوب تعود عليه في مسيرة حياته الطويلة عندما يشعر بخطر قادم في الأفق، قد ينسف الكثير مما حاول ان يخفيه حول شخصه وماضيه وبطولاته، وسلاحه الوحيد في معارك مثل هذه هو اختلاق مقاييس جديدة غير معروفة من قبل، لمحاربة الحقائق الجديدة الدامغة: "الا تعلم انه من المحرمات أن يكتب احد من عائلتنا كتاباً"، كان العداء واضحاً لا لبس فيه.

وجاء هذا الموقف الصريح ليعزز من قناعاتي حول جوهر قيادته للحركة التحررية الكردية وأهدافه الحقيقية، اذ سبق هذا الحادث، حادث آخر وقع بالضبط في صباح 14 كانون الثاني 1973 في ديلمان مقرّ ملا مصطفى الشتوي، جاء الى غرفة الضيافة وكنت أقرأ كتاب عن الثائر الفيتنامي العظيم (هوشى منه) وبعد ان جلس سألني أي كتاب أقرأه؟ قلت عن الثورة الفيتنامية وقائدها هوشى منه.... أمتعض على الفور وقال، كنت أفضل أن تشبعني ضرباً بدل ان تقرأ هذا الكتاب، عبّر عن كراهيته لهوشى منه ودون ان يفسر السبب، كان موقفاً غريباً منه، قائد وبطل الحركة التحررية الكردية يكره التاريخ ويكره القائد العظيم (هوشى منه) تلك كانت حقيقته وما نُسبَ اليه في الدعاية الحزبية من الصفات الثورية والتقدمية والعبقرية مناقض للواقع وتعدّ على الحقيقة. وهنا لابد من القول إن عمر الكذب طويل في مجتمع محدود الوعي ويكرر عليه قاداته الأكاذيب ودون خوف لأنهم لا يخضعون لأي استجواب.

كان التناقض صارخاً بين واقع شخصيته الحقيقية وما أسبغته الدعاية الحزبية من هالة بعيدة عن الواقع حول ثوريته وتقدميته وبطولاته لعقود طويلة، تربينا وعشنا مع الأكاذيب والأوهام واحترمناها واعتبرناها من المقدسات والويل لمن يشك في مصداقيتها!

عندما التقيت بجرجيس فتح الله بعد الحادث المحيط مباشرة، قلت له أعتقد انه يكره نبش الماضي لأمر تتعلق به شخصياً، حدق في جرجيس بعينان يقيظتان كالنسر المستفز وهو يفكر فيما قلته، فأردف يقول: لا يريد نبش الماضي.... ما لديك من المادة التاريخية كافٍ.... أستمر ولا تتوقف.

المقدمة

كيف عرف جهاز السافاك بوجود الكتاب ومن هم الذين أخبروه؟ لا أعلم، لكن الكتاب أعيد الي بعد حوالي شهر من مصادره، وأظن انهم عملوا نسخة منه. وفي كل الأحوال كان موضوع الكتاب يتعلق بالقرن التاسع عشر وظهور المشيخات النقشبندية في الإمبراطورية العثمانية والتركيز على مشيخة بارزان.

وتشاء الأقدار أن يطرد الشعب الابراي الشاه (محمد رضا بهلوي) ويلتحق بملا مصطفى، الذي سبقه في الوصول الى أمريكا للعلاج لكنهما لم ينجحا في ملاقات المسؤولين الامريكيين، ورغم كونهما من أنصار أمريكا لم تكثرث بهما الأخيرة، وهما يمضيان آخر أيام حياتهما، وكان شاه ايران مهاناً في أمريكا والذي طالما انحنت القيادة الكردية أمامه تبجيلاً وطاعةً وتقبيلاً وارتكبت المحرمات ترضية له، ورحلة ملا مصطفى الطويلة، التي قادته من بارزان حيث ولد الى واشنطن حيث توفي فيها وحلمه الذي لازمه حتى النهاية في نشدان الخطوة من الدوائر الأمريكية، مؤثر على المسار السياسي الذي سلكه في حياته وحتى مماته كذلك شاه ايران. أمريكا تحترم الأقوياء ولا تهتم بالضعفاء والمستنجدين.

لقد أمضى الكثير من عمره وطاقاته في محاربة الموهوبين في كردستان، وأورث أولاده نفس التعاليم الميكيايلية والتي مارسها في السياسة أو خارجها. وكان يهدف الى إيجاد مجتمع عاقر مستسلم هو يختار من يريد ويفرضه على المجتمع حتى وان كان مرتزقاً ومنحطاً في الجوهر. بدأ سجله السياسي بجريمة قتل حفيد المؤسس الأول لتكية بارزان النقشبندية (الشيخ عبد الرحمن) (ملاى ملاى مع اثنين من أخلص المريدين في قرية بارزان نفسها). و (ملاى ملاى) من ألمع شخصيات الطريقة، عاصر ثلاث شيوخ ونال رضاهم جميعاً (محمد وعبد السلام وأحمد) وبعد استشهاد -شيخ بارزان الرابع - عبد السلام في كانون الثاني 1915 وانحسار نفوذ بارزان الى حدود الاضمحلال التام، يعود اليه الفضل في انتشارها من كبوتها في أصعب ظروف مرّت بها المشيخة في تاريخها وأعاد لها الهيبة والاحترام والمصداقية.

المقدمة

وليس من شك أن مقتل (مرشد الطريقة ونائب شيخ أحمد) وهو من أقرب مقربيه كان ضربة موجهة بالأساس الى نفوذ شيخ بارزان وتحت شعار خبيث (حمية شيخ بارزان من غدر ملاي ملاي) وحارب الضباط الأربع بلا هوادة: (مصطفى خوشناو وخير الله عبد الكريم وعزت عبد العزيز آميدى ومحمد محمود قدسي وأباد عائلة محمد آغا ميژگه سوري عن بكرة أبيها ضمنهم بطل معركة هندرين (فاخر) والقائمة تطول لتشمل تصفية عدد من قادة الحركة التحررية الكردية في كردستان/ إيران وكردستان/ تركيا كما هو معروف كحقائق تاريخية.

أما هذا الكتاب فقد أعاده لي بالبريد كوركيس ملك جكو صيف عام 1977 من أمريكا الى لندن وثم عدت عام 1980 مع الكتاب الى طهران للطباعة بعد سقوط نظام الشاه، وبالتحديد في 22 سبتمبر 1980 مع جرجيس فتح الله وعزيز سعيد أحمد نادر غادرنا عظيميه-كرج بالسيارة الى طهران لإعادة نسخ الكتاب من المطبعة جنوب طهران، وعندما دفعنا ثمن الطبع ووضعنا الكتاب بالسيارة للعودة، إذا بشوارع طهران مكتظة بالسيارات ثم توقف السير بالكامل، وبعد قليل علمنا ان السبب وراء توقف السير أن مطار مهرآباد تعرض للقصف من قبل السلاح الجوي العراقي، حرب الشان سنوات بدأت وتغيرت حياة الناس بالكامل. ولم نعد الى عظيميه الا عند منتصف الليل.

ان ما دون من تاريخ الشعب الكردي قليل ومتناثر ومعظمه على قلته يتجلى فيه الأغراض والتحامل لأنه كتب بأيد أجنبية وخدمة لجهات معينة يهملها تشويه هذا التاريخ، كل هذا يرجع الى وضع كردستان السياسي، أعني وجود بلاد الاكراد ضمن دول متعددة تنظر كل دولة منها الى مشاكل الشعب الكردي من زاويتها الخاصة وتمنع ما لا يتلائم مع سياستها مما يكتبه أبناء هذه الامة، ولا تقتصر على سد منافذ المعرفة الوطنية بوجه أبناء هذه الامة، وانما تتبع سياسة اذابة الثقافة الكردية والوطن الكردي وطمس معالم تاريخه او تعمد الى العبث الشنيع بواقعه الجغرافي والقومي عن طريق هدم

المقدمة

مجتمعاته السكنية وسوقه بالسوط والعصا في تهجير جماعي لإسكان قوميات وعنصریات أخرى في بلاده نفسها.

ولهذا كان اول ما جوبهت به من مصاعب هو قلة المصادر وندرة المعلومات عند شروعي في تأليف الكتاب، فاعتمدت بالدرجة الأولى على الرواية المحلية المتداولة والحديث المباشر مع المعمرين الذين شاركوا شخصياً في حوادث الكتاب المتأخرة، فتقصيتهم وتبعت آثارهم ورحلت إليهم وهم في قراهم النائية، لقد تعلمت منهم الكثير فكان لعملي هذا مردود جيد للكتاب، اذ حفل بوقائع ومعلومات لم يسبقني فيها أحد من الكتاب.

يكتب رئيس المعهد الكردي في باريس (كندال نزان): "ان الوضع الحالي للشعب الكردي يمكن فقط فهمه ضمن اطاره التاريخي وبالأخص على ضوء أحداث السنوات المائة الماضية." وقد كنت شديد الرغبة في اظهار جانب من ذلك الإطار التاريخي بالتصدي الى تاريخ إحدى المشيخات الكردية الدينية (المشيخة البارزانية) التي كان لها دورها الفعال وأثرها الباقي في ميدان النضال الوطني فضلاً عن دور لا يمكن التقليل من شأنه في التحول الاجتماعي، بسبب هيمنة تلك المشيخة على العقلية الكردية والحياة السياسية لمجتمع غير صغير من الشعب الكردي ولوقت طويل.

من أين استمدت المشيخات الدينية سلطانها؟ وعلى أي أسس بنيت؟ لماذا وكيف كانت أوامر مرشدي المشيخة تطاع وتنفذ بدون اعتراض؟ الى أي حد كانت تمتد تلك السلطات؟ ماهي الاخطار التي تتعرض لها المشيخة؟ كيف انجرت مشيخة بارزان الى ساحة العمل الوطني؟

حاولت ان اجيب على كل هذه الأسئلة بسرد الاحداث فقط دون ان ألجأ الى التحليل المسهب لئلا أكون كمن يفرض نتائج تحليلاته على القارئ.

قد يكون عمل الشيخ (المرشد) قاصراً على الدين ونشر تعاليمه على هدي الطريقة، وقد يكون محتالاً انتهازياً يسخر مريديه لمصلحته الخاصة، وقد يكون وطنياً مخلصاً غيوراً على مصلحة أنصاره وشعبه، لكن لا أحد ينكر أن

المقدمة

سلطان هذين الاثنين النقيضين على جيش المريدين المطواع يكاد يكون مطلقاً، وعندما يصيب المشيخة التفسخ والتحلل الخلقي ويبدو سلوك الورثة¹ منافياً لمبادئ الاخلاق وقواعد الدين، فان الجهل العام كفيل بحماية هذا التفسخ وتغطيته. ان جيش الطريقة (غير المتحرر من قيود الجهل) لن يتمرد على الشيخ المحتال المستغل ويظل يأتمر بأوامره لأنه يستند الى التراث النقي الروحي الذي خلفه له أسلافه الأوائل وهم أولئك الذين سلموه قيادة المريدين والطريقة، والورثة يحتمون بهذا التراث ويتنفعون به شرّ انتفاع، فيتحول التراث الطاهر الى حارس وخدام لسلبات الأولاد والأحفاد. وهذا ما حصل لبارزان مباشرة بعد رحيل شيخ بارزان الخامس بداية عام 1968، لقد خلفت مشيخة بارزان تراثاً نقياً وآثاراً إيجابية عميقة وكان لها الفضل في تطويع الروح القبائلية واستخلاص انفس أبنائها وانصارها من أوصار العنينات العشائرية، وأوجدت رابطة المبدء والعقيدة بعد ان قضت على رابطة العشيرة وقللت من الانانية الفردية الى حد كبير، و أحلت روح التعاون والتفاني والتضحية وجندت كل ذلك لخير مجتمعها وقيادته لمحاربة زعمائه المستغلين من الاقطاعيين العائشين على كدّ الفقراء المستضعفين، لذلك فكلما كانت سيرة الشيخ وأسلوب حياته الخاصة أقرب الى المثالية والترف عن المادة والحرص على المساواة بين أتباعه دون تفرق وتفضيل، كلما ارتفع مقامه في أعينهم وزاد ايمانهم به واستعدادهم لإطاعة أوامره، وهنا تكمن الخطورة في انحراف الورثة أو ابتلائها بمرشد طالح، فبسبب الجهل المتفشي والايان الأعمى وتحريم الطريقة ان يوجه الى الشيخ أي استفسار عن تصرفاته العامة والخاصة أو الطلب منه إيضاح هذه من هذا الاجراء -

¹ حجم الفساد وممارسة النفاق بأشع صوره ونهب الممتلكات العامة والتزوير الذي مارسه الورثة من أبناء وأحفاد ملامصطفى وهم في نفس الوقت أحفاد محمود آغا الزبياري في كردستان هو نقيض القيم الروحية والوطنية التي دعت اليها بارزان وضحت من أجلها طوال قرنين من الزمن حتى رحيل شيخ أحمد عام 1968، لقد صدم الشعب الكردي عند اكتشافه جوهر النخبة الحاكمة وحجم السرقات الخيالية والغير مسبوقه في تاريخ كردستان.

المقدمة

فوق المسألة-، فإن الاحتراب الدموي الذي ساد تاريخ المشيخات الكردية في تلك الفترة من الزمن بين المشايخ، لم يكن يدري اسبابه ودوافعه بصورة مباشرة غير الشيوخ المحتربين. أما وقود المعارك فهم المريدون والأتباع وليس بينهم من يعرف السبب الحقيقي الذي يقاتل في سبيله، فهو لا ينتظر أية مكافأة، الا شفاعة شيخه له في الآخرة واعتقاده المطلق بأن ما فعله هو موضع رضا الشيخ.

ان ما ميّز مشيخة (بارزان) خلال الفترة التي اتينا على سرد تاريخها في كتابنا هذا وبعدها بفترة أخرى سنتناولها في كتاب ثان، هو السلوك التقشفي والزهد ورفض الشيخ لفكرة الحياة والتملك واحتقاره للمادة، في الواقع هذا السلوك هو الذي رسّخ ايمان أتباعه وأنصاره به وجعلهم يضعون ثقتهم به، لقناعتهم بأنه لن يستعمل نفوذه للاستيلاء على أموالهم وأراضيهم او استغلالهم لمصالحه، بل هو مستعد للتضحية لا بما يملكه وهو تافه بل براحتة وحياته وحياة أفراد أسرته عندما يجد الجد. وهذا آخرهم الشيخ أحمد أخو الشيخ عبد السلام وخليفته من بعده الذي تجسدت فيه فضيلة احتقار المادة ورفض فكرة التملك، طالما حذر من مغبة ظاهرة الاسراف والترف عندما ظهرت أولى بوادرهما في إنفاق أموال الثورة الكردية وتفشي الفساد، ورفض رفضاً قاطعاً ان يستلم شيئاً منها قائلاً: " انها أموال الشعب الكردي هي أمانة في يد المسؤولين وان إساءة التصرف بأي جزء منها مهما قل، انها هي مسؤولية كبيرة أمام الله والشعب، فضلاً عن كونها تقضي بالدمار على الهدف الأسمى".

وقفنا بهذا الكتاب عند نهاية عام 1914¹ وهو عام اندلاع الحرب العالمية الأولى، العام الذي فتح صفحة جديدة في تاريخ البشرية وحدث تغييراً جذرياً في حياتهم، انهارت الإمبراطورية العثمانية وتقطعت أجزاؤها وأصبح للمبادئ الاشتراكية دولة اثر ثورة عصفت بواحد من أشرس النظم

¹ الحرب العالمية الاولى استمرت من 28 يوليه 1914 إلى 11 نوفمبر 1918.

المقدمة

الاستبدادية، ونمت فكرة القومية عند الشعوب ونال عدد كبير منها استقلاله وبينها الدول العربية، وفي كردستان خرجت مفاهيم سياسية جديدة ذات منحى وطني، فقامت طبقة من المثقفين الوطنيين لتحمل أعباء القيادة الفكرية النضالية في اطار جمعيات وأحزاب معظمها سرّي، وكلها تهدف الى التحرر والتخلص من نير الأجنبي، وتم الامتزاج والتفاعل بين الصوفيات والدين وبين الأهداف السياسية، وكان هذا طابعاً للحركة الوطنية الكردية في العراق وتركيا قبل الحرب وبعدها دون ان يتحقق انفصالهما.

حاولت جهدي إزالة الغموض عن بعض الوقائع التي يتعذر الوصول الى تفاصيلها، والنفاذ الى حقيقتها عن طريق الاستقراء والافتراض والاستنتاج، ولا سيما تلك التي تتعلق بالفصول الأخيرة من الكتاب، أعني فعاليات وتحركات (الشيخ عبد السلام البارزاني) على الصعيد الوطني، كيف وصل الى جورجيا والتقي في عاصمتها (تفليس) بالمسؤولين الروس؟ من كان معه؟ وكيف عاد؟ والمواضيع التي جرى الحديث عنها؟ هذه خفايا تاريخية تحتاج الى المزيد من التقصي والبحث في أرشيفات النظام القيصري الروسي وأرشيفات الامبراطورية العثمانية.

أيوب بابو بارزاني

المقدمة

لمحة تاريخية تمهيدية

شهد المجتمع الكردي خلال قرنين من الزمن قيام عدد من الامارات، كالإمارة البابانية والسورانية والبادينانية والبوتانية، وبعد ان تم القضاء على هذه الامارات اما بتغلب دول مجاورة أقوى منها أو نتيجة الضعف والانحلال الذاتي، ظهرت المشيخات الدينية في مناطق عديدة من كردستان، وبعد ان افل نجم هذه المشيخات وانفتحت الذهنية الكردية على الأفكار الأوروبية الجديدة في التحرر، ظهرت الجمعيات والمدارس السياسية في مستهل القرن العشرين، ومن خلال هذه المؤسسات الاجتماعية الثلاث أكد الشعب الكردي هويته ووجوده المتميز وتطلعاته التحررية، مستخدماً الإمكانيات المحدودة المتوفرة لديه، اذ كان يعيش سجين أوضاعه وتطوره التاريخي الضيق والبطيء وتحلفه الناجم عن خضوعه للاستغلال الأجنبي.

في أثناء قيام الإمارة البابانية (احدى الامارات الأربع المذكورة) وفي سنوات احتضارها الأخيرة المشحونة بعوامل الفساد والاضطرابات الداخلية، تسلم (محمود باشا بابان) زمام الحكم للمرة الثالثة، وفي كويسنجق استتب الامر لـ (عبد الله باشا) فانتتهت بذلك المعارك الاسرية مؤقتاً.

كان ذلك في عام 1823. لم يكن الأمير الباباني بقادر على تركيز الجهود للنهوض بالامارة وإصلاح ما فسد من أمورها، فقد استنزفت امكاناتها الحروب الداخلية والمجهودات المبذولة في التغلب على الخصوم والطامعين بكرسي الامارة، وكانت الأوضاع تفرض على الذين يعيشون في حماها اظهار الموالية لطرف معين من الأطراف المتنازعة على الجاه والمال، فامتلاّت القلوب بالأحقاد والضغائن وسادت الفوضى وغرقت الامارة في لجة من الحروب الداخلية والمنازعات وأصبح أمراً اعتيادياً استنجد المتنازعين بالعثمانيين او بالفرس في صراعاتهم المحلية.

باختصار كانت الحياة في عهد الأمير محمود باشا حافلة بعوامل الفوضى والفساد.

في عاصمة الامارة (السليمانية) عاش رجل شاب كان قد شرع في التدريس والتأليف بعد أن أنهى دراسته على يد افاضل العلماء في كردستان. لم يعرفه الناس اهتماما في البداية. لقد تعدت رغبته في تغيير ذات نفسه الى احداث التغيير في نفوس الآخرين. هذا الرجل هو الشيخ الذي أشتهر فيما بعد باسم (مولانا خالد) المولود في العام 1779 م.

انعكست آثار اوضاع الامارة المتفسخة على نفسية هذا الصوفي وهو في ريعان شبابه، ولا شك أنه تضرع من فساد الأوضاع الاجتماعية السائدة وآلمه أن يرى مجتمعه تعمه الفوضى وتحركه الشهوات والمطامع وهزه أن يرى الداء قد تحلل مختلف الطبقات الاجتماعية فلم ير سبيلا للتقويم واصلاح النفوس الا بالعودة بقومه الى روح الاسلام متلمسا سبيله منها الى النفوس الخائرة والعزائم التي أنهكتها الصراعات على مباهاج الدنيا ومتاعها.

ولكي نكون أكثر تفهما للطريق التي انتهجتها هذه الشخصية الصوفية العظمى في العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر، علينا ان نعود الى الوراثة، الى اليوم الذي بدء الدين الاسلامي الجديد يفتح على الأفكار الفلسفية ويفسح المجال للجدل المنطقي فيه. لكن كان عليه أيضا أن يمر عبر أجيال بشرية عديدة حتى يتسنى له أن ينتشر ويتناول اتباعه قواعده ومبادئه بالشرح والتحليل. ولا شك أن سبيل العقيد عبر القرون الاربعة عشر لم يكن سهلاً هيناً، فلم ينج من الزندقات والبدع، وكان عليه أن يخوض صراعات عنيفة مع ما يتوصل اليه العلم والتطور الحضاري ولذلك وجدت المذاهب، ثم أنبثت الطرق الصوفية على أثرها مستمدة أصولها من روح القرآن وتعاليمه، وكان هذا ايذاناً بالانفتاح على التقدم العلمي وعاصماً للدين الاسلامي من الجمود والوقوف عند حد التفسير الحرفي وما يتبع ذلك من تناقض بينه وبين المبتدعات والمخترعات والمكتشفات العلمية. فكان الصراع بين العقلية المتزمتة وبين العقلية المتفتحة على العلم وأسباب الحضارة. وفي هذا الصدد

يقول الاستاذ (آر. أي. نيكلسون) في بحثه عن التصوف " أن الثورة السياسية التي نقلت مركز خلافة الاموية من الشام الى بغداد أدت بالاسلام الى التماس المباشر والاصطدام بافكار المذنيات التي نشأت قبل الاسلام. فإذا كان هذا قد تمخض بتغلب الفكر الاسلامي فالتاريخ يخبرنا بأن النصر في تلك المعركة لم يكن تاماً ابداً ونحن هنا نقصد الحركة التي انتشرت في بقاع كانت قد عرفت العقائد الهيلينية اليونانية معرفة جيدة وحيث النقاش الديني استعر أواره بين المسلمين من جهة وبين المسيحيين والمناويين والزرادشتيين من جهة أخرى"¹

هذه الظروف التي وجب فيها على الاسلام أن يثبت وجوده نجد انه مرّ بفترات مد وجزر. وأحيانا تطم عليه التيارات الفكرية المعارضة له فيخبو كالسراج وأحيانا يعلو تلك التيارات ويعود الى الانتقاد بظهور شخصية دينية لامعة مؤثرة في مجرى الصراع.

وكل متتبع لتاريخ الاسلام يلاحظ التأثير الهائل الذي حققه رجال الدين ومفكروه في مسيرته عبر العصور فقد نفخوا في أتباعه خلال فترات سبات من التحلل والحيرة والضعف الخلقي روحاً جديدة وعززوا الثقة بتعاليمه، يمكن أن نطلق على أمثال هؤلاء الناس اسم (رجال الاحياء) ومن اوائلهم الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز، فرغم قصر الزمن الذي حكم فيه - 717-720 م، الا انها كانت مرحلة حرجية يمرّ بها الاسلام، حيث كانت الاتجاهات الغربية عن الدين قد أخذت تتسلل اليه. ففي العهد الذي سبق هذا الخليفة أصبح (بيت المال) الذي كان ملكاً للامة ملكاً لفرد واحد خاضعاً لاوامره ورغباته. وكان المبدء الاسلامي المطبق جباية وتوزيع هذه الاموال هو ما اوصى به الرسول (ص) "تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" قد انعكس فصار "تؤخذ من فقرائهم وترد على أغنيائهم وامرائهم

¹ تراث الإسلام (ترجمة وتحقيق جرجيس فتح الله المحامي) الطبعة 2 دار الطليعة، بيروت فصل التصوف.

وشعرائهم¹ ويسترسل (الندوي) واصفاً المقاييس الجديدة في المجتمع الاسلامي على عهد بني امية "احاطت بالخليفة هالة من الشعراء المحترفين والندماء المتزلفين المتملقين تنفق عليهم اموال الصدقات بسخاء"² و "..... أثرت سياسة الدولة وحياة رجال الحكم المترفة تأثيرها الطبيعي في ميول الناس ومقاييسهم للسعادة والشرف ونشأت في الاسلام طبقة مترفة في اخلاقها وسلوكها ونفسياتها."³

في ايام الدولة العباسية الاولى نبغ (أبو الحسن الاشعري) 270 - 324 هـ ومدرسته في الاعتزال (الاشاعرة) التي كانت تمثل الفكر التقدمي في الاسلام. وتلاه (الامام الغزالي) 450 - 505 هـ 1058 - 1109 م، ظهر في فترة كانت الحاجة اليه ماسة وقد شاعت الفلسفة اليونانية واثرت على الازدهان مبادئ المعتزلة، فنشأت البدع بدعاوى فرق الباطنية واخوان الصفا، وفي القرن الرابع الهجري بلغ الاضطراب الفكري والسياسي أوجه وفي القرن التالي أمسى العالم الاسلامي غارقاً في بحر من الفوضى والبلبلة الفكرية حتى وجدنا (الغزالي) أعظم قادة الفكر الديني آنذاك يعاني صراعا نفسيا مريراً وهو يختبر العلوم والتيارات الفكرية السائدة فأدركته الخيبة منها جميعاً ولم يكن منه الا أن ارتمى في احضان التصوف. يقول الاستاذ (الفرد جيوم) كان (الغزالي) اولاً فيلسوفاً ثم صار عالماً ثم محدثاً ثم شاكاً متصوفاً. وهو لا شك رجل عظيم الايمان ذو نزعة أخلاقية متينة يكاد يكون أحد القلائل بين ابناء ملته الذين وقفوا أنفسهم دوماً على ايقاظ الفضيلة في نفوس اخوانه.⁴

وللغزالي مؤلفات عديدة كانت ذات تأثير انقلابي في حياة المسلمين. وكتابه (احياء علوم الدين) من الكتب الاسلامية النادرة، ويعتبر تراثاً

¹ رجال الفكر والدعوة في الاسلام (ابو الحسن علي الحسيني)

² المصدر نفسه

³ المصدر نفسه

⁴ تراث الاسلام فصل الفلسفة وعلم الكلام

لا تقدر قيمته وبفضل جهوده "يدخل التوصف في نطاق الديانة الاسلامية دخولا تاماً ويواجه بالاحترام في مجتمعات لم تكن لتحفظ له اية مودة حتى ذلك الحين".¹

ومن بين المصلحين المجددين (الشيخ عبد القادر الكيلاني 1077- 1166 م) نبغ في بغداد في أواخر القرن الخامس الهجري. فالتف المسلمون حوله وأثر في المجتمع الاسلامي تأثيراً كبيراً. ثم تلاه (مولانا جلال الدين الرومي) 604- 672 هـ 1207 - 1273 م وآخرون غيرهم قدموا بجهودهم الروحية خدمات نبيلة وأدخلوا على الدين عنصري الملاينة والتسامح وأخرجوه من جموده على النص.

لسنا هنا يصدد البحث عن جوهر الصوفية ولا عن أصولها العقائدية أو أهدافها أو مراتبها أو ممارستها. إنما قصدنا هو بيان التأثير الذي أحدثه زعماء الصوفية ومفكروها ومشايخها في التركيب الروحي والخلقي ومن ثم السياسي والاجتماعي للمجتمع الكردي، وكيف أن الطرق الصوفية كانت عاملاً مباشراً في أحيان كثيرة على إلهاب الشعور الوطني والثورة على الظلم والوقوف ضد المستغلين في مجابهات دموية.

الصوفي يعتبر (الحياة الدنيا) دار تجربة مرّة يضيق بها ذرعاً ويعمل على الانعتاق من مبادئها والتخلص من حوائلها لأجل الوصول الى الهدف الأسمى (الاتحاد بالخالق) أو على الاقل التسامي بالنفس عن طريق الاقتراب من (الذات الالهية). تلك هي منية الصوفي أو (المتلمذ) للصوفية، وهي اذن برأي كثيرين من الباحثين سلبية لاتشجع على المقاومة والنشاط الانساني، وانما تتوسل بالتهجد والصلاة و (الذكر) الحلقات الصوفية للنأي عن واقع الحياة بالدرجة الاولى. إلا أن ما أحدثه التصوف في كردستان كان بعكس ذلك تماماً، فقد كان مردوده ايجابيا وسياسيا في أحيان كثيرة، فقد توالى في القرن التاسع عشر والعشرين (قرني النهضة الفكرية والاجتماعية

¹ المرجع السالف.

والثورات القومية في العالم قاطبة) قيادة مشايخ الصوفية لحركات الكرد الوطنية. ولع في عالم السياسة والنضال الوطني صوفيون معروفون أمثال (الشيخ عبيدالله النهري) و (الشيخ سعيد الدياربكري) و (الشيخ عبد السلام البارزاني) و (الشيخ محمود الحفيد) و (الشيخ احمد البارزاني). وهكذا نجد أنفسنا في كردستان أمام وضع يختلف عما أحدثته التصوف في العالم الاسلامي من ركود اجتماعي واستسلام الى الواقع بدل التمرد عليه، وهو نزول الصوفية الى ميدان الحياة، مسلحين بمبدأ التضحية والجهاد، الامر الذي لا يمت بصلة الى ما هو متعارف عن تعاليم الصوفية ومبادئها الاساسية.

من المفيد أن نشير باختصار الى المقصود بكلمة (الطريقة) عند الصوفيين مهما كان اتجاه الطريقة ومهما اختلفت تعاليمها، فهي تعنى محاولة المتصوف اكتساب جملة من الفضائل بأسلوب معين يرسمه له معلمه أو شيخه يوصله الى الهدف الصوفي الاسمي، أي نهاية المطاف، أي فناء النفس في الخالق أو الاتحاد (بالذات الالهية) وفي سبيل الوصول الى هذا يتعين على الصوفي أن يجتاز مراحل أو درجات (مقامات) ومفردها مقام. كذلك تتضمن الطريقة الاوضاع والمواقف الحياتية والعبادات التي يمر بها الصوفي في ممارسته، وتُعرف بـ (الاحوال) وهي مراحل متوالية متصاعدة كدرجات السلم. أولها (الهداية)، وهي مرحلة انفتاح البصيرة على الطريق الصحيحة والتوبة، يلي ذلك مرحلة انكار الذات، ثم مرحلة نبذ متاع الدنيا والتمسك بالخصاصة والفقر، ثم مرحلة الاتضاع والتصاغر ثم مرحلة الصبر على المكاره والنوائب، ثم مرحلة التوكل على الله والتسليم المطلق لإرادته. وكل حال من هذه (الاحوال) يهيئ المتعلم (ويسمى بالمريد) الى الحال الاخرى. وتختلف طرق الإعداد والتهيئة بالتفاصيل وبحسب ما يبتدى اليه الشيخ ببصيرته والتلميذ (المريد) يدرب نفسه على ان تكون بصيرته وأحاسيسه مهيمنة على أعمال حواسه الاخرى، لذلك فان المبادئ والاصول التي اقرتها الشريعة وفرضت على المسلمين بنص آيات الكتاب المنزل (القرآن الكريم) ليست في

نظر الصوفي الا دلائل أو رموزاً أو اشارات تهديه الى الحقيقة المستترة وتؤدي به الى الاتحاد بالله عن طريق المحبة الخالصة (الوجد).

غدت الصوفية دين العامة في كردستان وأخذ التائقون الى المعرفة يستقطبون حول اولئك الدعاة المعلمين الذين أشتهروا بتعاليمهم وطرقهم الجذابة الى معرفة الحقيقة (الحق) وهو الله نفسه في نظرهم، وافتتنوا بحياة الطهر والنقاء التي يعيشها هؤلاء المعلمون، فالتصقوا بهم وأخذوا يقلدونهم وهكذا انتشرت الطرق أو أخويات الدروشة وشملت أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي وبضمنها (كردستان).

في كردستان كان يقوم على رأس الطريقة أو فرع منها معلم رسمي هو (الشيخ). هذا الشيخ بمؤهلاته التثقيفية هو الدليل أو المرشد أو الزعيم الروحي لتلاميذه (مُريديه). والمقر الذي يتخذة لاجتماع تلاميذه وتلقيهم أصول طريقته هو المدرسة الحقيقية لتخريج المتصوفة ويعرف بالتيكية أو (الخانقا) واصول الممارسة تبدأ عادة بإعلان المريد توبته وندامته وبعدها يأخذ الطريقة من الدليل، والأخير لا يسلمها له إلا بعد التأكد من استحقاقه لها. ومن مؤهلاته النهوض بمسؤولياتها وعند رضى الدليل على المريد يُجاز ويعين خلفاً، أي (خليفة) له يقوم مقامه عند موته أو اعتزاله أو غيابه فيصبح هو الآخر دليلاً لجيل جديد من المُرَيدين.

ان الطريقة القادرية الشهيرة كانت اولى الطرق التي دخلت كردستان، أوجدها الدليل الشهير (عبد القادر الكيلاني 1077-1166 م) وأثبتها حفيده الدليل (عبد الكريم الكيلاني 767 - 814 هـ 1366-1410 م) ومن أسباب انتشارها في كردستان انها كانت أقرب الطرق الصوفية الى السنة واكثرها تمسكا بمظاهر الشريعة، وفضلا عن ذلك فقد كان جل دعائها من الكُرد. ثم وجدت الطريقة النقشبندية طريقها الى كردستان. وكان (محمد بهاء الدين البخاري 1317 - 1389 م) أول دعائها. وعلى هذه الطريقة تعلم ونبع (مولانا خالد) الدليل النقشبندي واليه يدّعي التحصيل الروحي عدد كبير من شيوخ الطريقة في سائر انحاء العالم الاسلامي، وخصه بالذكر هنا

ناجم عن كونه يمثل حركة بعث منطلقة من احدى هذه المراحل التي سادها انكماش العواطف الدينية بكردستان وبالعالم الاسلامي.

في مستهل القرن التاسع عشر الميلادي عاش مولانا خالد متأملاً مجاهداً في سبر خفايا النفس ونزعاتها، لقد بدا وكأنه يبحث عن ضالة، واختلف عن اقرانه طلاب العلم الذين كانوا يجهدون أنفسهم في البحث عن عالم ديني ذائع الصيت لتلقي المعارف والعلوم على يده حتى إذا نالوا حظهم منها سعوا وراء تعينهم في احدى الوظائف المدنية أو في احدى القرى، قانعين بضمان مستقبلهم المعاشي وقضاء ماتبقى من العمر في قرض ابيات الشعر وكتابة شذرات من النثر. لم يكن الشاب (خالد 1779؟ - 1827) من هذا الصنف فقد تحطى الآفاق التي كان يطمح اليها أقرانه من العلماء الى الجهاد لايجاد منطلق يجتاز من خلاله الروتين الديني الجامد، حيث تقوَّعت النشاطات الدينية داخل أطر من التقاليد والممارسات الجامدة. وفي خضم هذه البلبلة والحيرة نراه يتحرك بدافع باطني بحث، فقد شعر بأن ماتعلمه مازال ناقصاً وأحس بظماً روحي وقلق ولم يكن قد وجد ضالته بعد. فغادر مدينة السليمانية عاصمة البابانيين ومراً في طريقه بطهران، خراسان، بسطان، خرقان، سمنان، نيشابور، كابل والعديد من المدن الاخرى ... وزادته الرحلة إطلاعاً على حالة الاسلام والمسلمين ومعرفة بكبار علمائهم وبلغ به المطاف عند الشيخ (السلطان عبد الله الدهلوي) فيمكث لديه عاما كاملاً يطوي فيها على يد استاذه مراتب التصوف ويحوز التلميذ ثقة أستاذه واحترامه الى الحد الذي يسلمه الطريقة، وقد بلغ من اجلاله له أن شيعه بنفسه عندما قفل راجعاً الى وطنه. وقوله المأثور بالفارسية لحظة الوداع: (خالد كورد هه مه بورد) خالد الكردي أخذ معه كل شيء.

عبدالله الدهلوي (مرشد مولانا خالد)

عندما وقع شاه علم الثاني، المعين من قبل الحاكم المغولي تحت "حماية" البريطانيين في عام 1803، كان شاه غلام علي (عبدالله الدهلوي) معاديا تماما للبريطانيين وغير موافق على فتوى الشاه عبد العزيز التي تسمح للمسلمين بالدخول في خدمة البريطانيين. اختلف شاه غلام علي بشدة مع الشاه عبد العزيز حول جواز عمل ابن شقيق عبد العزيز، مولوي عبد الحفي، لصالح البريطانيين كمفتي. اعتقد غلام علي أنه يجب أن يعيش حياة التزهد، ويعلم الطلاب في سبيل الله وينخرط في التأمل.

مرة أخرى، في وقت ما بين عامي 1811 و 1819، تمت دعوة شاه غلام علي لتلاوة الفاتحة في احتفال لـ (نواب نظام الدين أحد قادة شرطة دلهي). وعندما وصل تشارلز ميتكالف Charles Metcalfe المقيم في دلهي، وقف الجميع لتكريمه باستثناء غلام علي. وعندما عاد ميتكالف إلى المنزل، ذكر لأحد رجاله أنه لا يوجد سوى مسلم واحد في كل الهند وهو -شاه غلام علي. كما لاحظ فوسفيلد Fusfeld بجدارة، "إن هوية ميتكالف كمسيحي وكممثل للحكومة البريطانية لا تثار بأي حال كقضية. المعاملة التي تلقاها لم تكن مختلفة عن تلك التي ستوجه إلى أي عضو فاسد في النخبة الحاكمة". وعندما جاء شمشير خان بهادور، نواب بونديلكاند، إلى حضور غلام علي مرتديا قبعة إنجليزية، وبخه غلام علي شاه بشدة. غادر نواب وهو في حالة عصبية لكنه عاد لاحقا ليصبح واحد من مريديه. هذا الرفض للهيمنة الاستعمارية تجلت فيما بعد عند عدد من مرشدي الطريقة النقشبندية.

والكلمات التالية من شاه غلام علي مرشد مولانا تظهر مدى التقدير والاعجاب الذي حظي به تلميذه الأول بين الأوائل، مولانا خالد:

"وجد مولانا خالد التقدير لدينا هنا بحكم المقامات التي بلغها وطاقاته الروحية. كانت مواهبه تتجاوز بكثير مواهب بقية الطلاب - من حسن الحظ ان نجد بيننا مثل هذه الجوهرة الثمينة. ومن المؤكد أنه أسبغ البركات

على بلاده واستفاد منه كل الذين حضروا مجالسه. قبل اللقاء به لم أرى شخصاً آخر يملك مثل هذه الفضائل الربانية. ومن واجب كل واحد أن ينهل من بركاته وإخلاصه وحبه.

كان أحمد سرهندي (1624) الرفيق الأكثر مباركة لـ (باقي بالله) (توفي. 1603) وأحمد سرهندي كان محظوظاً بتلميذه الأكثر تقدماً (آدم بانوري توفي 1644). ومن حسن حظي أن مولانا خالد كان من بين رفاقي. لم يكن هناك شخص آخر عداه لديه هذا الفيض من المؤهلات الروحية بين الأعيان (مثل مولانا خالد). الحمد لله ثم الحمد لله مرة أخرى – اللهم ابعد عنه عداوة وحسد الذين يتواجدون حول مولانا خالد.¹

كان الشيخ (خالد) واعياً ومستأً من أوضاع العالم الإسلامي وانحطاطه، بالأخص لدى النخب السياسية الإسلامية، هنا اتجهت اهتماماته إلى إصلاح العالم الإسلامي برمته، وأسفاره إلى بلاد الهند والقوقاز والامبراطورية العثمانية والفارسية وظهور العديد من المشيخات في هذه البلدان تعكس نفوذه العظيم في هذه المجتمعات. "ففي كتاب "الاستيلاء على منطقة القوقاز" يقول المؤلف السويسري:

"في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وبتأثير من شيخ قدم من الإمبراطورية العثمانية، أصله من كردستان العراق، هو الشيخ خالد. ترسخت الطريقة الصوفية التي تغلغت في بلاد القفقاس وأخذت ملامحها النهائية،

أضاف الشيخ خالد منحى سياسي واجتماعي على تعاليم الطريقة النقشبندية، وكان كثير السفر وأمّ أفضل المدارس الدينية في الشرق الأوسط وفي تركيا وبالأخص وفي شبه القارة الهندية.

¹ MAWLANA KHALID AND SHAH GHULAM ALI – Arthur Buehler
Journal of History of Sufism 5 (2006) pp 65–79

لقد تأثر بما شاهده من تدهور وانحطاط في القيم والأخلاق وتفشي الفساد بالأخص في أوساط العديد من النخب في البلدان الإسلامية. هاهي تركيا تعاني من هزائم مشينة ومتلاحقة على أيدي القوي الغربية، والهند وقعت تحت نير الإمبراطورية البريطانية، كل هذا مؤثر على الضعف السياسي للعالم الإسلامي برمته.

ولم يكن لديه شك أن هذه التحولات مترابطة مع بعضها البعض بشكل مباشر، والسبب الرئيسي هو عدم التزام المسلمين بتعاليم الإسلام الأساسية، وبالنسبة له، لا يتمكن المسلمون من إعادة قوتهم وهيتهم إلا بعودة جذرية وشاملة إلى مبادئ الإسلام الحقيقية والتي نص عليها الشرع.

ولم تكن الأولوية عنده تنقية الروح من الشوائب، بل الضرورة تقتضي إعادة تفعيل الشريعة على كافة الأراضي التي يعيش فيها المسلمون وبالأخص تلك البلدان المهددة بكوارث وشيكة والمتمثل بالهيمنة الغربية ومؤسساتها.

خطى خالد خطوة أخرى، لكي يعود إلى جوهر الإسلام، يجب على المسلمين فقط طاعة سلطة الحاكم الذي يشترط عليه تطبيق الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً، فالحاكم بالنسبة للدولة كالقلب بالنسبة للجسد، أن بقي القلب طاهراً بقي الجسد أيضاً.

ولكي يتم تحقيق هذا الهدف، اقترح معادلة تنظيمية جديدة لنشر الطريقة النقشبندية، حتى ذلك الحين كانت التعاليم الروحية للطريقة، طقوسها ودرجاتها تلقن من قبل المرشد لتغطي كل حياته، أجاز خالد المريدين أن يمارسوا هم أيضاً الارشاد للتلاميذ الجدد، فالخلوة لأربعين يوماً برفقة الشيخ كافية ليضمن التمازج والاندماج بين (المرشد) و(التلميذ) وهذا مبدأ أساسي من مبادئ الطريقة.¹

¹ A la conquête du Caucase Eric Hoesli Editions des Syrtes 2006 p: 53 -

تعرض هذا المبدأ الى نقد شديد وفي بعض الأحيان وُصِفَ بالهرطقة. وفي كل الأحوال أتاح هذا في زيادة أعداد المنتمين الى الطريقة زيادة هائلة وتوسعت بشكل ملفت للنظر.

تحرك المريدون الجدد في جميع الاصقاع لنشر الطريقة وتعاليمها، وعندما دخلت هذه الحركة الى بلدان القفقاس أطلق عليها الروس اسم "المريديّة" "Muridisme" وقد أدركوا ان الطريقة تتوسع. لكن هذه الظاهرة لم تكن غير تلك الظاهرة التي أطلق عليها فيما بعد الخبير في الدين الإسلامي "برنارد لويز" بـ "الثورة الإسلامية"، في العمق هذا التيار يعارض الغرب وقيمه، وفي نفس الحقبة ظهر عبد القادر في المغرب وآخرون في الهند وإندونيسيا وفي السودان.¹

من الواضح أنه شعر بقدوم وزحف الهيمنة الاستعمارية على بلاد الإسلام، وظل تفكيره في إطار العمل وفق مصالح (الامة الإسلامية) عموماً، متجاوزاً الحدود القومية واللغوية والعرقية. وفي وقت متأخر فيما بعد نرى المقاومة التي أبدتها الطرق الصوفية في العديد من بلدان العالم الاسلامي ضد زحف هيمنة الاستعمار الغربي مثل دول أفريقيا الشمالية، الهند والسودان وأندونيسيا وكردستان.

استغل (مولانا خالد) رحلة العودة الطويلة من الهند وأخذ يعمل بهمة وحماسة على نشر الطريقة النقشبندية، ماراً بين شعوب وقوميات مختلفة. فوصل السلبيانية في العام 1811 م. وواصل نشر الطريقة فأنشئت لها التكايا في مدن الشام واستنبول² وبغداد، فضلاً عما لا يحصى منها في القرى

¹ Ibid.

² محمد الخال (الشيخ معروف النودهى، ص 38 - 53) في هذا الكتاب نجد ثبتاً باسماء تسعين من كبار العلماء الذين أخذوا الطريقة من مولانا خالد وهم من شتى الديار والجنسيات في العالم الإسلامي، فمن منطقة (نهرى) في كردستان الى الحجاز (مكة) ومن (المدينة) الى (الشام) ومن (بيت المقدس) الى (العمادية). ومن بغداد الى (شبروانه) قرب (باكو) عاصمة أذربايجان السوفيتية والمسماة الآن (بكيروف آباد) وأماكن أخرى عديدة.

والبلدات والقصبات، وكان انتشارها ايذانا بحدوث تغيير جوهري في البناء الاجتماعي الكردي، فتشكلت جمعيات (حلقات) كبيرة من المريدين الذين يستوحون تعاليمهم من الاتصال الشخصي بأحد شيوخ الطريقة المجازين من قبل (مولانا خالد) أو احد خلفائه وكان قد انتشر خلفاؤه هؤلاء في شتى الديار وأصعبها وصولاً، ونجم عن ذلك مالا بد منه، اذ ظهرت بوادر منافسة وكراهية بين رجال الدين والامراء ضده، حتى بلغ الامر حد الاثتار لقتله. وكان من أبرز خصومه الشيخ (معروف النودهي) ونفر من العلماء الذين شكلوا مع أرباب الطريقة القادرية جبهة معارضة. لكن الفرق كان واضحاً بين (مولانا خالد) و (الشيخ معروف النودهي) فقد أراد اولهما ايقاظ العاطفة الدينية مستخدماً الطريقة النقشبندية، في حين كان الثاني يمثل اتجاه دينياً محافظاً يشوبه الخوف من العواقب، وبدا جامد على الحرفية فلم يأت بشيء جديد ولم يدل بوجهات نظر تجتذب الاهتمام وتجدد القلوب. بكلمة اخرى لم يكن يمثل نهضة فكرية. لذلك كان النزاع بينه وبين الجديد الذي بشر به مولانا خالد حتمياً. ان الطريقة القادرية التي كان لها الاسبقية الزمانية في كردستان وجدت في شخصية الصوفي (خالد) منافساً وعاملاً مؤثراً في تقليص نفوذها، في وسط هذا الجو السلبي، شق الصوفي (خالد) طريقة الى تحقيق المزيد من النجاح في برنامج - فمحمود باشا بابان يقابله آنأ بالود وأنا بالنفور حسبما تمليه عليه مصالحه في توطيد الامارة وتحكيم قبضته عليها. والشيخ معروف النودهي مع انصاره يصفونه بمختلف النعوت ويلصقون به أشنع التهم. وتناوله الخصوم بالهجاء شعراً ونثراً. واختلاق العديد من الحكايات للنيل من سمعته، هذا السلوك تجاه (خالد) يعكس مشاعر الاحساس بالخيبة والفشل ازاء النجاح الساحق الذي يلقاه بين الجماهير.

على أية حال فان العلاقات بين النودهي ومولانا خالد مرت من البداية بمرحلة حرجة، والخطورة في الامر هي أن يؤدي هذا النزاع الى اشباع روح

المريدين من الطرفين بالعداء والكراهية ومن ثم الى نشوب صراع دموى لانهاية له.

رغم الصراع المشحون بالحسد والكراهية، الا أن موقف (خالد) شابه الكثير من الحكمة ورفض الانجرار الى حلبة الصراع والتناحر، وعندما كان الوضع المتأزم يقترب من الانفجار، كان يترك المدينة ويرحل تجنباً للفتن. لقد تصرفوا بروح مسؤولية عالية بعكس ما شهدناه في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما أقحم قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني الشعب الكردي في حروب أهلية خدمة لغايات شخصية لا تمت بصلة لحقوق الشعب الكردي ونضاله.

لاحق (النودهي) مولانا خالد بسخطه وضيّق عليه السبل. وألّف منظومة في تكفيره¹، وأرسل رسالته المسماة ب (تحرير الخطاب) التي كَفَر بها مولانا خالد الى سعيد باشا ابن سليمان باشا الوزير والى بغداد آنذاك²، وحرّضه على اخراجه من بغداد، وكتب كذلك الى (الملا عثمان الجليلي الموصيلي) يدفعه الى تأليف كتاب في الطعن بمولانا خالد. فأمثّل الموصيلي وألّف رسالة هي بمثابة شرح لرسالة (تحرير الخطاب) سماها (دين الله الغالب) تأييداً لرأي الشيخ النودهي في خصمه. ³ ثم استجار ب (الملا يحيى المزوري) فسافر الاخير الى السليمانية والتقى بمولانا خالد ولما اطلع على حقيقة امره ومبلغ علمه وتحقق من اهدافه قفل راجعاً الى (العمادية) وكله ثناء واخلّص لمولانا خالد وبادر الى تأليف رسالة بعنوان (ثاني نصائح) موجهة الى الشيخ معروف النودهي ينصحه فيها بالاقلاع عن عدائه لمولانا خالد⁴.

¹ محمد الخال (الشيخ معروف النودهي) ص 15.

² نفس المصدر السابق

³ نفس المصدر السابق

⁴ أنور المائي، الاكراد في بادينان، المطبعة العصرية، الموصل، ص 85.

ويذكر (محمد الخال) أخيراً في كتابه هذا أنه (تبين للشيخ معروف النودهي بالأخير مبلغ خطأه فيما كتب ضد مولانا خالد، فرجع عن اتهاماته وأخذ يتوسل لاستحصال رضاه ووسط للصلح والمصافاة العالمين الكاملين الملا حسين القاضي المعروف بابن ملا جامي. والسيد اسماعيل البرزنجي. فأتيا مولانا خالد في بغداد وابلغاه ندامة الشيخ معروف النودهي على ما صدر منه سهوا وطلبوا منه العفو، فعفا عن زلاته وأقال عثراته وهنا حصل الوفاق والوثام بينهما.¹

وبهذا تفادت الشخصيتان اللتان كانا يمثلان أهم طريقتين صوفيتين في كردستان، تفاديا الصراع الديني وأثبتنا نضوجاً واضحاً في التعامل مع خلافاتهما وجنبا شعبهما المآسي.

ويحسن بنا ان نثبت هاهنا مآذره الرحالة البريطاني (جيمس ريج) من رواية متداولة آنذاك عن كرامات مولانا خالد ومكانته الروحية: "في السلبيانية يعيش ولي مسلم عظيم يعرف بالشيخ خالد لايلقبونه الاب (حضرة مولانا) ومن يغفل هذا اللقب يعد كافراً. وهم يلهجون بذكر أحاديثه وتعاليمه حتى ليرفعوها الى مقام النبوة والوحي وهو من قبيلة الجلف ودروشته تحجري على الطريقة النقشبندية اعتنقها في دلهي على يد الصوفي الشهير (السلطان عبد الله) ويبلغ عدد مريديه اثني عشر الفا وهم منتشرون في تركيا وجزيرة العرب والكرد يطلقون عليه اسم (أولياء) اي الولي ومن مريديه باشا السلبيانية نفسه وعثمان الشقيق الاصغر للبasha وجميع الوجوه البارزة تقريباً قال لي عثمان بك - انه مساو للولي العظيم عبد القادر الكيلاني على أقل تقدير ... وكان البasha يظل واقفا في حضرته ويضع في غليونه تبغا. "الحق يقال إن مولانا خالد بشهادة معاصريه جميعهم وبالأثر الذي أحدثه، كان شخصية فذة بالغة الاهمية في تاريخ الصوفية وأبلغ دليل على شدة تأثيره أنه أول من أدخل الطريقة النقشبندية الى جنوب

¹ محمد الخال، الشيخ معروف النودهي، ص 53.

كردستان حيث كانت قاصرة على شياها وكان الجنوب قلعة حصينة لا تقتحم من قلاع الطريقة القادرية.¹

دأب مولانا خالد على نشر الطريقة طوال خمسة عشر عاماً، وفيما كان في إحدى رحلاته العديدة وافته المنية في دمشق في العام 1827 بوباء الطاعون المنتشر آنذاك ودفن هناك. وخلال نشاطه الروحي وبوقت قصير تمكن من أحداث ثورة في قيم المجتمع وحشد الجماهير بسرعة مذهلة، مما يدل على قوة شخصيته الفذة وشعبيته الواسعة.

استمر خلفاءه من بعده² في متابعة عمله الروحي ولم تخمد الجذوة التي أوقدها. لاشك أن مولانا خالد يعتبر منبها دينيا عظيما لجمود الفكر الاسلامي الذي ساد مجتمع المسلمين ذلك العصر. فضلا عن أنه رفع من شأن الطريقة النقشبندية حتى أصبح شيوخها أقطاب جذب للناس من كل حذب وصوب، وأصبح مقام الشيخ رفيعا وطاعته ملزمة وتمتع بصلاحيات واسعة جدا قل أن تتمتع بمثلها رجال الدين الآخرون خارج إطار الطريقة النقشبندية.

كان التأثير الصوفي في كردستان كاسحا في وقت سيادة الروح القبلية المطلقة، لاسيما إبان انتشار الطريقة النقشبندية عمداً اقطاب الطريقة الى تكوين تجمعات اخويات فكرية يلتف حولها أعضاء الطريقة. مثبتة لعلماء الدين الذين قبلوا الطريقة وارتفعوا الى مقام المشيخة صلاحيات يمكن استخدامها لا في المجال الروحي وحده بل في المجال الدنيوي، في حين كانوا قبل ذلك (محض ملالي) مجردين من النفوذ الدنيوي وسلطانهم الروحي ضئيل جدا بحيث كان يعيش بفضلات السلطان السياسي في المناطق التي

¹ رحلة جيمس ريج في العراق عام 1820، ترجمة وتحقيق بهاء الدين نوري، ص 1951 ص 98 و 227.

² من الجدير بالذكر أن (مولوي) الشاعر الكردي العظيم دخل سلك الطريقة النقشبندية.

يسكنون فيها - ذلك السلطان الذي كان وقفا على الامراء والاغوات والبكوات. متطلعين الى عطاء هؤلاء ومايجودون به عليهم.

لقد وجدت تعاليم الصوفية في كردستان مجال اتحاد نادر المثال بين أهدافها الروحية وبين مبادئ الاخلاق والتعامل الاجتماعي في المجموعات القبلية فأثر كل مصدر من هذين المصدرين المتحدين أحدهما في الآخر تأثيرا ايجابيا متناسقا، فكانت النتيجة صلابة النفس ومتانة في الخلق وثقة بالذات.

انتشرت الحركة الصوفية متجاوزة الحدود القومية والقبلية، ويعود ذلك الى أن طموح الصوفية الذي كان في بدايته دينياً محضاً لايتعرض الى الزعامات الزمنية القائمة في كردستان. كانت هناك أربع امارات قوية: السورانية والبابانية والبوتانية والبادينانية لكن الطريقة النقشبندية أنتشرت في أوساط واسعة وتفشيت خلال جميع هذه الامارات رغم أنف السلطان الزمني للامراء ونفوذهم الذي كاد يكون مطلقاً، إذ لا سبيل للجدل فيمن يختار المرید، أيطيع شيخه أم أميره.

في ذلك الحين ماكان شيوخ الصوفية يريدون تحدي سلطة الامير ولا أن يضعوا هيمنتهم على مریدهم موضع اختبار. فقد كانت تلك الفترة بالنسبة إليهم فترة نشر وتركيز تعاليمهم الصوفية، لذلك ساد الاعتقاد بأن الحركة الصوفية لايتدخل في شؤون الحكم أو تهدد سلطة الولاة وأنها تهتم بالجانب الروحي فحسب، وكان هذا من الاسباب الهامة التي ساعدت على انتشارها في كردستان. فقد توهم أولئك الحكام (ولو الى حين) بأن لا ضرر قط من انصراف رعاياهم عن مراقبة ظلمهم وتعسفهم الى التكايا والانشغال بالذكر والتهجد.

بالعكس فقد وجدوا أن ذلك يخدمهم ولذلك فكثيراً ما كنا نرى هؤلاء الحكام المحليين يخطبون ودّ مشايخهم ويظهرون لهم الاحترام ويتقربون إليهم بالعطايا والهبات ويشجعونهم على بث تعاليمهم بل ويسهمون في بناء تكاياهم.

لمحة تاريخية تمهيدية

الفصل الأول

نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

إمارة سوران

كانت الامارة البابانية في عهد مولانا خالد قد بلغت كما اوردنا شفا الانحلال، ولما آذنت شمسها بالمغيب كان نجم امارة كردية أخرى هي الامارة السورانية الى شمال يؤذن بالصعود ومركزها بلدة رواندوز. ففي العام 1827 حيث أتفق وفاة مولانا خالد، تولى الامير (محمد باشا) زمام السلطة في هذه الامارة الحديثة التكوين (في حدود العام 1810) وقد سبق ان عانت فترة من الفوضى والاضطراب في عهد (مصطفى بك الذي تولى السلطة بعد (أو غزبك)¹ مباشرة صارت هذه الامارة منذ نشوئها هدفا للاطماع التوسعية لإمارة بابان وتعرضت للابتلاع تارة تلو أخرى. الا أن ارادة الامير (محمد باشا) الذي لقب فيما بعد بالامير الكبير عندما عظمت شوكته واتسعت امارته قد حفظت للامارة الجديدة كيانها. وكانت الظروف السياسية في هذه المنطقة من العالم وفي كردستان ايضا مواتية مشجعة لتحقيق طموحاته، فالامبراطورية العثمانية كانت قد خرجت لتوها من حروب مع (محمد علي الكبير) والى مصر ولم تستظهر عليه الا بعد تدخل الدول الأوروبية، وكان السلطان (محمود الثاني) قد اتم القضاء على الجيش الانكشاري القديم وبدأ بإصلاحاته الداخلية واولها الشروع في بناء جيش حديث يقوم مقام الجيش المنحل، وقد أدى تحدي الوالي المصري ووالي عكا الارادة السلطانية الى تشجيع بقية الولاة الاقليميين على كسب المزيد من الاستقلال هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الوضع السياسي داخل

¹ المصدر نفسه، ص 20 (تولى حكم الامارة في العام 1815)

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

کردستان في شبه فوضى، ففي الوقت الذي ماكانت جيوش السلطان العثماني لتجروا على النفوذ الى هذه البلاد لتأكيد سلطة الولاية المحليين وسلطة خليفة المسلمين الاسمية. كانت الامارات البابانية والبادينانية في ضمور مطرد. وكما قلنا ظهرت بوادر الانحلال الحقيقي في الجنوب بتناحر امراء البابان على السلطة وتشجيع المؤامرات واغتيال بعضهم بعضاً، وفي الشمال لم تكن اماره بادينان بافضل حالاً من ذلك، فقد كثر الطامعون بالسلطة ونشب الشجار الدموي بين مختلف عشائرها حتى بلغ بها الضعف حداً أغرى الاقوياء بالانقضاض عليها وابتلاعها.

امارة بادينان

ظهرت اماره بادينان الى الوجود في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وعلى هذا تكون قد عاشت ستة قرون ونصف، اي أكثر مما عاشته الدولة العباسية، والاخبار التي رواها السيد الدمولوجي الذي استندنا اليه تثبت لها هذا العمر. في حين ذهب (لون غريك - اربعة قرون من تاريخ العراق) الى انها عاشت سبعة قرون.¹

لقد قُدر لسائر الإمارات الكردية ان تسير في تيار النزاع والصراع بعضها مع بعض بدل السير في اتجاه الوحدة والتماسك. وما ان شعر الامير الرواندوزي بتفوقه وضعف جيرانه حتى جرد حملة ضد هذه الامارة في العام 1832 بعد أن غزا اليزيدية قبل هذا بعام واحد ووقع بهم، فما لبث عساكره أن دخلوا العمادية عاصمة الامارة في السنة نفسها²، وكان قد استولى قبل هذا على مقاطعات عديدة تابعة للامارة كالزيبار وعقرة واخضع قبائلها القاطنة

¹ صديق الدمولوجي - اماره بادينان، ص 18، نقلاً عن المؤرخ شرفخان البديلي.

² أي بعد عام واحد من سقوط بغداد المبتلاة بالطاعون والفيضان والفوضى على يد رضا باشا اللاظ واخذ داود باشا آخر المماليك اسيراً الى الاستانة. (أربيل في أدوارها التاريخية - تأليف زبير بلال اسماعيل ص 356)

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

شرق عاصمتها. لكن قبيلة (الشيرواني) تمردت عليه فلم يصبر الأمير وزحف عليها بجيش كبير، إلا أن الشيروانيين صمدوا وكبدوه خسائر جسيمة وسقط من جانبه عدد كبير من القتلى بينهم قائد الحملة نفسه (أحمد بديري)¹ الذي كانت له عند الأمير منزلة خاصة. وفي النهاية لم يقوى الشيروانيون على الاستمرار في المقاومة واخذت معاقلمهم تسقط تباعا. بعد ذلك اتجهت الحملة الى الزيبار في العام 1814 بقيادة (حسن الرشواني) وابي الزيباريون الخضوع وقاوموا بقيادة كل من (عزو اغا صفتي) و(جوهر اغا نقبوكي) حاكمي الزيبار، وعجز حسن الرشواني عنهما رغم الجهود، فلجأ الى الحيلة والخديعة، إذ عقد معهما صلحا وبعد أن أمّنها قبض عليهما وارسلهما الى رواندوز فاحتجزا فيها. وبهذه الوسيلة تمكن الأمير الرواندوزي من احتلال نصف منطقة الزيبار، إلا أن الأسيرين الزيباريين لم يقنعا بمصيرهما ونشطا وهما في الاسر وسعيا على اثارة القلاقل حتى فرغ صبر الأمير بعد كثير من النصيح والتحذير فدرس لهما السم في الطعام وقتلها.²

كان الزيبار بالاصل جزء من الامارة البادينانية، إلا أن المقاطعة كانت تخرج عن سلطة الأمير الباديناني في فترات الضعف، فيستقل رؤساء القبائل كل في منطقته خلفاً بعد سلف ويتقلص نفوذهم عندما يتولي الامارة امير قوي، إذ ذاك تغدو صلاحياتهم قاصرة عن تنفيذ الاوامر الصادرة من العمادية، ومن هذا يستنتج القارىء ان اصطدام الأمير الرواندوزي بزعماء قبائل الزيبار لم يكن لغرض تقويض أركان امارة بادينان التي تعتبر الزيبار جزء منها فحسب، بل كان كذلك بسبب تحدى هؤلاء الزعماء القبليين له ودفاعهم باستماته عن امتيازاتهم المتوارثة وسلطانهم الواقعي على قبائلهم، لاسيما وان رؤساء الزيبار كانوا في تلك الفترة (1812) شبه مستقلين نظرا

¹ امارة السوران.

² امارة السوران

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

لضعف الامارة بسبب تقلص سلطة أميرها (سعيد باشا). بالإضافة الى هذا كانت روح الانتماء القبلي في الزبيار تنفر من الخضوع لحاكم رواندوز.

عندما وقعت الزبيار في قبضة الامير، اهتم بأمور المواصلات فيها، فأقام دعائم قوية فوق الانهر والجداول ومدّ فوقها معابر وجسور للناس ولقوافل الحيوانات، فقد كان يدرك أن انعدام المواصلات يؤثر في تقوية نزعات الاستقلال المحلي ضده ويرخي قبضته على أنحاء إمارته، كذلك كانت ضرورة عسكرية لأنها تؤمن لقواته سرعة الحركة والانتقال حالاً لمكان الفتن والقتال والقضاء عليها وهي في مهدها.

وكان الأمن مستتباً خلال حكمه الذي امتاز بالصرامة ضد الشقاّة والعابثين وإنزال العقاب الرادع بهم مستنداً الى النصوص الشرعية. وقد عُرف بثقته المطلقة برجال الدين (الفئة التي كانت تتظاهر في المجتمع الكردي بالمعرفة والعلم في شتى المجالات) فمعتدّه (ملاختي) عدّه الكتاب الكردي من بين اولئك الذين عملوا على قتل روح المقاومة في صفوف جيش الامير الرواندوزي ولدى الامير نفسه واشاعة الروح الاستسلامية أمام الجيش العثماني المعتدي بمنطق ديني مترمّت.

ثلاثة من ولاية العثمانيين العظام (محمود باشا اينجه بيرقدار) والي الموصل (محمد رشيد باشا) والي سيواس و (على رضا باشا) والي بغداد، هؤلاء قادوا أعظم حملة جردتها الدولة العثمانية في العراق منذ أن غزا السلطان (مراد الرابع) هذا القطر وفتحه. وكان ذلك لا بد منه، فما حققه أمير رواندوز من توسع بابتلاعه الامارة البادية كان يهدد إمارة (بوتان) الكبيرة. إن لم تنته بالمصير الذي آلت اليه إمارة بادينان، فليس من المفر أن يقتطع جزء كبير منها. فالامير الرواندوزي كان قد شنّ الحرب على جميع الامارات الكردية بغية ضمها اليه. هذا فضلاً عن أن الدولة العثمانية كانت مرتابة في التوسع الذي اصابه الامير السوراني، وكانت الدولة قد خطت للقضاء على استقلال

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

الإمارات الكردية وجهزت للمهمة جيوشا عظيمة.¹ وفقت السلطة التركية في القضاء على الامارة السورانية دون أن يكلفها ذلك كثير من الجهد أو التضحيات. فقد لجأت الى الوعود المعسولة والمخادعة وهو سلاح طالما استخدم بنجاح في تاريخ الشعب الكردي لقمع انتفاضاته واسكاته، فقبل أن يصطدم الجيشان، أقنع الامير بالسلم ورهن مصيره بمشيئة السلطان ورحمته فاستسلم للقادة الثلاثة الذين نقلوه الى الاستانة ثم الى طرابزون حيث قتل بامر السلطان في عام 1836.

كانت الفترة التي اعقبت مقتل الامير (محمد باشا الرواندوزي) وتقويض البناء الاداري الذي شاده، حلت فترة انحلال وفوضى سادتها اعمال الشقاوة في بعض المناطق التي كان قد بسط سلطانه عليها.

وخلال السنوات العشر التي تلت وفاة (مولانا خالد) ومقتل (محمد باشا الرواندوزي) وجدت الطريقة النقشبندية منفذا لها في اجزاء من الامارة السورانية. إلا أن نفوذها كان محدوداً لا يتعدى عتبات المساجد والمدارس الدينية (التكايا). ويعقب صديق الدمولوجي² على فترة انتهاء حكم امارة رواندوز بقوله "عندما وضعت الدولة العثمانية يدها على هذه الامارة عملت على تثبيت الاقطاع ودعمه بنظام متفسخ سخرت جهاز الدولة لتدعيمه واطهاره بشكل مركزي قوي، وهكذا أصبحت الكلمة للاقوياء من الرؤساء الاقطاعيين. وكان من نتائج ذلك انعدام الامن والاستقرار وكثرة اعمال الشقاوة والسلب فاضطر الناس الى التسلح".

عاد ممثلو الادارة المحلية الى الاقضية البادية وهم يحملون فكرة معينة عن السياسة الجديدة التي سيتتجهونها ازاء الوضع الجديد في المناطق التي شهدت ميولا استقلالية. فكانت سياسة سبق للدولة العثمانية ان رسمتها

⁽¹⁾ امارة بادينان. ص 49

⁽²⁾ المؤلف (صديق الدمولوجي) ذو خبرة اكتسبها من قضائه شطرا كبيرا من حياته موظفا اداريا عثمانيا في انحاء كردستان ولا سيما في منطقة بادينان.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

لاولئك الموظفين بدت للملا باثقال كواهل المواطنين بالضرائب. وخف رؤوساء القبائل (الاغوات) ليكونوا عوناً لاغنى عنهم في تنفيذ هذه السياسة. كان الامير الرواندوزي القليل وهو في سبيل تثبيت سلطانه قد عمد الى تقليص نفوذ هؤلاء الاغوات والرؤوساء بعزلهم أو احتجازهم أو التخلص النهائي ممن لاأمن جانبه، إلا أن عودة النفوذ العثماني اعاد سيطرتهم فاصبحوا بمثابة عملاء للإدارة العثمانية لقاء رعاية مصالحهم الخاصة والمحافظة عليها من قبل تلك الادارة التي وسعت من دائرة الضرائب حتى شملت الجميع مرتبة ترتيباً تصاعدياً بحسب المنزلة الاجتماعية للأفراد، ففي القرية الواحدة مثلاً يشخص ثلاثة منازل او طبقات (دنيا ووسطى وعليا) ولناخذ قرية (هه رني) الواقعة غربي الزاب نموذجاً. كانت هذه القرية بمثابة عاصمة منطقة الزيبار، يعيش فيها أقوى أغواتهم. هؤلاء الأغوات عقدوا حلفاً مصلحياً مع الادارة العثمانية من مقتضاه التعهد بدفع نسبة معينة من المال الذي يجبونه من القرويين على شكل ضرائب وكانت الدولة تستوفي ضرائبها نقداً، لاعينا، وقد أدى هذا بالفلاحين العاجزين عن الدفع الى بيع أراضيهم للأغوات بالثمن البخس الذي يقرره هؤلاء لتسديد ديونهم المتراكمة للحكومة. وهذا يفسر ظاهرة وجود املاك عقارية للأغوات في قرى بعيدة عن مواطن سكنهم.

الاقتصاد القبلي والضرائب الحكومية

سيكون بحثنا هنا قاصراً على المناطق التي تسكنها قبائل (مزوري - شيرواني - گهردي - زيباري - دوله مهري) التي تمتعت بفترة قصيرة من الاستقرار تحت حكم الامير الرواندوزي. هذه المناطق من الناحية الجغرافية تعتبر جبلية ومعظم قراها متناثرة في الوديان واطرافها في المرتفعات، وهناك اسباب عديدة لاختيار مواقع القرى على هذه الصورة اهمها امكانية مزاوله الزراعة وتربية قطعان الغنم والماشية وتوفير المياه وملاءمة الموقع للدفاع.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

من جبالها المعروفة (سهري كوري - شيرين - بيرس - بيران - ثيل - هوري - سه ري بوتين) وهي تغطي معظم المنطقة، لاترك لسكان القرى الا مساحات صغيرة جداً للزراعة تتخلل تلك الجبال الصخرية. ومياه الانهر والجداول عديمة الفائدة زراعيلا لارتفاع الاراضي عن مصادرها.

قبل التهجير والتعريب الذي جرى بعد انهيار القيادة الكردية عام 1975، كانت هذه المنطقة تضم حوالي 170 قرية، وأغلب هذه القرى لم يكن عدد بيوتها يتجاوز الخمسة عشر بيتا الا القليل. وفي النادر أن نجد قرية فيها يزيد عدد بيوتها عن المائتين.

اقتصادها زراعي - رعوي، يزرع الفلاح هناك القمح والشعير تأمينا لقوت يومه، ولما لم تكن حقوله الصغيرة كافية المردود لما يسد الرمق فهو يلجأ الى الطبيعة عادة لسد العوز والنقص بطحنه البلوط الجبلي دقيقا وعجنه وانضاجه خبزا، وقد أيد ذلك القس البريطاني (ويگرام) عند زيارته قرية (ارديل) المسيحية في مفتتح هذا القرن العشرين، فقدم اهلها لضييفهم الممتاز هذا خبز البلوط اذ لم يكن لديهم غيره.¹

الاقتصاد المحلي في هذه المنطقة بدائي بسيط، يقوم على أساس المقايضة، إما بالسلع المصنوعة محليا وإما بالخدمات. والثروة الحيوانية قليلة بسبب قلة المراعي وكثرة الوافدات والابوة الحيوانية التي كانت المنطقة تبتلى بها بين حين وآخر، فتأتي على القطعان والدواجن. ويتعذر على القروي اختزان البذور للموسم القادم بعد أن يكون قد اضطر الى استهلاكها في الشتاء، ولا يجد من القوة الحيوانية مايساعده في اعماله الزراعية. فضلا عن قسوة الطبيعة والافتقار الى وسائل درء اخطارها. فمثلا تحدد الثلوج المتراكمة شتاء عدد الاغنام التي يتمكن الراعي من تربيتها في منطقة المزوري.

¹ مهد البشرية (ديبلو. أي. ويگرام) تعريب وتعليق جرجيس فتح الله، ص: 145، ط. بغداد 1971

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

وتدر البساتين محصولاً لا بأس به من الثمار والفواكه، وفي مقدمتها الكروم التي يعصر عنبها ليستخرج منه عسل العنب الكثيف (الدبس) كما تجفف عناقيده زبيباً، فضلاً عن الجوز والبلوط والتين التي تدخر قوتاً للشتاء.

والفت المجموعات المتقاربة من القرى ما يشبه التعاونيات الاقتصادية البسيطة ذات الاكتفاء الذاتي، وتخصصت فئات في بعض الصناعات المحلية، فمثلاً اختص اليهود تقريباً في حياكة الاقمشة التي تصنع منها الثياب الكردية التقليدية. فكان القطن مثلاً يُجنى ليسلم الى النسّاج فيقوم بحياكته لقاء سلع عينية يتفق عليها¹، وهكذا قس على النجار والحداد وسائر صناعات ادوات الزراعة.

الثروة الزراعية في مثل هذه الظروف لم تكن شيئاً مذكوراً، لاسيما إذا فكرنا بطبيعة الانتاج المتخلف وعامل قسوة الارض وقلة الاراضي الزراعية. وفقر الفلاح حيث كان في معظم الاحوال لا يملك الحيوانات الكافية لتعوض عن العمل بالفأس والمحراث اليدوي.

واتخذ الصيد حرفة ومورد رزق لا هواية. لجأ اليها الفلاح لسد نقصه الغذائي، كذلك عمل الى جني الثمار البرية في مواسمه متعهدا اشجاره بالعناية، اذ كانت مورد رزق هام.

هذا النوع من الاقتصاد لم يكن أفقه يتسع لعلاقات اقتصادية معقدة عصرية (كالتصدير والاستيراد والخزن والاحتكار والمضاربة) الا في النادر من الاحوال. فالاحذية كانت تصنع محلياً من الجلد غير المدبوغ أو تحاك من شعر

¹ من الطريف أن نذكر هنا أن يهود كردستان عند تركهم المنطقة في منتصف هذا القرن بعد سماح الحكومة العراقية لهم بالهجرة الى فلسطين قد خلفوا فراغاً وازمة بخصوص حياكة الثياب الكردية لم تنفج بعد زمن طويل الا بقيام عدد من الشركات الاجنبية بصنع آلات حياكة لتقليد هذا النوع من النسيج.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

الماعز او تحصف من الخرق. كذلك كانت الاقمشة والسجاجيد واللباد تصنع وتحاك من صوف الغنم.

كل هذا والفلاح الكردي يخضع لقانون الضريبة العثماني. والي تكاليف السخرة المجانية للاغوات الحاكمين. فالتعامل الحكومي الضرائبي كان يضع على كاهل الفلاحين الفقراء انواع مختلفة من الضرائب. والقاعدة العامة هي أن يدفع كل فلاح عُشر غلته. وكل صاحب قطيع غنم ومعز العشر منها، وتسمى (الكودا) وتدفع نقدا لا عينا على أساس الرؤوس - وتجبي الحكومة هذه الضريبة الاساسية عن طريق ممثليها مباشرة إذا كان نفوذها قويا. أما إذا كان نفوذها ضعيفا فانها تكلف الاغا أو رئيس القبيلة ليقوم مقامها في الجباية لقاء جعل معين مما يجبي. فضلا عن هذين النوعين الرئيسيين من الضرائب، أعني (العُشر والكودا)، كانت هناك ضرائب اخرى لا تدخل في نطاقهما ومنها:

ضريبة (المتاع) ويلفظها العامة (التمتع) وتفرض على المتاع والاثاث المنزلي.

(رزانه) البساتين وتفرض على محصول البساتين والفواكه.

(كرانه) تفرض على كل حيوان عمل أو ركوب.

(جبلانه) تفرض على الأسر التي تملك أبقارا بنسبة العدد الذي تملكه منها.

(دركانه) اي ضريبة الباب وتفرض على المنزل الذي تسكنه الاسرة.

فضلا عن الضرائب الحكومية، كان الفلاح مرغما على أداء اعمال السخرة للآغا وتقديم جزء من محصوله السنوي الزراعي أو الحيواني. وقد شهدت (الزيبار) ضرائب تفرضه على أعمال موسمية. كعملية استخلاص عسل العنب (الدبس) فالفلاح هنا يدفع مجيدياً واحداً (خمسة قروش) ولقاء كل ليلة عمل، وهو مبلغ كبير في ذلك الزمن. فاذا امتد العمل به شهراً، كان عليه ان يدفع ثلاثين مجيديا.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

كان الاغا يفرض من جانبه اتاوات نقدية على الفلاحين هي أشبه بالغرامة على المخالفات، وكان ثم ضريبة أخرى يدفعها المتخاصمون للأغا لقاء المجهود الذي يتكبده في تسوية النزاع. وهناك ضرائب أخرى طارئة وظرية فقد كان اغوات قبيلة (شيرواني) مثلاً يتقاضون ضريبة عند تزويج فتاة. وأصبحت عادة تقديم الرعاة رأساً من الغنم بمناسبة الاعياد والافراح من قبيل الفرض الواجب، يطالب بها الراعي عندما يغفل عنها ويجبي الاغوات ضرائب على استعمال مراعيهم بمثابة ايجار.

في ظل هذا الوضع الاقتصادي عاشت قبائل (مزوري-زيباري- شيرواني-دوله مري- گهردي) خاضعة لسلطان ونفوذ الاسر الاقطاعية وذلك بعد أن انتزع الاتراك السلطة من امير رواندوز فاصبحت هذه الفئة من الاغوات همزة الوصل بين سواد القبائل وبين الموظفين الاداريين وكونوا بالتدريج الفئة الاقطاعية الجديدة التي خلفت فئة الامراء.

ولناخذ على سبيل المثال اسرة (تترخان). هذه الاسرة حكمت الزيبار بعد أن ضعف اغوات بارزان. وقد أخذ نفوذها في تصاعد مطرد واتخذت مقرها قرية (هرني) غرب الزاب، ثم أنشعبت باتفاق بين افرادها الى اقسام، فاستقل كل قسم بحكم مقاطعة تضم عددا من القرى. كمقاطعات شوش وگوندكي وبهروژ. وكان هؤلاء الأسياد الحاكمون يعينون من لدنهم وكلاء لهم في القرى لادارة مصالحهم وضمانا لجباية ضرائبهم بانتظام. واداء مايترتب عليهم له من اتاوات وتكاليف، كبناء قصر الاغا في القرية والاحتطاب له متى اقتضى ذلك وتزويده بالثلج في ايام الصيف يجلبونه من أعالي الجبال محمولا على ظهورهم.

مقاطعة بهروژ- بارزان

لفظة (بهروژ) الكردية تعني (بمواجهة الشمس). وهي تطلق على سفوح الجبال التي تواجه اشعة الشمس. وعكسها لفظة (نزار) التي تطلق

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

على السفوح التي لا يصيبها الا القليل من اشعة الشمس. وهما على التوالي تقابلان لفظتي Sunny و Shady الانكليزيتين تقريبا. وليلاحظ القارئ ان لاعلاقة ثم بين اسم المنطقة هذا وبين كلمة (بهروژي) الكردية أي (الصائم) كما ذهب اليه السيد معروف جياووك مؤلف كتاب (بارزان المظلومة)، فمصطلح (بهروژ) هو محض وصف لظاهرة طبيعية بارزة في سفح جبل شيرين الذي تسقط عليه أشعة الشمس ولا تنحسر عنه من الشروق حتى لحظات الغروب الاخيرة.

تزرخ هذه المنطقة باثار الديانة المسيحية العمرانية، فأطلال الاديرة والبيع ولا سيما في جبل شيرين مازالت قائمة شاخصة حتى يومنا هذا ويمكن لزائر لهذا الصقع ان يجوس خلال خرائب دير في موقع رائع يطلق عليه القرويون حتى يومنا هذا اسمه السرياني¹ (سورّي ديري - أي دير السريان) وهو مبني بالصخر والملاط سميك الجدران الى درجة تلفت النظر ذو طبقتين. تجري خلاله قناة تروده بالماء ويتبين من الخرائب انه بني بدقة وعناية. ومع انه يقع الان في بقعة بعيدة عن العمران والبشر، الا أن ما بذل في سبيل تشييده من عناية ودقة يدل على أن المنطقة المحيطة به كانت مأهولة بالسكان في أيام انتشار المسيحية وازدهارها في تلك الربوع او أن البقعة اختيرت بمنأى عن الناس لتؤمن العزلة التي ينشدها النساك والرهبان كما جرى عليه التقليد في عصور المسيحية الاولى. وهناك أديرة صغيرة اخرى تشاهد بكثرة في طول منطقة الزيبار وعرضها.

كان العنف ورفض الخضوع للقانون، الطابع الظاهر عند سكان منطقة (بهروژ) وعندما فتح هولاء القبليون العتاة صدورهم لتعاليم الصوفية ومن مقتضاها التمسك بشعائر الدين مارسوا تلك الشعائر بإخلاص، وبالتدريج حل الفكر الديني وانعكس هذا في اعمال الناس وتصرفاتهم اليومية.

¹ ربما كانت كلمة كردية (سورّي) أي صخرة. فيكون الاسم (صخرالدير) ومن المفيد أن نذكر هنا أن الاب الدومينيكي (جان فييه) كتب بحثا ممتعا مستقيضا عن الآثار المسيحية في كردستان العراقية طبع بمجلدين باللغة الفرنسية. وقد جاء فيه ذكر هذا الدير وغيره في منطقة (بهروژ)

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

يبلغ ارتفاع جبل شيرين 2378 متراً وتتناثر على قدمته القرى على شريط من ارض بين نهري (روكوجك و رومه زن) من تلك القرى نخص بالذكر (هوستان - سريشمى - هه سنه كا - ببان - هه سني - آسته - بليى العليا - بليى السلفى - كه لافا - هه فنكا - آليا - هه مدلا - ره زيا - دلان) وغيرها.

قرية (بارزان) تتوسط القرى المذكورة، وهي مركز لأسرة من الاغوات لم يتأت لهم نفوذهم من غناهم وسعة املاكهم، بل لاشتغالهم بأعمال العنف واقحام أنفسهم في المغامرات والمعارك والمجازفات. استهانوا بالحياة واسترخصوا كل غال في سبيل السطو والنهب والسرقات من القبائل المجاورة والبعيدة، وقد بقيت هذه النزعة موجودة حتى مابعد النصف الثاني من القرن العشرين لدى اغوات الزيبار. أشبهوا بخشونتهم طبيعة اراضيهم القاسية. واول مظهر هؤلاء على مسرح الاحداث هو عندما قادوا رجال قبيلتهم الاشداء الشجعان الى (قلعة قمرى) لجباية الخراج من أهلها. كان ذلك على أغلب تقدير في زمن بين 1825 - 1835 وقد خلد شعراؤهم هذه الواقعة في قصائدهم وأحاديث رواتهم، ومن بينها قصيدة لشاعر مجهول خصب الخيال، يبالغ فيها لحدود غير معقولة شجاعة المغيرين من بني عشيرته، مازال الناس ينشدونها في مجالسهم الشعبية¹ ويتغنون بها بوصفها من الشعر القبلي الحماسي. لقد اسفرت هذه الحملة، وهدفها السلب والنهب، عن مقتل احمد آغا واتباعه بسبب وقوعهم ضحية مكيدة دبرها لهم عبد الرحيم بك البرواري بالتعاون مع حلفائه الآثوريين التياريه.

كان أكثر العشائر الكردية تعيش في حالة من فوضى. وكل واحدة منها هي أما في حالة دفاع مسلح أو هجوم، أو في الحالتين معاً بحسب الظروف. وأغلب النزاعات الداخلية تنشب في الاستباق على حيازة المراعى. او توزيع مياه الارواء. أو لاسباب تافهة تؤدي عادة وبشكل فوري عفو إلى الاحتكام إلى السلاح. فيشتبك الخصوم في معارك دموية خاطفة تسفر عادة

⁽¹⁾ انظر الى الملحق الخاص بهذه الملحمة، (ملحمة قومري) في آخر الكتاب

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

عن سقوط عدد من القتلى. في الواقع ان هذه النزاعات الداخلية في (بهروژ) حالت دون تنامي نفوذ اغواتهم لان تعاقب طلب الثأر والثأر المضاد كانت تسفر عن هلاك عدد لا يستهان به من افراد اسرة الاغوات. ففي محاولة ثأرية مثلاً يقتل (المسنون عدد من الاغوات في بارزان، فيسفر ذلك عن تأجيج نار الثأر عند (البهروژيين) وفي حادث آخر يهاجم (المسنون) قرية (بيان) المجاورة فيقتلون سبعة من رجالهم ويلوذون بالفرار الى (گهقه رابه نان)¹. بالاضافة الى هذه النزاعات الدموية داخل (بهروژ) كانت المقاطعة نفسها هدفا لغارات قبيلة (المزوري)، فكانوا يهاجمون قرية (هه سنه كا) بدون سابق انذار أو سبب وياخذونها على حين غرة ولم تكن متهئية، فينهب المغيرون منازل القرية كافة ويفتكون بعدد من رجالها ويخرجون الماشية والاعنام من الحظائر ويسوقونها امامهم صعداً في شعاب جبل شيرين.

أن الحوادث المماثلة هي أكثر من أن تحصى. وهي جزء لا يتجزأ من حياة المنطقة.

قُدر لقرية بارزان الصغيرة هذه أن تحمل مشعل الصوفية النقشبندية عالياً، وافلح شيوخها بعد زمن يسير في تغيير سلوك وأخلاق رجال القبائل من المشاكسات والعنعنات القبلية ومن حروبهم التي لانهاية لها، الى القيم الروحية والإنسانية وتهذيب النفوس ومن ثم الى تبني قيم العدالة والتصدي للنظام الاقطاعي الجائر في الزيبار والعشائر المجاورة، ومن ثم الى العمل في الميدان الوطني لمقارعة الحكومات المستبدة المتعاقبة على حكم البلاد، فاحتلت لنفسها مكاناً في تاريخ الشرق الادنى السياسي لا يجادل فيه اثنان.

⁽¹⁾ ضمت الى تركيا بعد تقسيم كرستان.

بارزان :

سكن قرية بارزان كل من اليهود والمسلمين والمسيحيين معاً، وكان لكل من اتباع هذه الاديان الثلاثة أماكن عبادتهم الخاصة يمارسون فيها شعائرهم الدينية في جو من التسامح المتبادل. ويذكر المعمرون من أهل القرية أن اليهود فيها كانوا أكثر عدداً من المسيحيين والمسلمين مجتمعاً. وتدل أسماء البساتين التي تجاوز المائتين على ذلك، فهي مازالت تحمل أسماء مالكيها الاوائل. مثلاً: بستان اليوك، بستان بولس، بستان القس، بستان الدير، بستان موشى... الخ. ويُدل استغلال هذه البساتين المسيحية من قبل اتباع الاديان الثلاثة وعدم نشوب أي منازعة حول تنظيم اوقات الارواء على حسن التفاهم وروح التسامح المتناقضة تماماً مع التعصب الذي يسود المجتمعات البدائية عادة. ورغم تقلص عدد المسيحيين في المنطقة فقد ظلت قرية (بيديال) مسيحية خالصة وكذلك (ارديل). إلا اننا لن نجد قرية خالصة لليهود. وفي الواقع لا تنفرد (بارزان) بهذه الظاهرة فمعظم قرى (بهروژ) كانت مشاركة بين أهل هذه الديانات. إلا أن بارزان تمتاز عن سائر القرى المجاورة بكونها أكبر وأكثر احتشاداً بالسكان، ولهذا كانت تزود القرى المحيطة بالطواحين المائية وتتركز فيها بعض الصناعات التي تحتاجها تلك القرى.

يقول (معروف جياووك): "كلمة بارزان على ما اخال نسبة الى عشيرة (بهرازي). أو أنها اسم جدهم الاعلى ومعناه (حامل الحق) أو (عارف الحق) أو هي مقلوبة من (بارسان) اي الدراويش او (برازان) اي (اخوان الصفا). وهو على كل حال اسم لعشيرة كبيرة في شمال العراق، وأني اعتقد بأنهم بالاصل من عشائر (هكاري) الخالدة الاصل والنبل. سكنت الجبال بعيدة عن غوائل العشائر وهجمات المغول. وهم ينقسمون الى أسر وافخاذ وشُعب اهمها (شيرواني، مزوري، هركي)...". ثم يستطرد: "... والشيوخ الحاليون

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

هم من احفاد (الشيخ تاج الدين النقشبندي الخالدي" الذي اشتهرت اسرته في الزيبار وبادينان"¹.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مصطلح (عشيرة بارزان) لم يكن شائعاً بعد خلال القرن التاسع عشر، فهذه التسمية حديثة جداً شاعت بعد أن انقسمت العشيرة الزيبارية إثر صراع كان فيه الاغوات طرفاً والشيخو طرفاً معارضاً. فبعد أن احتدم النزاع وانقلب الى صراع دموي، انشعب الزيباريون الى قسمين - قسم بقي خاضعاً للاغوات موالياً لهم وقسم انتصر للشيخ المستقر في قرية (بارزان) وعندها عرف هذا الشيخ بـ (البارزاني) ولقب أتباعه بالبارزانيين نسبة الى القرية. وفيها تكية الشيخ، تمارس فيها شعائر الطريقة وتدرس أصولها. وحيث اصرحه المشايخ ذوو المكانة في قلوب الاهالي. وقد أثر عن الشيخ عبد السلام الأول قوله "أني خالدي الطريقة" و "زيباري العشيرة" و "بارزاني المسكن" ويعني بها أنه قروي من قرية بارزان"²

وعن الذين يعرفون اليوم بالزيباريين يذكر صاحب (إمارة بادينان). "... أن عشيرة الزيبار هي من أهم عشائر بادينان سميت باسم المكان الذي تسكنه، واخذت الصفة بسبب احاطة نهر الزاب الكبير بالموقع من الشمال الغربي، وورد اسم القبيلة في الشرفنامه واعتبرها البدليسي ثاني عشائر بادينان، وذكر من قلاعها الشوش، عمراني، بازيان (لعلها بارزان)³.

⁽¹⁾ معروف جياووك (بارزان المظلومة) الواقع لم يكن تاج الدين على قيد الحياة عصر مولانا خالد، ولذا المعلومة خاطئة.

⁽²⁾ انظر الملحق (قصيدة الشيخ عبد السلام) التي تعكس المظهر الثاني للتناقض الاجتماعي

⁽³⁾ صديق الدمولوجي (امارة بادينان) ص 135.

مسجد بارزان:

ذكر مؤلف (امارة بادينان)، كان الشيخ (عبد السلام)¹ يشتغل بالتدريس في بارزان وأن "... طلاب العلم كانوا يقصدونه من أقصى بلاد كردستان". وأقول من بين المشاهير الذين وفدوا الى بارزان طلبا للعلم الشيخ عبيدالله النهري ابن السيد طه. تسلم السيد طه النهري الطريقة من مولانا خالد وبدأ خطوته الاولى في ارساء اسس مشيخة نهري في حوالي العقد الثالث من القرن التاسع عشر. وقد أنتشرت في سائر مناطق حكامي الجنوبية والوسطى وانفتحت لتشمل في وقت ما الشمال الغربي من كردستان إيران. تغلغل نفوذ النهريين في اوساط الشيروانين والمزوين وعلى الاخص في عهد الثائر ضد الامبراطوريتين² العثمانية والأيرانية الشيخ عبيدالله النهري وفي بارزان أيضا كما في نهري كان (ملا عبد الرحمن) قد تسلم هو الآخر اجازة الطريقة في ثلاثينات القرن نفسه وهو أول شيخ نقشبندي معترف به يظهر في بارزان ويقوم بالدعوة الصوفية وهو ابن ملا عبد الله ابن ملا محمد واضع الخلية الصوفية الاولى في بارزان.

على الأرجح كان (عبد الرحيم) أكبر أبناء ملا عبد الله. لكن لظروف نجهلها حيل بينه وبين الاقتداء بأبائه فاشتغل في الزراعة. وفي آخر سني حياته كف بصره فكان موضع رعاية شقيقه. أما (عبد الرحمن وعبد السلام) فقد اتجها الى التحصيل الديني والفضل في هذا يعود الى والدهما العالم (ملا عبد الله) الذي حثهما على طلب العلم منذ الصغر. وكانت سنة العصر ان يتأثر الابناء بخطى الآباء والابن يشعر بتأنيب الضمير عندما يُقصر عن السير على نهج السلف ويعتبر نفسه فاشلا في حياته لذلك كان الانصراف الى العلوم الدينية مدار حياة افراد هذه الاسرة.

⁽¹⁾ صديق الدمولوجي. ن. م. س.

⁽²⁾ للمزيد من التفاصيل راجع كتاب (الصراع على كردستان) تأليف الدكتور ن- آ - خالقين (في فصل تصاعد حركة التحرر وانتفاضة عبيدالله) ص 111.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

الشيخ عبد الرحمن اذن هو أول من نشر التعاليم النقشبندية في الزبيبار. والغموض لا يزال يكتنف المعلومات حول المكان الذي تم فيه تلقي الطريقة منه. فبعضهم يذهب الى انه تسلمها في قرية (تهويله) ويرى آخرون انه تسلمها من مولانا خالد مباشرة. ويرجح آخرون أن مولانا خالد الذي كان يرسل مبعوثيه الى كل الجهات ربما بلغ أحدهم مسقط رأس ملا عبد الرحمن فتتلمذ الاخير عليه وتسلم منه اجازة الارشاد، فأصبح شيخا للطريقة هناك.

في زمن الشيخ عبد الرحمن كان مسجد قرية بارزان يضم عدة حجرات ومصليات. والملاحظ ان بناءه كان يمتاز عن ابنية تلك الانحاء بالضخامة والسعة والمتانة ونوعية مواد البناء، إنك لتجد اسم البناء الذي شيده منقورا على القوس الحجرى الذي يتوج أحد الابواب الداخلية باللغة العربية هكذا (عمل باز ابن زريه) فضلا عن آيات قرآنية على جدار المسجد¹ ولا توجد تواريخ على الجدران، ويبدو الحفر والنقش باهتين مطموسين بعامل تقادم الزمن ونمو نبات الطحلب فوقها. وأهل القرية يجهلون الفترة التي بني فيها، إلا أنهم يتناقلون الحكاية الطريفة الشائعة عن ظروف بناء المسجد، فيقولون في صيف قائط استلقت نظر القرويين مجموعة من العصافير تدخل شقا في الارض وتخرج بعد برهة وريشها مبتل بالماء، وقد تكرر هذا الفعل مما دفعهم الى حفر الارض في تلك البقعة التي كانت مخصصة بالاصل لاوساخ القرية التي تكدست بعضها فوق بعض بمرور السنين. بعد أن مضوا في الحفر شوطا ارتطمت فأس أحدهم بصخرة، فبدأوا يرفعون التربة عما حولها. وصار يظهر لديهم شيئا فشيئا بناء وفي داخله نبع غزير ذو ماء رقيق نيمير. وكان البناء معبدا في الظاهر. فقاموا بإصلاحه وتنظيفه واعتبروه هبة سماوية.

¹ هدم هذا المسجد الأثري لأول مرة بقنابل طائرات حكومة حزب البعث العربي الاشتراكي العراقي صيف عام 1963.

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

وبمرور الزمن وزيادة الحاجة أضيفت اليه ملحقات كالمصليات وعدد من الحجرات الواسعة.

إن وجود النبع داخل المسجد لا ينفي رواية أهالي القرية المتناقلة أباً عن جد، كما لا يثبتها بطبيعة الحال. ولربما أضفى على القصة خيالها الشائق فيما بعد، إذ بدون اقحام قصة العصافير والنبع لا يبقى في الاسطورة طرافة. لا شك ان العصافير المباركة كانت تتكبد عناء رحلة طويلة في اعماق الارض لتبلغ الماء.

على أية الحال كان المسجد قبل ان تهدمه القنابل على الصورة التالية (انظر المخطط في الملحق)

(1) ثلاثة ابواب معقودة، الباب الاول منها يقود الى باحة صغيرة وفي هذه الباحة يواجه الداخل باباً يؤدي الى (حجرة الماء) والباب الثاني يؤدي الى ساحة المسجد الواسعة.

(2) حجرة الفقهاء أو التلاميذ (حجراً فريقياً)

(3) حجرة فوق القوس يجلس فيها العلماء (حجراً سهركفاني)

(4) حجرة فوق المدرج مخصصة للضيوف الصوفيين (حجراً سهردهرجي)

(5) حجرة القوس وهي مكان جلوس الشيخ قبل أداء الصلاة (حجراً كفاني)

(6) حجرة المكتبة (حجراً كتيبياً)

(7) حجرة الحوالة وهي غرفة أشبه برواق طويل فيها قاطع لتهيئة الشاي وتقديمه للضيوف، معظمها وهو الباقي منها خصص لاقامة الوافدين.

(8) حجرة خاصة لخزن الخشب الوقود والخطب (حجراً داراً)

(9) مصلى الصخرة المدورة (آقدي به ري خر)

(10) مصلى النار (آقدي آغري)

(11) مصلى قنديل (آقدي قهنديلي)

الفصل الأول: نهاية عهد الامارات وبداية ظهور المشيخات النقشبندية

- (12) مصلى الدورين (آقدي دوريا)
- (13) مصلى الماء (آقدي آق)
- (14) حجرة للغسيل.
- (15) دورة المياه وتتألف من قرابة عشرين مقصورة.
- (16) مقصورة لغسل الموتى.

وقفت المكتبة لفائدة التلاميذ ومراجعتهم العلمية. وفضلا عما كانت تحتويه من مختلف الكتب المطبوعة ضمت مجموعة من المخطوطات لكتاب وعلماء دين كُرد. لقد اتت النار على هذه الكتب في اثناء حياة الشيخ عبد السلام الاول ولم يسلم منها الا النزر اليسير، ويروى عن سبب اشتعال النار فيها ان الشيخ الزعيم الوطني (عبيد الله النهري) قائد ثورة 1881 - 1882 الكردية كان وهو تلميذ في بارزان في مكتبه يطالع ليلا على نور مصباح زيتي. فغلبه النعاس وسقط المصباح فانتشر زيته والتهب. ولما استيقظ وجد السنة النار تتصاعد حوالية فصرخ مستغيثا وجاءت متأخرة، اذ كانت النار قد بلغت صفوف الكتب. اقتحم أحد مسيحيي بارزان المكتبة بعد ان لف جسده باللباد وصار يقذف ما تصل اليه يده من الكتب الى الخارج. وبهذه المناسبة نظم الشيخ عبد السلام قصيدة لايزال اهل بارزان يتذكرون بعض مقاطعها، إذ ان نسختها الكاملة مفقودة ومطلع هذه القصيدة: -

شه قهك لشه قيت زستاني
وهختي به فرو باراني
آگر به ربيه حجرا بارزاني
وترجتها: -

ذات ليلة من ليالي الشتاء
أوان الثلوج والأمطار
اندلعت النيران في (حجرة بارزان)

الفصل الثاني

الرابطة القبائلية والتبعية المشيخية

في أواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر بدء النفوذ الديني لـ (نهرى) و (ته ويله) بالظهور والتعاظم وكان ذلك يتضح من تكاثر الاتباع ومدى التعلق بالشيخ. نفوذ الشيخ يتناسب تناسباً طردياً مع عدد الملتزمين اليه وكثرة الاملاك الموقوفة على تكيته. وانضواء القبائل تحت رايته والاعتراف بزعامته الروحية. فالقبيلة كتركيب اجتماعي تخضع في علاقتها الداخلية لعادات واعراف متوارثة ملزمة لأفرادها كقانون غير مكتوب ينظم سائر علاقاتهم.

وهذا ايضا واحد من مصادر فخرهم، لأنهم يجدون في الانتساب القبلي نوعاً من الحماية والقدسية، تظهران على شكل اعتزاز وتعصب ازاء الغير. ان متانة هذه الرابطة هي العامل الرئيس لحفظ كيانهما وتأكيد قدرتها الدفاعية ضد أعدائها. انها تملئ على الافراد التضامن الأخوي والنصرة المتبادلة في الحق والباطل. وهذا يؤدي بالطبع وعلى الصعيد الخارجي الى نفرة ومجافاة بين القبائل بل الى عداوات بسبب تلك الروح الانعزالية والانغلاق على ماهو أجنبي عن القبيلة، ومن ثم الى رفض فكرة الصهر او حتى الاتحاد في إطار تحالف قبلي إلا في حالة الضرورة القصوى، وتلك ظاهرة بارزة من ظواهر المجتمع الكردي عاشت في ظله قبائل (شيرواني ومزوري وگهردى ودولومه مري وزيباري الخ) خاضعة لاغواتها ومنفصلة بعضها عن بعض محتفظة باستقلالها الذاتي. ولاننسى تأثير الطبيعة الجغرافية الوعرة لكردستان في تقوية تلك الانطوائية والروح الانعزالية.

لقد طرأ تغيير جذري على هذا المبدأ، عندما شقت الطرق الصوفية لنفسها طريق في كردستان، لاسيما الطريقة التي دعا اليها مولانا خالد، فبفضل قبول افراد تلك القبائل المنطق الديني الذي جاءت به الطريقة، اخذ المجتمع

الفصل الثاني: الرابطة القبائلية والتبعية المشيخية

الكردي يخرج من قوقعته وأدرك العصبية القبلية نوع من الضعف والتراخي واخذت السبيل لواقع الولاء للعقيدة والتي كانت تسعى لتحل محل الولاء القبلي بالتدريج. وعلينا ان لاننسى بأن الاسلام أحدث تغيرا اجتماعيا كبيرا في قبائل عرب الجاهلية فقد عوضها عن رابطة الدم برابطة الدين، ولقد أدرك المؤرخ (ابن خلدون) هذه الحقيقة فأوضح عمل محمد بن عبد الله (ص) في هدم شكل القبيلة وازالة الفردية والموالة منه مشترطا على من يعتنق الاسلام ان يتخلى عن روابطه القبلية ويقطع صلته بذوي قرباه واخوته الا إذا كانوا يدينون بدينه. وهكذا فدخل الصوفية التي بَشَّرَ بها مولانا خالد في كردستان يمكن أن ينظر اليها كمرحلة انتقال اجتماعي ثوري عند هذا الشعب، شبيها الى حد ما بالثورة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام. لقد أمكن ويسر ملفت للنظر أن تتحد تلك القبائل المتنافرة تحت لواء الزعامة الروحية لشيخ الطريقة بغض النظر عن الروابط القبلية، ولقد ساعد على ذلك انه في خلال ظهور الدعوة النقشبندية وانتشارها كانت كردستان قد مرت بمرحلة انحلال الرابطة الابوية داخل القبيلة الكردية وتحول القبيلة من وحدة متماسكة الى طبقتين واضحتي الملامح والامتيازات. طبقة المستغلين (بكسر الغين) وطبقة المستغلين (بفتح الغين). فرئيس القبيلة الذي كان أبناؤها يطيعونه احتراماً ويتعاطف معهم في كل امورهم ولا يتميز عنهم الا بشجاعته وحكمته وتعقله، تحول الى مستغل كبير لقبيلته ماديا وروحيا. فاخذت تلك المثل العليا التي كانت لها اليد الطولى في حفظ كيان القبيلة تختفي وتتحلل عندما احتكر الرؤساء الاقوياء والاغوات الحقوق والامتيازات وأثقلوا كواهل سواد القبيلة من الفلاحين والرعاة بالواجبات، وبدا الفرق واضحاً بين الفقر المدقع والغنى الفاحش، والبون شاسعاً بين قسوة العيش ورخائه.

كان للدين عند القبائل الكردية احترام ومنزلة (وأن لم تكن ترقى الى مرتبة التعصب) ولرجالها عندها حرمة. ومن النادر أن تجد قرية كردية تخلو من مسجد مهما كان صغيراً شيدته القريون حسبة لوجه الله. على أن الدين لم يكن

الفصل الثاني: الرابطة القبائلية والتبعية المشيخية

قد أنغرز في النفوس بدرجة من العمق الذي يجعل الاتحاد السياسي ممكناً تحت لوائه وعلى أسس من مفاهيمه. كان ممثلو الدين (الملالي) في كردستان ذيولاً لرؤوساء العشائر، يعيشون على عطائهم ويدافعون عن مصالحهم وتصرفاتهم المناقضة لتعاليم الدين الحقيقية ومبادئه الخلقية، ولا يكتفون بالوقوف موقف المتفرج ازاء ما يجري حولهم من تعسف وإنما ينحازون عادة إلى جانب الاغلاظالم ويزودونه بالتخريجات والفتاوى الدينية، تبريراً لسلوكه.

اختلف الامر تماماً وانقلب الميزان عندما انتشرت الطريقة النقشبندية ولمس أثرها في المجتمع الكردي بعد مرور ثلاثين عاماً على دخولها. واتيح لحملة لوائها ان يقوموا بادوار خطيرة. واقتضى لبعض المشيخات الابطأ نمواً عشرين سنة اخرى لتغدو قوة مهابة الجانب فعالة مؤثرة في مجرى الاحداث وأحياناً بؤرة لها. فمشيخة (نهرى) التي أسسها ورعاها (السيد طه النهرى) استغرق ترسيخها حياته وحياة ولده (الشيخ عبد الله)، أعنى عندما أفلح الثاني منها في ضم القبائل وتوحيدها تحت سلطانه الروحي وتحويلها إلى أهداف سياسية وطنية. لقد تحدى هذا الشيخ الثائر الامبراطوريتين اللتين تقسمان كردستان في ثورة مسلحة لاعهد لهما بها من قبل.

بعد أن تم القضاء على الامارات الكردية وعادت كردستان تزرع تحت وطأة الادارة العثمانية، عجز الشعب الكردي في الواقع عن القيام بانتفاضة إلا من خلال الهيكل التنظيمي المشيخي، وفي هذا الصدد يذكر مؤرخ سوفيتي كردي¹ "... ان ثورة 1880 الكردية بقيادة الشيخ عبيد الله النهرى من الوجهة الوطنية والسياسة الوجدوية احتلت بحق وجدارة احدى أبرز القمم في الحركة الكردية المكافحة في التاريخ الكردي الحديث من حيث الاتساع والشمول وقوة الاندفاع والافاق التي كانت ترمي إلى بلوغها والا أهداف والمطامح المحددة والموسومة التي أختطها لنفسها

⁽¹⁾ جليل جليلي-من مقال في مجلة (شمس كردستان) العدد 1 حزيران 1971. ص: (14-13) دار نشر العلوم الاكاديمية السوفيتية، ترجمة الدكتور أحمد عثمان.

الفصل الثاني: الرابطة القبائلية والتبعية المشيخية

لاتدانيها ثورة في هذا المضمار الا ثورة (بدرخان) وثورة (الشيخ محمود) و(الثورة البارزانية) ... والواقع ان ثورة (الشيخ عبيد الله النهري) كانت قد تجاوزت الحدود المصطنعة التي رسمتها ارادة الحكومة العثمانية والايرانية. فقد حارب الشيخ مقتسمي كردستان انذاك وكان التجاوب الشعبي مع الثورة جيداً فقد استجاب الاكراد في رواندوز وبوتان وبتليس وغيرها وأعلنوا تضامنهم. " و "..... في هذه الثورة أشترك الشيخ عبد السلام البارزاني وهو من تلامذة (نهرى) وله صلات وثيقة بها. فلبى مع مجموعة من مريديه نداء الواجب "... ".... لقد تمتع الشيخ (عبيدالله)¹ بسبب عدالته وبساطته ونهج حياته المتواضعة باحترام فائق من لدن السكان المواليين له ... وتدل وثائق الحكومة البريطانية حول الانتفاضة ان الشيخ كان يتمتع بخلق رفيع وكان مثقفاً وميالا الى الاخذ باسباب المدنية والعمل لاجل اسكان انصاره واستقرارهم.

⁽¹⁾ نفس المصدر السابق وهو بعنوان الثورة الكردية لعام 1880، ص: 15 و 28.

الفصل الثالث

الشيخ عبد الرحمن وتأسيس المشيخة

من مقتضى آداب الطرائق ونظامها ألا يكون على رأس الطريقة أكثر من دليل أو شيخ واحد. وعلى هذا الأساس اتخذ الشيخ عبد الرحمن قرية بارزان مقراً له، في حين استقر شقيقه الشيخ عبد السلام في قرية (آسته) بالقرب من نهر الزاب على بعد حوالي عشرين كيلومتراً جنوب بارزان.

اننا لانقع على احداث هامة في عهد الشيخ عبد الرحمن. المهم أنه صاحب الخطوة الاولى فقد كون أول حلقة من المريدين، وكانوا في البداية قلة الا أنهم كانوا كما يبدو مستعدين عقليا لاستيعاب التعاليم ونشرها، بحيث بادر بعضهم الى التنازل عن جانب من أملاكهم ووقفها على التكية البارزانية. وكان المنضمون من المواطنين القاطنين في بارزان وطائفة من أهالي القرى المحيطة بها.

كانت فترة ممارسة الشيخ عبد الرحمن دعوته الصوفية معاصرة لمولانا خالد واستمرت بعد وفاته (1827) الى فترة متاخرة.

ومن الممكن التثبت من أن شقيقه عبد السلام كان في العام 1258هـ - 1842 م دؤوباً في التحصيل وأنه كان يروض الشعر وقد وصلتنا ابيات من قصائده منها هذا المقطع -

جارى ببون جهند سنون	سنون عديدة مضت
ژهيجهرتى رابرى بون	على التقويم الهجري
حائو رائو غه ينو نون	حاء وراء وغين ونون

الفصل الثالث : الشيخ عبد الرحمن وتأسيس المشيخة

وبحساب السنين في السطر الثالث من البيت (ح. ر. غ. ن) بحسب ارقام الابدادية العربية يخرج لنا (1258هـ-1842م) وهي السنة التي نظم فيها القصيدة. كما نعلم ايضا أن الشيخ عبد الرحمن سبق الشيخ عبد السلام في تسلم اجازة الارشاد ومن الراجح أنه كان في وقت ما بين 1820 و 1825، أي أن مولانا خالد كان على قيد الحياة.

كانت فترة مشيخة عبد الرحمن البارزاني طويلة وهناك من يرجح انها استمرت حتى ستينات القرن التاسع عشر. إلا انه لم يكن العامل المؤثر والمحور الذي دارت حوله الاحداث في الزبيار وإنما كان أغوات (هرنى) يمثلون السلطة الحقيقية المطلقة وهم اصحاب الكلمة النافذة على معظم قرى الزبيار.

في مفتتح النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تكن التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بين النظام المشيخي الحديث الولادة وسلطة الاغوات المتوارثة قد خرجت الى حيز الوجود بعد وهو ما سنأتي لذكره.

توفي (الشيخ عبد الرحمن) ولم يخلف الا ذكرا واحدا هو (ملا محمود) ولم يستخلفه في المشيخة، وشعر مريدو الشيخ الراحل بالحاجة الى ملء فراغه فقصدوا قرية (آسته) وأعربوا للشيخ عبد السلام عن رغبتهم في أن يكون مرشدا وأن يعود الى بارزان. لكن اسرة الشيخ الراحل رغبت في أن يستخلف الابن أباه، بينما أصر التلاميذ على استخلاف الاخ.

أن مسألة الاستخلاف في المشيخة هي من الاهمية بمكان، فبمجرد تولى المشيخة شخصية لا تتمتع بالمؤهلات الاساسية لتعاليم الطريقة تبدأ الطريقة بالإنحراف وتسللك اتجاهها مناقضا للأسس الصحيحة وتتحول الى شكل من أشكال الاستغلال الشخصي (ماديا وروحياً)، لهذا شعر مريدو الطريقة وتلاميذها الزبياريون بمسؤوليتهم، فرفضوا استخلاف ابن الشيخ عبد الرحمن رفضا باتاً وزاد الحاحهم على الشيخ عبد السلام بالعودة، فقبل وعاد

الفصل الثالث : الشيخ عبد الرحمن وتأسيس المشيخة

الى بارزان. وكان لتوليّه زعامة المشيخة أثر هام في تحقيق المزيد من النجاح للطريقة.

الفصل الرابع

الشيخ عبد السلام

قلنا إن الشيخ عبد السلام تسلم اجازة الطريقة من (نهرى). وكانت مراكز العلم المعروفة آنذاك كالعمادية وكويسنجق وعقرة وگهلاله ترحب بطلاب العلم. وقد أمّ الشيخ عبد السلام هذه المراكز كلها وهو شاب طلبا للعلم ثم عاد الى (آسته) تاركا بارزان للاسباب التي ذكرناها آنفا وفي أواخر سني حياة أخيه. قسّم عبد السلام وقته بين آسته وبارزان، وينوب عن أخيه الذي أدركه العجز قبل وفاته لالقاء خطبة الجمعة والمشاركة في صلاة الجمعة، إذ كانت قريته صغيرة وعدد المصلين قليل، بعد أداء هذه الواجبات يعود الى قريته لينشغل في التدريس والارشاد. وكان متضلعا في علوم الدين، وهذا ما جعله مرجعا موثوقا للفتاوى وكانت علاقاته مع (نهرى) وثيقة وحميمة، وكلاهما ينتميان الى طريقة واحدة. كذلك كانت تشدهما رابطة التلميذ- رابطة التلميذ المقرّ بالفضل لأستاذه.

وفي آسته كان يجد الوقت الكافي للاستزادة من العلم بالمطالعة واستنساخ الكتب، أننا لنجده في العام 1264 هـ - 1847 م، ينجز استنساخ كتاب بخطه الجميل جدا ويذيله بالعبارة "قد وقع الفراغ من تسوية هذه الحاشية الموسومة بعبد الحكيم الواقعة على الحاشية الموسومة بالخيال الواقعة على شرح العقائد على يد الحقيقير الفقير عبد السلام ابن ملا عبد الله ابن ملا محمد، سكنة قرية بارزان ومن عشيرة الزيبار، في شهر جمادي الآخرة في قرية (آسته) لأربع وستين سنة مضين بعد الالف والمائتين من هجرة رسول الثقلين".

الفصل الرابع : الشيخ عبد السلام

بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ نجد (عبد السلام) في كهلاله للاستزادة في العلم وزيارة الاخوان. وفيها استنسخ كتابا آخر هو الآن لدى اسرة المغفور له (ملا مصطفى البارزاني) «وللأسف أخفى الكتاب ولم يرغب في ان يطلع على محتواها المهتمين بالتاريخ، وقد صدّره بالآية "بسم الله الرحمن الرحيم يوم يأتي بعض آيات ربك ... الى آخر الآية) وجاء في آخر الكتاب مايلى (كتبه عبد السلام بن ملا عبد الله البارزاني في شهر رمضان يوم الجمعة في مسجد كهلاله 1267 هـ" أي العام الميلادي 1850.

في الواقع أن فترة استخلاف الشيخ عبد السلام التي بدأت بعد العام 1865 بفترة قصيرة وأنتهت بوفاة في العام 1884؟ على الأرجح، كانت فترة هدوء خلت من أحداث جديرة بالذكر. وبعبارة أخرى كان اتجاه الطريقة في هذه الحقبة هنا يميل ميلا ظاهرا الى عدم التدخل في امور الدنيا والانشغال بمشاكل الناس الحياتية. ان الفترة المنحصرة بين وفات الشقيقين كانت فترة تثبيت الموقع للحركة الصوفية النقشبندية في بارزان بعيدا بقدر الامكان عن المجابهة مع الاغوات أو محاولة منازعتهم على السلطة. فتحاشوا الاحتكاك وقصروا اهتمامهم بأمر الدين والطريقة. على أن الاغوات ورؤوساء العشائر لم يكونوا في غفلة عنهم، فعندما وجدوا فلاحيهم يقبلون بلهفة على التكية ليعلنوا (التوبة) والانضواء الى حلقة مرشد بارزان. أربعهم الامر وأدركوا بهاجس غامض أن هذا الشيخ الجديد بطريقته الصوفية سينازعهم سلطتهم على أتباعهم وفلاحيهم يوما ما، وقد قوى هذا الشعور وتوضح باشتداد بأس شيخ بارزان واتساع نفوذه الذي ماكان ليستمد من سلطانهم بدليل عزوف الشيخ عن التماس الخطوة منهم أو التقرب إليهم، خلافا لما عرف عن عادة رجال الدين وشيوخ الطرق آنذاك.

لقد أثار هذا الموقف شكاً في نفوس اغوات الزيبار ووجدوا ضرورة القيام بعمل مضاد، فقدموا شكوى رسمية ضد شيخ بارزان الى السلطات التركية اتهموه فيها بالمروق وبتزعمه طريقة جديدة مضللة في التصوف تؤدي بالمسلمين الى الزندقة. واخذت الحكومة الامر مأخذ الجد، وارسلت لجنة تحقيق معززة بقوة عسكرية عسكرت في (شانيك) على ضفة الزاب الغربية

الفصل الرابع : الشيخ عبد السلام

بالقرب من (بلبي) وأرسل قائدها يطلب الشيخ للمثول امام المحقق العثماني. إلا أن الشيخ اعتذر وأرسل ولديه قاسم ومحمد، وقد خص الثاني منهما بارشادات ونصائح حول الاجابة عما يلقي عليه من أسئلة، وانتهى التحقيق باعتذار المنتدب للتحقيق وعادت القوة من حيث اتت وفشل أول مسعى للاغوات للايقاع بشيخ بارزان.

بنى الشيخ عبد السلام بامرأتين، الأولى كانت من فخذ احمد (توخى أحمدى) اسمها نسرهت) من قرية بارزان، وكان (قاسم) ثمرة زواجه الأول، وزوجته الثانية من قرية (جونى) واسمها آسيا) ابنة ملا شني جوني وشقيقها ملا مصطفى و (محمد) هو ثمرة زواجه الثاني والذي استخلفه فيما بعد. وقد تميز (محمد) منذ الصغر بالذكاء والانصراف الى ما أعده له ابوه من مستقبل ومسؤولية وبالاخص مالو حظ عليه من البساطة واجتناب مظاهر الترف كحب التملك للعقار والمال والتواضع وعدم الترفع على الناس أو استصغارهم. لقد رسمت المشيخة حدودا للتملك يقف الشيخ عندها ولا يتعداها وهي بصورة عامة قدرة الشيخ على اطعام ضيفه وايوائه (نطعم الضيف القادم بحيث لانخجل منه) ولذلك كان عامة شيوخ بارزان يقترحون على أنفسهم وعوائلهم ويفضلون ضيوفهم بخير الطعام.

لقد أثر عنه انه لم يأكل خبز قمح فهو في نظره قوت الاغنياء. وأنه لم ينم على فراش وثير وكان كوخه لا يختلف في مخبره ومظهره عن سائر اكواخ القرويين ولا يمتاز عنهم في أي شيء، ونهى نسوته عن اقتناء الحلى الذهبية والتزين بها، مختطاً بذلك سنة لاتباعه وخلفائه من بعده، وقد لفت ذلك نظر الرحالة الاجانب الذين زاروا بارزان في أوقات مختلفة، فمثلا لاحظ القس ويگرام عند زيارة شيخ بارزان (1907 - 1910). أن أغلب الشيوخ الكرد حتى الاقل سطوة من شيوخ بارزان يعيشون في قلاع ذات منعة. بينما هذا الشيخ يعيش بين شعبه وليس (قصره) الا مجموعة من الاكواخ العادية مندغمة فيما بينها لتؤلف كوخا واحدا ليس فيه باب خارجي ابدأ، تدخله بمجرد تخطيك العتبة. هذا السلوك الذي هو النهاية في

الفصل الرابع : الشيخ عبد السلام

البساطة هو الذي جعل “شيخ بارزان فضلا عن كونه واحدا من أعظم زعماء الجبال نفوذا فهو أكثرهم مهابة ومدعاة للاحترام”.¹

¹ مهدي البشرية، الحياة في شرق كردستان، (ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله) ص: 129 -

الفصل الخامس

عقرة - مركز الزيبار التجاري والحركة الصوفية

كانت (عقرة) و ماتزال مركزاً تجارياً هاماً نظراً لموقعها الجغرافي، فهي تقع في وسط القبائل، وتوفر لهم الحاجات الاقتصادية من البضائع المستوردة من الموصل، وكانت خلال الفترة التي نحن بصددتها منقسمة الى أحياء أهمها (گوراقا - قابهكي- توستهي) فضلاً عن الحيين اليهودي و المسيحي، وبوجه عام كان اليهود يعتبرون أثرياء البلدة، وأشتهر المسيحيون بالصناعات اليدوية، كصياغة الحلى الذهبية والفضية، وبالنسبة الى الحركة التجارية والصناعات الحرفية فيها، كانت مقسمة الى أزقة (أسواق) كسوق الاسكافيين- صناع الاحذية الجلدية الملونة- و سوق الندافين وسوق الصاغة وسوق صناع البرادع، وكان تجار المدينة الاغنياء يتعاملون بصورة رئيسية مع تجار الموصل فهم يتتعاون العفص وحبوب السسي¹ والجوز والصوف والجلود والحبوب والاغنام التي يأتي بها رجال القبائل ثم ينقلونها الى الموصل فيبيعونها ويتعاون بضائع أخرى، وأشتهرت (عقرة) باستخدام اصباغ الثياب الزاهية فهناك نبات يعرف باسم (كهژوك) وهو يكثر في جبالها القريبة. تستخرج منه مادة التلوين. كذلك عرفت المدينة بكونها مركزاً لحياكة (شال وشابك)² بخيوط الحرير.

⁽¹⁾ نبات برّي جبلي ثمره من فصيل السكريات (كالبنديق والفسق والبطم والحبة الخضراء. الخ)

⁽²⁾ كساء الرجل التقليدي الكردي.

الفصل الخامس: عقرة - مركز الزيبار التجاري والحركة الصوفية

والكادحون من الاهالى يصنعون الفحم من حرق أشجار الجبال المجاورة ويعيشون عليه، وامتهن كثير منهم حرفة المكارية¹ وكانت الاسر الثرية تؤجر سقائين لنقل ماء النبع الى بيوتهم. ولم تخل من بنائين مهرة، والاحياء تسودها روح التعصب وانتصار الساكنين فيها بعضهم لبعض ضد الاحياء الاخرى. وكثيرا ماخرج الشيوخ والعجائز مسلحين بالعصي للرد او الانتصار لاحد سكنة حيهم. وكان للحي الواحد شاعره الذي ينطق بهجاء سكنة الحي الاخر معددا عيوبه ونواقصه.

كانت عقرة بحكم موقعها وصلاتها تتأثر دائما بالوقائع التي تجرى بين القبائل وتتجاوب مع احداثها الجسام. فعندما أخذت الطرق تنتشر بين رجال القبائل شقت طريقها أيضا الى عقرة وبسرعة، فحصل الانقسام بين أهلها فكنّت تجد فريقا ينتمي الى (تكية بريفكا القادرية) وآخر الى مشيخة (بارزان) وثالثا الى مشيخة (بجيل النقشبندية). وكان أول ظهور الدعوة البارزانية في حي (گورافا) وهو من أفقر الاحياء. ثم أخذت تسرب الى أحياء وأزقة أخرى. في حين معظم حي (قابه كي) كان مواليا لمشيخة (بجيل) وقد شمل الانتماء الروحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فعشيرة بارزان وحليفاتها لا تتعاون اقتصاديا ولا تتبادل الصفقات التجارية الا مع المنتمين الى طريقتها من تجار عقرة. وكذلك الامر أيضا مع أتباع المشيخات الاخرى في نفس البلدة. ولم يكن لعامل سعر البضاعة أو جودتها تأثير في إختيار المتعاملين.

ولأن عقرة كانت ملتقى القبائل (اشبه بسوق عكاظ دائمى في مكة قبل الاسلام) فقد حفظت التراث والفولكلور الكردي لمنطقتها وعشائرها، وفي مساجدها كانت تعقد حلقات الدراسة، وكان الطلاب يتقاطرون اليها من

¹ المكاريون كانوا يؤجرون دوابهم للمهارة كوسيلة للمواصلات وحتى يجذبوا أكبر عدد من الزبائن، كانوا يهتمون اهتماماً بالغاً بالبغال والحمير من حيث النظافة، وكانوا يقومون بتزيين تلك الدواب للفت الأنظار إليها.

الفصل الخامس: عقرة - مركز الزيبار التجاري والحركة الصوفية

شتى القبائل، ورغم مركزها الديني فإن التزمّت لم يكن طابعها، فقد خصصت فيها ميادين ومحلات لاقامة الحفلات وحلقات الرقص (الدبكات) المختلط (رہشبهلہك) حيث الرجال يرقصون مع النساء متشابكي الايدي، وقد بقيت الاسماء لاصقة بتلك الامكنة حتى يومنا هذا مثل (بشتاديرى - مهتئ - كهلى - بشتاكهلى - رەزئ مىر - خرگا - مىسكا).

الفصل السادس

الشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام (أول المشيخة)

الشيخ محمد مرشدا:

كان الشيخ محمد يناهز الثلاثين من العمر عندما خلف والده. وقد شب وترعرع في بيئة مشبعة بالافكار الصوفية وقضى فترة طفولته وحداثته وبداية تحصيله في رعاية ابيه، وعندما بلغ سن الشباب رحل أولا الى بالكيان ثم الى كويسنجق في طلب العلم، ثم أنتقل الى عقرة حيث أكمل تحصيله فيها وقد أمتاز عهده بتوسع المشيخة وتعاظم نفوذها، لكن فترة خلافته كما سيظهر للقارئ لم تمر بهدوء كسلفيه، إذ لم يكن ثمة مفر من الاصطدام بين التيار الذي يمثله الشيخ وبين سلطة الاغوات التي توارثت الحكم على القبائل. وعلى ما اخال فان عوامل الصراع كانت واضحة في تعاليم هذه الطريقة وأسلوبها وأهدافها. فتعاليمها تؤكد ضرورة السيطرة على مشاعر الناس وتوجيههم والاهتمام بكل شؤونهم. في حين كانت المشيخات الاخرى تهتم بالتلقين الديني المجرد وذلك بحسب ميول المرشد أو الدليل. أضف الى هذا، المبادئ الصوفية تمنح الشيخ سلطانا على النفس والجسد، فبالنسبة لاعضاء الطريقة تعتبر طاعة الشيخ فوق طاعة أي مخلوق آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية. وهذا هو الذي أنذر أغوات الزيبار بخطر شيخ بارزان الذي بدا لهم أول الامر دخيلاً مزعجاً وقوة ناهضة ليصبح خطراً داهماً على نظام حكمهم ومصدر تهديد جدي لمستقبلهم.

لم تكن تعاليم الصوفية تتفق مطلقاً وما يتطلبه الاغا من رعيته. ولذلك صعب على عضو الطريقة المشرب بالمبادئ الصوفية أن يواصل الخضوع لرئيس قبيلته أو أن يوفق بينها وبين تعاليم الطريقة. نذكر مثلاً، ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية وأموال الزكاة وصرفها في أوجه معينة، فأنها لا تتفق مع النظام الذي يفرضه رئيس القبيلة على رعيته، ذلك النظام الذي يقضى بأن يكون له من كد الرعية حصة الاسد ومن الامور الاخرى التي تميز المبادئ الصوفية وتتعارض مع مصالح الاغوات انشاء التكية ووقف الاملاك عليها من دون أن يكون للاغوات حق تصرف أو أستغلال فيها. فضلاً عن أن الشيخ كان ينفق واردات التكية وأوقافها على المعوزين وذوي الحاجة فحسب، ولا يختص بشيء منها لنفسه. بهذا أخذت سلطة الاغوات تفقد هيبتها بالتدريج بقدر ما كانت هبة الشيخ تزداد ومقامه يعلو، حتى خيل للاغوات أن ما يحققه الشيخ إنما يتم على حساب نفوذهم وسلطتهم، وهكذا نجد أن الدعوة هنا أخذت تتسم بجديّة واضحة فلم يعد المريد (المعتنق) يستطيع كما في السابق الجمع بين ولائين ولم تعد الدعوة كما كانت في السابق تتسم بالمرونة (بسبب ضعفها النسبي) أزاء نفوذ الاغوات، فاذا ذاك كان يجوز للمريد أن يجمع ولو ظاهرياً بين الولاء للسلطين. الا أن الشيخ الذي رسخ أسس المشيخة وحدد الدعوة تحديداً اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً أعمق، ووضع مريديه أمام إختيارين، إما الولاء التام للدعوة أو للاغا. والجمع بين النقيضين بات غير ممكن.

سكنة قرية بارزان

قبل أن نأتي الى ذكر وقائع الاصطدام، من المفيد أن نعرف بهوية اولئك الذين سكنوا بارزان. فمن أقدم الافخاذ التي سكنتها (دياديني) (وآل الملا) وهو بيت الشيخ و (دلاني) وفخذ (دياديني) هو أعرق الافخاذ كما أن (آل أحمد) ترأسو الزيار وبالاخص (بهروژ) وحكموها قبل اشتداد شوكة الاقطاعيين غرب الزاب وظهور شيخ بارزان في نفس القرية، على أي حال،

فإن المسيحيين واليهود سكنة القرية الأوائل، وكانوا في الفترة التي نحن الآن بصدددها يشكلون الغالبية الساحقة من سكانها. أما الفخذ المعروف بـ(دلاني) نسبة الى قريتهم قرب ساحل الزاب، فما نقله الينا العارفون يشير الى كونهم قد عاشوا تحت وطأة اضطهاد المتنفذين في الزيار قبل إستظهار شوكة بارزان، إذ أنهم أقتبلوا تعاليمه، ووجدوا في الدعوة الجديدة بشير خلاص من الظلم، وعلى الاخص في عهد الشيخ محمد وانتقلوا من (دلان) الى بارزان.

الشكوى:

كان هذا هو الوضع السكاني لقرية بارزان عندما عين (بابير گرافي) متوليا شؤون القرية نيابة عن مخدومه (فتاح آغا هرني) الذي قام بأول حركة عداء جدّي ضد الشيخ محمد ودعوته. كانت (بهروژ) تدار من قبل هذا الاقطاعي الكبير وكان يستغل خيراتها بواسطة وكلائه الموزعين على القرى، ففضلا عن (بابير گرافي) في بارزان، عين (اسكندر ههرني) على قرية (هوستان) و (يونس آغا) على قرية (همدلا) أما عبد الله آغا أكبر إخوة (فتاح آغا) فقد حكم قسبة (هرني) والقرى المحيطة بها. وأوكل كلا من (عثمان آغا) على (الشوش) و (تترخان) على (گوندكي) والقرى المجاورة. وقد حصل الشيء ذاته في القرى الشيروانية، اذ توزع أبناء الاسرة الحاكمة من أغوات العشيرة الشيروانية القرى المجاورة. قرى (سهروكاني) و (بيرسياف) و (ميرگهسور) و (شيران) و (كاني بوت) وكانت أسرة اسماعيل آغا تحكم عشيرة المزوري.

وبدء أول احتكاك بين إدارة فتاح وبين نفوذ شيخ بارزان على مايرويه الرواة بحادثة بسيطة خطيرة في عواقبها، ففي ذات يوم سمع الشيخ ضجة وصياحا خارج كوخه، فخرج ليواجه يهود بارزان وقد تجمعوا حول داره يستنجدون به ويطلبون منه الانتصاف من وكيل فتاح آغا المدعو (بابير گرافي) وخدمه الذين دأبوا على استخدامهم وتسخيرهم وإستغلالهم

زمننا طويلاً حتى طفح الكيل وما عادوا يحتملون، ورجوا منه أن يتوسط لاعفاء ولو قسم منهم من السخرة الدائمة ليتفرغوا الى تحصيل رزقهم. أمام المشهد، وقف الشيخ صامتا برهة ثم نطق بما أعتبر نقطة تحول في أسلوب تعامله مع السلطة الاقطاعية. ألفت الى (فقي عبد الرحمن الدلاني) وهو واحد من مريديه المقربين وقال له (مناف)¹ لا مبرر لسكوتنا عن الظلم وعلينا أن نعمل شيئاً لوقفه، لم تكون غير عبارة لم يعقبها عمل أيجابي، فلم يكن لشيخ بارزان من القوة ما يدعم به قوله لا يقاف السخرة، إلا أن تلك العبارة بمثابة انذار للاغوات الذين صح عزيمهم عندئذ على الاستعانة بالسلطة العثمانية للتخلص منه، فرفع (فتاح أغا) أخباراً الى والي الموصل² يتهم شيخ بارزان بالزيف والانحراف عن جادة الدين الحنيف وأنه لا مكان له بين الشيوخ الآخرين الذين (حسب إدعاء الشاكي) ينفقون اوقاتهم في الصلاة والعبادة ويلازمون المساجد، أما الشيخ محمد فهو دائم الاحتكاك بالناس يحرضهم على العصيان وتحدى السلطة ويمنع التجنيد مثيراً المعارضة وباتاً التفرقة ومالئاً نفوس مريديه بروح العداء ضد الإدارة، فاستدعى الشيخ على أثر ذلك الى الموصل وكان ذلك في حدود العام 1885 . فقصدها برفقة قاضي (بيي) ففرضت عليه الإقامة الجبرية فيها. الا أن مريديه في بارزان استبد بهم القلق عليه فاتفقوا على أن ينطلقوا بمسيرة كبيرة الى الموصل، وخرجوا جماعات وما أن بلغوا قرية (دوبردان) وهي منتصف الطريق بين عقرة والموصل (تبعد كل منهما زهاء 48 كيلومترا) حتى انتبهت السلطات، فبعثت ممثلاً مع ثلة من الجنود لمقابلتهم فذكروا له أنهم لا يريدون الا عودة شيخهم وأنهم لن يعودوا الى قراهم طالما شيخهم غائب عنهم، ودافعوا عنه قائلين إنه بريء ولم يرتكب إثماً وهو لا يستحق النفي، واتهموا الاغوات بتلفيق الاكاذيب التي أدت الى فرض الإقامة الجبرية عليه. إلا أن الاتراك أهتبلوا فرصتهم في هؤلاء البسطاء، اذ قبضوا عليهم فساقوا الشبان

(1) "مناف" مختصر كردي لاسم "عبد الرحمن".

(2) كانت الزيار تابعة ادارياً لولاية الموصل في ذلك الوقت.

منهم الى الخدمة العسكرية جبراً. بينما تولت القوة التركية اعادة غير الصالحين للخدمة منهم الى قراهم. وقد لاقى المنساقون الى الخدمة العسكرية صنوفاً من المذلة وهلكت أكثريتهم، أما من بقي منهم فحاول الفرار وتاه في الطريق، دون أن تصل أخبارهم الى ذويهم. ولم يبلغ بارزان الا قلة قليلة منهم.

الفرار

طالت إقامة الشيخ الجبرية في الموصل دون أن يبدو من الوالي ما يشير الى أنه ينوي النظر في أمره واعادة حريته، وكان الشيخ قد أنشأ أثناء إقامته عدة صداقات تمكن بواسطتها من أن يبعث برسالة الى بارزان يطلب فيها حضور (زبير محمد ملا محمود)¹ فلبى زبير الأمر ووصل الموصل، حيث ابلاغه الشيخ بنيته في الفرار الى بارزان وطلب منه أن يتبادلا الثياب، وفي موهن من الليل خرج الشيخ من داره متوجهاً الى نهر دجلة فقطعه سباحة الى الضفة الاخرى وبقي ينتظر حتى لحق به رفيقه، فواصلوا السير متحاشين مواقع الشرطة والقرى التي لا يثقون بساكنيها حتى بلغوا بارزان بعد أن قطعوا مسافات طويلة.

لم نفع على رد الفعل الذي أحدثه فرار الشيخ، لا على الصعيد الرسمي ولا على صعيد الشعبي، ولا ندري فيما إذا كانت الحكومة العثمانية قد اتخذت اجراءات التعقيب الواجبة في مثل هذه الحالات أم أنها اكتفت بالسكوت والتجاهل. على أن الأثر الذي أحدثتها العودة في الزيبار كان متفاوتاً قدر ما هو كبير. فبمقابل الخيبة المرة التي أصابت المتأمرين، سرت موجة شديدة من الحقد في نفوس مريديه وانصاره ضد الاغوات ممتزجة بفرحة اللقاء. إلا أن الشيخ لم يستغل هذا النصر المعنوي سياسياً ولم يعمل على تأجيج النعمة

⁽¹⁾ مقالة (العائلة البارزانية) ص 21. يقول المؤلف أن (محي جيجي) كان قيد الإقامة الجبرية مع الشيخ في الموصل وكان من أخلص خدمه وقد هرب معه سباحة عبر دجلة.

العامة على الاغوات بعد افتضاح دسيستهم وواصل خطه الاول في حصر جهده على المجال الروحي، وقد أطمأن الى الثقة التي يضعها فيه أتباعه. وأخذ المريدون يقصدونه أفواجا. وفي هذه الفترة أقتبل الشيروانيون والگرديون الطريقة وأنضم رجالهما الى حلف المشيخة، فزاد اعداء الاغوات ونقص عدد حلفائهم، وأصبح الصدام محتوماً بين معسكر الشيخ والأغوات، وفي تلك الاثناء أقدم الشيخ محمد على خطوة ذكية محمودة. وربما شعر بأنه في خطر، اذ منح ثقته علانية بابن عمه (ملای ملا محمود) ذو كفاءات عالية وخوله حق النيابة عنه في اداء الشعائر الدينية، وقد ازال هذا بعض جفاء كان قد حصل داخل الاسرة البارزانية عندما أبى المريدون أن يحتل (ملا محمود) مكان والده (الشيخ عبد الرحمن).

الهجوم المسلح الاول

على أثر ذلك عقد أغوات الزيار اجتماعا قرروا فيه العمل على التخلص من الشيخ نهائيا بقتله. كان ذلك على الأرجح في العام 1886. وأوكل تنفيذ ذلك لـ (ابراهيم آغا هرنی) فتزود بعدد من المسلحين وسار قاصدا بارزان. إلا أن خبره بلغ الشيخ قبل وصول المهاجمين، فخرج من القرية وقصد (بلاژیری) مسرعا ولما لم تعثر عليه القوة المهاجمة في مقره أقتفت أثره الى (بلاژیری) وكان للشيخ فيها أتباع مخلصون. لقد فوجئ (حاجي حيدر) وهو يري شيخه أمامه فجأة، وسأله بعد أن تمالك روعه عن سبب تركه بارزن. فأخبره الشيخ بالامر مشيرا الى العصابة التي أرسلت لقتله وكيف أنها تتعقبه الآن. بعد قليل بلغت العصابة مشارف القرية وفي موضع يطلق عليه اسم (دارييت شكاکا) وقف (حاج حيدر) مصوباً بندقيته نحو المهاجمين وقال محذراً إياهم من الاقتراب "أن قتل الشيخ ليس بالأمر الهين كما تتصورون وسأكون أول من يتلقى الرصاص عنه بصدري وأن رجال القرية كلهم متفقون على ذلك".

أدركت العصاة أن لا سبيل الى الطريدة وعادت من حيث اتت. الا أن الحادث اقنع الشيخ بصعوبة البقاء في بارزان في حينه، اذ أن مقاطعة (بهروژ) مازال فيها عدد من الموالين للأغوات، وفي قراها خدم الاغوات وموالوهم ووكلاؤهم مدججون بالسلاح ينتظرون الاشارة من اسيادهم. فترك الشيخ (بلاژيرى) الى قرية شيروانية تدعى (بيي) فرحب به أهلها وأكرموا وفادته وبقي هناك مع أهله وذويه تسع سنوات وبوجوده في اوساط الشيروانين استطاع أن يحقق صلات أوثق بقبيلة (كهردى) وعين من بينهم خليفة له كما عين خليفة آخر له في مقاطعة (نزار). وعرف هذا الخليفة بلقب (مهلاى مهزن) اي الملا الكبير. وكان كلاهما يعملان بنصائحه فأحسننا تمثيله وأداء رسالته.

التجنيد الاجباري

استغل الاغوات مناسبة اعلان الدولة تطبيق قانون التجنيد الاجباري للتنكيل باتباع الشيخ والنكاية به، فاخذوا يخبرون السلطات عن الخاضعين للقرعة العسكرية من أتباع الشيخ وأنصاره ويسلمون للسلطة من كان في مقدورهم تسليمه منهم، وبطبيعة الحال كانت مقدرة الدولة على تطبيق هذا القانون مرهونة بقوتها أو ضعفها ولا سيما في تلك الاماكن النائية الصعبة الوصول، وعندما تجد نفسها عاجزة فانها توغز لحلفائها الاغوات بتقديم المكلفين وتسوقهم جبراً. فانتهاز الاغوات هذه الفرصة للتخلص من خصومهم والتضييق على الشيخ.

لا شك في أن عدم العدالة في تطبيق قانون التجنيد العثماني أدى الى التمرد عليه تلقائياً. ومن أجل التخلص من هذا العبء فقد توسل اتباع الشيخ الى كل شكل متيسر حتى الهرب من الخدمة ومقاومة موظفي الحكومة والاغوات وخدمهم أثناء محاولة هولاء تطبيق القانون على هذه الصورة المجافية للعدالة.

كان الراتب الاسمي اليومي للجندى التركي في ذلك الوقت لا يتعدى القرش الواحد (عشرة فلس) إلا أن الجندى لا يتمتع بهذا (المبلغ الجسيم) إلا في فترات نادرة، وعندما يدفع له لا يدفع نقداً، بل بشكل سند رسمي. ولا تصرف الخزينة المحلية لهم هذه السندات لأنها غير قابلة التحويل الى نقد. كذلك فإن البقال أو التاجر العثماني لا يعتبر هذه السندات نقداً أو صكاً صالحاً للصرف أو المبادلة ببضاعة، وبمقابل ذلك فإن الادارة العثمانية تأبى أن تتسلم ضرائبها من الجندى التركي الا عينا أو ذهباً، زد على ذلك أن الجندى التركي المكلف بالخدمة خمس سنوات والذي يبقى احتياطاً (رديفاً) لمدة سبع سنوات أخرى لا يرحل بعد أكمله السنوات الخمس، بل يساق الى جهات بعيدة عن وطنه الاصيل ليحارب في احدى زوايا حدود الامبراطورية المترامية، وقد يموت دون أن يعرف أهله شيئاً عنه. ولذلك كان من المعروف أن المساق الى الخدمة العسكرية هو أشبه برجل محكوم بالموت. وعندما يؤخذ عادة يودعه أهله وداع من لا عودة له. ويستطرد (ويگرام) فيقول إنه وجد في العام 1905 جنوداً عثمانيين يحملون أوسمة منحت لهم في معارك الدفاع عن (بليشنا) في العام 1878 ولم يسرحوا منذ ذلك التاريخ.¹

من هنا جاء كره الكرد المتأصل للخدمة العسكرية الاجبارية بكل أشكالها والعقدة التي مازالوا يحملونها حتى اليوم في كل مكان، ومن هذا يتبين كذلك أن السلاح الذي شهره الاغوات بوجه أتباع الشيخ بسوقهم للقرعة العسكرية لم يكن مما يستهان به من ناحية زيادة السخط الشعبي على الادارة العثمانية والاعوات سواء بسواء واعتبارهم عدواً يمثل هدفاً واحداً.

¹ مهاد البشرية. ترجمة جرجيس فتح الله، ص: 211.

الفصل السابع

فتاح آغا هرنى

خلال هذه الفترة كان قد حصل تغيير ملحوظ في تركيب المجتمع الريفى- القبلى الكردي في الزيبار وما جاورها، فقد ازداد الاغوات عددياً وأصبح عميد الاسرة مركز السلطة ومصدرها صاحب النفوذ الحقيقي الى جانب أقرب نسله من بعده. اما سائر الاقرباء الآخرين فقد تضاءلت امتيازاتهم، فسلم السلطة كان يقف على رأسه كبير الاغوات ويتدرج نزولاً الى أصغرهم، اى الى ابعدهم نسباً للآغا الكبير. وكان من الطبيعى ان يشعر هؤلاء الصغار بنوع من الكراهية لكبارهم، اذ كانوا يعتبرون أنفسهم مساوين لهم في الحقوق والسلطة القبلية وان ليس من العدالة في شىء ان يستأثر اولئك بالسلطة والاملاك في حين يدفعون الآخرين الى احضان الفاقة أو الحرمان من عملية السلب والنهب.

من جهة اخرى ظهرت طبقة في هذا المجتمع جديدة هي في الواقع النطفة الاولى للطبقة الوسطى الكردية (البرجوازية) وكان ظهورها بمبادرة من الاغوات أنفسهم الذين احتاجوا الى من يتوكل عنهم في ادارة املاكهم وقضاء حاجاتهم كتنظيم علاقاتهم مع التجار والمضاربيين بخصوص بيع الغلال وتسويقها. هذه الفئة الجديدة (الوكلاء)⁽¹⁾. استمدت سلطانها في بادىء الامر من الاغوات الا انها اخذت تعمل لاجل مصالحها الخاصة الى جانب سهرها على مصالح اسياهاها. وبتعاقب بضعة اجيال منها اخذ افرادها

⁽¹⁾ الاسم الشائع لهؤلاء الوكلاء الاقطاعيون في جنوب العراق هو (السر اكيل) ومفردها (سر كال).

الفصل السابع: فتاح آغا هرنى

يبتعدون عن الاغوات ويستقلون في مصالحهم ويتمتعون فعلا بامتيازات السلطة. فلم يكن هنالك بد من ان تصطدم المصلحتان، خصوصا وان اقتصاد الزيبار محدود ولا يمكن ان يتسع لعمليتي أستغلال وانتفاع في آن واحد لفتتين.

ولم يخف ذلك عن الاغوات الكبار الذين ماكانوا ليتساحوا مطلقا في التجاوز على نفوذهم ومشاركة الاخرين لهم في الاستثمار. وبما انهم كانوا يملكون السلاح والرجال والمال والخطوة عند السلطة، فلا شك كفتهم ستكون هي الراجحة في مثل هذا النزاع. ولم يجد صغار الاغوات مندوحة من الالتفاف حول الحركة الدينية في بارزان. وانضم كثيرون منهم الى الطريقة وتقدموا حتى احتلوا مراكز قيادية وكان لهم ادوار هامة في المرحلة التالية وهذا ايضا مما عجل بخطى الحركة الدينية الى الاتجاه الدينى والنضال السياسى.

في عهد فتاح آغا بن عثمان بلغت شوكة اغوات الزيبار مبلغا لم تصله في عهد والده وكان فتاح آغا قد قبض على زمام الامور بعد وفاة ابيه في العام 1880. وقد جاء في كتاب (امارة بادينان) ان أصل الاغوات الذين كانوا يحكمون الزيبار هم من (بنياش) وليسوا زيباريين وحفظت لنا صدور الحفاظ بعض الاغانى الشعبية الساذجة في مدح هؤلاء الأغوات مدحاً مفرطاً في التعظيم والتبجيل، منها قصيدة في مدح فتاح آغا تنسب الى وكيله (على شيرا) غناها له عندما خرج سيده يتفقد حصاد الموسوم في (بهروژ) قال:

بهروژه خوش بهروژه	ما أروعك يا قبلة الشمس
عبد الله آغا گو له	عبد الله آغا زهرتك
فته تاح بشكوژه	وفتاح البرعمة

كان (علي شيرا) منشرحاً لوفرة المحاصيل الزراعية الذي يعني أن حصته ستكون كبيرة، وبمناسبة ذلك احيا قرويو (ههرني) حفلة رقص ويظهر أنها كانت حفلة شيقة هزت مشاعر (علي شيرا) فنطق بعبارة مازالت تجري في الزيبار على الألسن كمثال من الامثال فوصف الرقصة بقوله (لا يلجها خارج ولا يبرحها من في الداخل) وهي في الواقع تورية يريد بها أن سلطة فتاح آغا لا يشارك فيها اجنبي ولا يقاسمه أحد فيه، ومما يدل على أن صاحب العبارة كان يهدف الى هذا القصد، إشارة الزيباريين حتى يومنا هذا الى المثل عندما يريدون وصف حكم فاسد يقف ضد التغيير بعناد "انها رقصة على شيرا لا دخول اليها ولا خروج منها" (داوتا عهلي شيرا، نه كه س بيتي نه كه س بجي) أو أن يسيروا الى حكم ظالم يهدف الى بقاء الوضع الراهن فيقولوا (أنها رقصة على شيرا).

ليس استغلال الزيبار وحده هو المصدر الذي كان يدّر المال على فتاح آغا، فإلى جانب ذلك مورد آخر مضمون هو إحتكاره عملية عبور القبائل الكردية الرّحل في موسم الصيف الى مراعي اوفر للكأ في الأجزاء الواقعة شمال المنطقة. وهكذا يحكم القدر ان يكون له نصيب مما كانت تنهبه قبائل (الهركي) وهي في طريقها الى مراعيها الصيفية. إذ أن لها ممرا في أراضي الزيبار التي يسيطر عليها فتاح آغا. فعند اقتراب القبيلة بمواشيها وقطعانها واثائها، يأمر فتاح آغا برفع المعابر الخشبية من فوق مجرى الزاب والابقاء على معبر واحد في وادي (بالندا) وهو معبر يُجرس عادة حراسة دقيقة في ذلك الموسم، فتتجمع أثقال القبائل وقطعانها منتظرا كل فريق منها دوره للعبور، وكان من عادة فتاح آغا ان يحضر شخصا للاشراف والاستمتاع بالمنظر والتأكد من ضبط الجباية، في حين يؤلف حرسه المسلح نقطة سيطرة امام منتظري العبور لأجل استيفاء الرسم.

لقد برم الهركيون بهذه المعاملة وحاولوا التفاهم مع فتاح آغا لتخفيض رسم العبور هذا، وحاولوا استرضاءه بشتى الطرق الى الحد الذي عرضوا عليه كما ينقل الرواة تزويجه بأجل عذراء في القبيلة بعد ان اعيتهم كل الحيل. نسوق

هذا دليلا عن بأس فتاح آغا، فقد كانت معظم القبائل تخشى بطش الهركيين وتتحاشى الدخول معهم في نزاع. وفي عهده توطد حكم الاسرة على الزيبار، ومن مظاهر ذلك أنه بنى له في (باز) قصرا توخى فيه المناعة وسهولة الدفاع عنه، ونقل اليها ان جميع اهالى (بهروژ) سخرؤا فى تشييد هذا القصر فزودوا الاغا بمواد البناء وأرغموا على تأمين ما يحتاجه من اخشاب ونقل أحمال الثلج اليه اثناء الصيف على ظهورهم من اعلى جبل شيرين بصورة منظمة. وقد اثرت عنه الخشونة والغلاظة وقسوة القلب، فكان مصد رعب لأهالى الزيبار لا يجروء أحد على مخالفته في أمر. وقد نال منه آل مصطفى آغا وهم أغوات أقل شأنًا وسكان (بهروژ) بشكل عام الذل والمهانة بنوع خاص.

كانت قرية الآغا تقع في ارض منبسطة، ولذلك اشتهرت بغلاتها الوفيرة من الحبوب، وقد عاشت اسر مسيحية ويهودية فيها وكان شديد الاهتمام بأقامة علاقات وثيقة مع اصحاب النفوذ المجاورين لاتخاذهم سنداً في الاوقات العصيبة كما كان على أحسن العلاقات بموظفي الدولة وشديد الرعاية والاكرام لهم، لأنهم همزة الوصل بينه وبين المركز في الموصل وعلى تقاريرهم تتوقف انطباعات الدولة عنه وعن تصرفاته.

كانت دار الضيافة في (هه رنى) ملتقى المراجعين والزائرين، ويقبل الآغا ويتصدر المجلس ويتفحص الضيوف ملياً بأنظاره وإذا توجه الى أحد بالكلام رفع من قدره ومنزلته وحسده أولئك الذين لم يتنازل الآغا الى مخاطبتهم. الى جانب الرهبة والخوف الذي كان يشيعه فتاح آغا فى النفوس فأن رعبته من اهالى هرنى كانوا شديدى الاعجاب والاعتزاز به وبأغواتهم، بحيث تأثروا بأخلاقهم فتشربوا بروح الاستعلاء في مواجهة سكنة القرى المجاورة.

الفصل الثامن

سلطان آغا بيّرسيافى رئيس الشيروانيين وابنه احمد

كان لسلطان آغا ابن حسن بك بيّرسيافى، الزعيم الشيروانى سبعة ابناء هم: (مرعان وسليمان واحمد وعزيز وسليم وعبد الله وصالح) له تدين العشيرة الشيروانية بالطاعة والولاء. سكن قرية بيّرسيافى، في هذه القرية عاش أتباع الديانات الثلاثة المسلمين واليهود والمسيحيين. وفي القرية مسجد يزدحم في ايام الجمعة بالمصلين الوافدين من القرى المجاورة.

كان سلطان معاصراً لكل من فتاح آغا والشيخ محمد. وبينه وبين الاول منهما علاقة صداقة متينة يزوره في هرني فيتلقيه فتاح آغا مرحباً، لان القرب منه يعنى بعد سلطان آغا عن شيخ بارزان. وكان ثمة نفور وبرود بين شيخ بارزان وبين سلطان آغا، لم يفلح الشيخ في ازالتهما رغم محاولاته. غير أن الاحداث الاخيرة اخذت تغير من موقفه الاخير. فعلى أثر رجحان كفة نفوذ الشيخ محمد على نفوذ فتاح آغا وبسبب تقاطر الشيروانيين المستمر على حلقات الشيخ وانصوائهم اليه، صحح سلطان آغا موقفه تدريجياً ومال الى الشيخ حتى انه زوجه بابنته (خاتون) إلا أن هذا الميل لم يتصف بالحماسة والاندفاع. ومع هذا فإن الود الذي نشأ بين الاثنين كان له أثره بعد وفاة سلطان آغا في العام 1890 وتولى الرئاسة ابنه (أحمد) بموافقة ورضا سائر اخوته.

كان أحمد آغا هذا مريداً للشيخ، الأمر الذي حدا بالشيروانيين الى الانصواء الى صف الشيخ دون خوف، وكان أحمد آغا هذا لا يتسم بالكبرياء والخطرة اللتين طبع عليهما والده، ولا بحدّة الطبع الى جانب قوة بدنية خارقة بحيث لم يكن أحد يجروء على معارضته ولو بالحق الصراح. وهناك قصة

تروى عن سلطان آغا هذا تصور لنا مدى ماكان يشيعه من الخوف فى نفوس اتباعه. خرج ذات يوم فى جولة يحيط به اعوانه وخدمه، فلمح اربناً يبرز من كنه ويعدوا مسرعاً. فالتفت الى مرافقيه وسأل "من منكم يستطيع ان يعرفنى هل هذا الأرنب ذكر ام أنثى؟". فلم ينس أحد بحرف واخذوا يتبادلون النظرات الحائرة الى ان انبرى أحدهم وكان معروفا بحضور البديهة فأنقذ الموقف بقوله: "ليس هناك غيرك أيها الآغا يستطيع ان يميز جنس الارنب من خلال عدوه". لقد امسك الجميع عن الادلاء برأى قد يكون مخالفا لرأى الآغا سلطان فيتعرضون لسخطه.

تمسك أحمد آغا بيړسياقى بتعاليم الطريقة واقام على ولائه واخلاصه وقطع صلته باغوات الزيار، كما انه لم يأبه بذوي قربه من أغاوات (سهروكانى) الذين احنقهم ترايد نفوذ الشيخ وأرادوا مقاومته.

عرف أحمد آغا بالسخاء والكرم والاهتمام بأفراد عشيرته والحرص على وحدتها. وفى عهده خفت كثيراً غارات البرادوستيين على قرى الشيروانيين لغرض السلب والنهب بسبب اتخاذه موقفاً حازماً منهم.

ومما يروون عن مبلغ عفته ونزاهته ان بعض اهالى قريته شكوا لديه ابنته (رقيه) لأنها جنت ثمرتين من شجرة كمثرى تعود لأحد الفلاحين. فكفر احمد آغا عن (ذنب) ابنته بذبح أفضل تيس فى قطيعه كان قد رباه وتعهده لغاية الاخصاب بسبب جودته. ووزع لحم التيس بين اهالى القرية محرماً إياه على أسرته ومعتبراً ذلك عقاباً لشخصه ومثلاً رادعاً للجميع حتى لا يتجاوز أحد على حقوق اخيه.

الفصل التاسع

الاتفاق على اسقاط فتاح آغا

في حدود العام 1889 كان الشيخ محمد في قرية (بي) الشيروانية حين اتصل به عدد من (البهروزيين) الساخطين وقد عقدوا العزم على وضع حد لتحكم فتاح آغا واستغلاله. وتم الاتفاق على موعد الاجتماع حيث حضره الشيخ وحضر ممثلون عن انصاره عرفنا منهم (عبد الله گوج، محمد شرا، زبير درويش، داود بياني) وطرح على بساط البحث جملة من الاجراءات لاتخاذها ضد فتاح آغا. وتم اقرار خطة، إلا أن أحد المشاركين في الاجتماع (داود بياني) الذي تظاهر بالولاء للشيخ في حين كان عينا لفتاح آغا عرج وهو في طريقه الى بيته على سيده وأفضى اليه بتفاصيل الاجتماع والخطة التي اتفق عليها المجتمعون للحد من نفوذه. فأرسل (فتاح آغا) يستدعي جميع الذين شاركوا في الاجتماع، فأدرك هؤلاء ان فتاح آغا واقف على ما دبروا، وانه لا بد متخذ احتياطة، فلم يجرؤا على تنفيذ ما قرروه. وازداد حذر (فتاح آغا) وانكشف امر (داود بياني) للمريدين فأجتنبوه⁽¹⁾. ومرت فترة دعا الشيخ بعدها الى اجتماع اخر لعين الغرض. ولم يتفشى خبر هذا الاجتماع هذه المرة، ثم أعلن الشيروانيون والبهروزيون تضامنهم فيما سيقدمون عليه، وهذا هو أول تحالف بين القبيلتين لازاحة سلطة اقطاعية ظالمة.

يمثل هذا القرار نقطة تحول هامة في تاريخ جهاد مشيخة بارزان. لقد شعر فتاح آغا ان أنصار الشيخ لم يعودوا يراجعونه لفض نزاعاتهم كما كانوا يفعلون في السابق، وانما صاروا يتوجهون بها الى شيخ بارزان. كما لاحظ ايضا ان هناك تعاطفا وتكتلاً بين الاهالي من مظاهره قلة الخصومات الفردية

⁽¹⁾ لم يحاول الشيخ محمد ان يقتص من (داود بياني) عندما ساءت علاقته بفتاح آغا وطرده وأصبح بإمكان الشيخ ان يفعل ذلك.

الفصل التاسع: الاتفاق على اسقاط فتاح آغا

والشكاوى عنده حتى أصبح يبدوا له وكأن ثمة اجماع على مقاطعته وتحدي سلطته بشكل سافر، من جهة أخرى شعرت المشيخة بأن الوقت قد حان لمساندة المضطهدين والمستغلين بصورة صريحة والا غامرت بمكانتها عندهم وفقدت احترامها. ان خوض هذا الصراع كتفا بكتف مع اولئك المستضعفين هو في الواقع جوهر رسالتها. وانه لا بد والحالة هذه من الاحتكام الى السلاح. لقد أدرك الشيخ انه بهذا وحده يستطيع ان يطرد الولاة القبلي ويضع مكانه الولاة الروحي. وتمت تهيئة العشيرتين (شيراوانى-بهروژى) للمعركة. كان ذلك في عام 1891 حيث قام أنصار الشيخ المسلحون فجأة بالهجوم على قصر الآغا في قرية (لاتكا) فأسرع هذا بمغادرتها الى (سيري) ومكث فيها فترة، لكن المسلحين تعقبوه وطرده من (سيري) فانتقل الى (باز) آخر معقل له. إلا أن وحدات من أنصار الشيخ كانوا قد عقدوا العزم على اخراجه من كافة اراضي (بهروژ) فهاجموا في (باز) وطرده منها، وبهذا انتهى نفوذه في (بهروژ) وعاد الشيخ محمد الى بارزان ظافراً.

لم تكن ظروف الدولة العثمانية وما تشكوه من متاعب ليسمح لها بأن تلقى بالاً على ما يحصل في هذه الزاوية الجبلية الوعرة المنسية من كردستان البعيدة جدا عن مراكز الادارات العثمانية لأسباب كثيرة، منها ان نزاعاً ضيقاً صغيراً مثل هذا لم يكن يهدد أمن الدولة الداخلي، فمثله كثيراً الحدوث وهو كذلك لا علاقة له بأمن الدولة الخارجى ولا يستدعى تجريد قوة لفضه. فبالنسبة الى تلك الامبراطورية المترامية الاطراف لا فرق، ثم إذا استظهر شيخ صغير الشأن على آغا سلطانه لا يتعدى عدداً من القرى. ولا يحتاج الى تسخير قوة عسكرية لنزاع قد ينفض تلقائياً بالصلح بين المتخاصمين او بأستظهار أحدهما على للآخر، في الوقت الذي كانت هذه الدولة بحاجة الى كل جندي وهي تخوض حروب البلقان المضيئة الطويلة الامد. أضف الى هذا ان الدولة العثمانية في هذه المناطق البعيدة التي يصعب اخضاعها، تقتنع عادة بالسيطرة الاسمية وبجباية ما يمكنها جبايته من الضرائب تاركة الحبل على الغارب

الفصل التاسع: الاتفاق على اسقاط فتاح آغا

للنزاعات المحلية. تبقى هذه السلطة زمنياً وهي غافية او متغافية ولا تتحرك الا إذا تفاقم الامر الى الحد الذي يؤذن بتهديد حقيقي لتلك السلطة الاسمية، كإعلان عصيان مسلح بنية الانسلاخ، أو كمقتل مجموعة من موظفيها أو طردهم من المنطقة الملتهبة، أو رفض استقبال محصلي الضرائب والامتناع المتتالي عن دفعها. عندئذ تستيقظ السلطة من غفوتها فجأة وتأمراً أقرب الولاية أو الحكام الى تلك المنطقة بالقيام بعمل عسكري، وهذا العمل العسكري عادة لا يعدوا تجريد حملة تأديبية تتحرك الى المنطقة حتى تدخلها، فتقبض على عدد من السكان (معظمهم قد يكونون أبرياء) وتضرب بهم مثلاً. فتحرق قرية او اثنتين من قراهم ثم تمارس اشد انواع الضغوط والاكراه لانتزاع المتأخر من الضرائب وبعض المتقدم منها ويحل افراد الحملة ضيوفاً على الاهالى فيثقلون كواهلهم بالايواء والاطعام، وتبقى الحال هكذا حتى تشعر السلطة بان الملل أدرك افراد الحملة او ان الوضع عاد كما كان. فتعين موظفاً جديداً بدلاً من الموظف القتيل او المعزول، وتكون هذه اشارة الى عدم وجود خطر او مانع من عودة مثيري الشغب من المناطق العاصية التي هربوا اليها عند تقدم الحملة الى قراهم.

في مثل هذا الوضع لا يوجد ثمة شيء اسمه الامن أو النظام، ولم يكن بإمكان محبي الامن والاستقرار ان يرجوا خيراً من السلطة التي يفترض انها تحمي الامن وتوفره للمواطنين. لذلك وجد شيخ بارزان كغيره من الشيوخ او اصحاب النفوذ المحليين ان يأخذ زمام المبادرة بيده ليؤدي الواجبات التي عجزت الادارة الحكومية عن أدائها، الواجبات أزاء مواطنيه وانصاره ومريديه.

الفصل العاشر

الشيروانيون

خرج التصوف من المساجد والتكايا الى الشارع لمقاومة القوى المستغلة بنفس سلاحها. واخذ يعتمد على قوته البشرية وسواعد أنصاره فضلاً عن قواه الروحية. ومن تلك القوى البشرية التي اعتمدها، الشيروانيون أنصاره الاوفياء. لقد كان للشيروانيين دور رئيسي في طرد فتاح آغا من معاقله الثلاثة وبقوا امناء على رسالة شيخ بارزان جيلا بعد جيل وخلفاً عن سلف.

تعد شيروان من القبائل الكبيرة. اشتهر افرادها بالشجاعة وشدة المراس وهي كثيرة العدد تنتشر قراها المتعددة على رقعة واسعة من الارض متماسكة متحدة وتتألف من الافخاذ التالية اسمائها:

- 1- فخذ (سهريّ مهزنا) وله من القرى (بيدارون، دوري، كانيا ديّري، ليّربير، زارار، ريّزان).
- 2- فخذ (مامالا) وله من القرى (كوركي، كيران، ايشوكر، سهرگهلي، بستي، كيراناكير، بهروژك، گرد).
- 3- فخذ (مامژدا) وله من القرى (بييستي، ژاژوك، مالهسوار، شيخ سيدا، سبيندار، ميّرگه سور، باني، بن بيا، گورهتو).
- 4- فخذ (مام دلا) وله من القرى (كانالنج، بهردري، ماميسك، قازي، خيرزوكا، كهكله، بابكي، مامولا، بيّرسياش).
- 5- فخذ (مام جهما) وله من القرى (بييدود، كهلوك، كاقلان، مهران، مهسهنّي، سهروكاني، بيران، كولهكا، گركال).
- 6- فخذ (شيرواني ديّرا) وله من القرى (شيروان، ليّري، كلكهمو، بهردريا، سهردريا، بيّي، بيّخشاش، كانيبوت، راودهشا).

الفصل العاشر: الشيروانيون

ويغلب الاخباريون المحليون ان هذا القبيلة نزحت من جبال حكارى واستوطنت منطقتها الحالية بعد انتقالها من حياة الرعى والبداءة الى مزاولة الزراعة والاستقرار. فسفوح جبال (هورى وسهرى كورى وأطراف كوراڤا) تؤمن لهم مساحات كافية من المراعى للقطعان صيفا. والاراضى الشيروانية هى من أفضل المشاتى.

في فترة اليقظة الدينية لشيخ بارزان، انضم الكثير من أهالي القرى المذكورة تحت لوائه. وهنا ايضا كما في الزيبار نقم بعض اغوات القبيلة على الشيخ وتعرض اعوانه الى اضطهادهم. وعندما عاد الشيخ الى بارزان، كان انصاره الشيروانيون لا يتلقون اوامرهم إلاّ منه وقد جمعهم الى اخوانهم (البهروژيين) رابطة الاخوة في الطريقة. ان الشيخ كان قد أصدر أوامره الى أنصاره (البهروژيين) بقبول الشيروانيين المظطهدين ضيوفا عليهم. فلبوا طلبه ورحبوا بهم واعانوه في تلبية احتياجاتهم. وقد روى لنا عن ذلك الشيروانى المدعو (حاجى مامسكى) الذي ذهب يوما لطحن قمحه في احدى القرى، فلمحه خدم الآغا (مير ملا) الشيروانى، فأمسكوا به وجردوه من سلاحه وأنهلوا عليه ضرباً وشتماً حتى إذا شفوا غليلهم منه وتركوه محذرين مهددين بقتله ان لم يكف عن موالاته لشيخ بارزان. فعاد (حاجى مامسكى) الى قريته واتفق مع شقيقه (شيخو) على مواجهة (احمد آغا بىرسيافى) لبحث الامر. وكان احمد آغا آنذاك من مناصري شيخ بارزان. وبالرغم من وجود صلة القربى مع (مير ملا) التى لم تكن بالدرجة التى تجعل وساطته لديه اكيده المفعول لضمان عدم تكرار الاعتداء، لم يتمكن من تقديم ضمان يقنع به الاخوين المطاردين بالبقاء في قريتهم. فلم يكن منهما إلا ان تسللا في أحد الليالي من القرية بأسرتهما وقطيعيهما الى (بهروژ)، وكثير غيرهما اختاروا الهجرة على البقاء المذل تحت سلطة الآغا.

الفصل الحادي عشر

أحوال المريدين والأنصار

عملت الدعوى على غرس الاحساس برابطة الجماعة وأثبتت فوائد الاتحاد والتكاتف وكافحت انطوائية الانسان القبلي، ووجهت العنعنات القبلية الى هدف واضح نبيل وعلمت التضحية وذلك بالدفاع عن مصلحة الجماعة والمصير المشترك، واوجدت معيار مساواة لم يكن يهتم به من قبل، المساواة امام الله والتمايز بالعقل والعلم والتقوى. فمثلاً عندما انضم احمد آغا الى جماعة المريدين نبذ مظاهر الابهة التى يتحلى بها كبير القوم. شوهده وهو يحمل الخطب على كتفه اسوة بالفلاحين ويروح ويغدوا من غير حاشية او اتباع. وتحلى الناس جميعا بفضيلة التسامح وصدّوا عن التقاليد القبلية العنيفة كمتابعة الثارات والاغارة على القرى بقصد النهب بوصفهما من مظاهر الرجولة. لقد اجمع الأهلون على تطبيق النظام الجديد باختيارهم وارادتهم الحرة لا بالاكراه او الخوف من العقاب. وطراً تغيير على بعض المفاهيم الاجتماعية كمفهوم الزواج الذي أصبح الان قائماً على اساس الاختيار الحرّ. فزالت بذلك القيود التى كانت تحول دون الاختيار والرضا المتبادل ولم تعد المرأة سلعة. فقد فرض الشيوخ في بارزان ان لا تجبر الفتاة على الزواج بمن لا ترضاه. وان لا تُكره من قبل ابوها او اخيها او ولى امرها بالزواج من رجل لا تريده او لا تميل اليه. كما لم يعد المهر والصدّاق عقبة في سبيل الزيجة، الامر الذي يلفت النظر بشدة في عصر لم يكن للمرأة شأن يذكر ولا كلمة في مصيرها في كل المجتمعات الشرق أوسطية.

ظاهرة اخرى تستحق الذكر أيضاً، هي زوال آثار التعصب الديني والمذهبي. لقد وجد المسيحي واليهودي واصحاب المذاهب والطرق الاسلامية الاخرى أنفسهم احراراً في مجتمع لا يفرق بين الناس بسبب

الفصل الحادي عشر: أحوال المريدين والأنصار

معتقداتهم وأخذوا يمارسون شعائهم الدينية بدون حرج ويعيشون في بيئة لا تفرض عليهم عزلاً اجتماعياً، وإنما تعمل على التعاون معهم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات. ومن تتبع حالة الاقليات الدينية في الشرق الاوسط تحت ظل الدولة العثمانية فإنه لا شك مدرك ماذا يعنى قيام مجتمع حريص على المساواة قولاً وعملاً.

حاول دعاة الطريقة النقشبندية في بارزان تطبيق ذلك ونشر العدل والتعايش السلمي في أوسع دائرة في ارجاء كردستان، إلا أنهم لم ينجحوا إلا في دائرة مجتمعهم، لأن المنافسة المؤدية الى الصراعات بين الطرق ومشايخها كانت مما لا مفرّ منه عندما تتدخل الطموحات الشخصية.

لقد ميزت الطريقة في بارزان بين ثلاث طبقات من التلاميذ تختلف فقط بمرتبتها الروحية اولها (طبقة الديوانه) وثانيها (طبقة المريدين) وثالثها (طبقة الزهاد). والاخيرة منها كانت تحظر على نفسها أكل اللحوم وما هو ثمرة الحرث والعمل وغذائها قاصر على الفاكهة والنبات وما تخرجه الارض تلقائياً. اما الثانية (المريدون) فهم الملتزمون بأداء الفرائض الشرعية الاسلامية والسير على آداب الطريقة النقشبندية. وتميزت الطبقة الاولى (الديوانه) عن الطبقتين الاخرتين. كانت تمارس من الحرية أكثر مما ينبغي حتى تصل ممارستها هذه حدّ الاعتداء على حريات الاخرين. وكثيراً ما وقف الشيخ مكتوف اليدين أمام تطرفها وعجزه عن كبح جماح أعضائها والسيطرة على تصرفاتهم. وكثيراً ما أقدموا على اعمال دون استشارة الشيخ فيها معتمدين على (أحوالهم) وعلى (المعرفة) التي زودتهم بها تلکم الاحوال. مقتنعين ان استنتاجاتهم صحيحة مستخلصة من جوهر التعاليم التي تلقوها عن شيخهم ومفترضين مقدماً أنه سيرضى عنها ويصادق عليها وانه ليس بإمكان الشيخ معارضتهم مادام تصرفهم نابعاً من ايمانهم العميق بمعتقدهم. لقد ادى هذا النوع من التصرفات غير المدروسة والمتطرفة الى امور مؤسفة خطيرة كما سيرد ذكره في موضعه.

الفصل الحادي عشر: أحوال المريدين والأنصار

كان (الديوانه) في احيان كثيرة يقدمون المبادئ التي تلقوها على أوامر الشيخ وفتاويه. وهم لا يرون خيراً في ذلك الشيخ الذي لا يطبق تلك المبادئ ويسير على نهجها. فمثلاً طردوا شقيق الشيخ محمد الوحيد (ملا قاسم) من بارزان بالرغم من استنكار الشيخ محمد ومعارضته. وعللوا عملهم هذا بقولهم ان التعاليم النقشبندية لم تروضة ولم تترك فيه بصماتها لتجعله شبيهاً بشقيقه. واجهوا الشيخ محمد مجتمعين وابلغوه بما قرّ عليه قرارهم ولم يفد منطق الشيخ ورجاؤه وشفاعته. قالوا له "ان ملا قاسم سيكون سماً قاتلاً في المستقبل، ولو اتاحت له الفرصة لفرض اعمال السخرة على رقابنا كما يفعل الأغوات". وهكذا طرد (ملا قاسم) ولم يَسع اخاه الا الرضوخ للأمر الواقع، فغادر المطرود بارزان الى (ولات ژيرى) ولم يغادرها لاهو ولا اهله، واحفاده يعيشون هناك الى يومنا هذا⁽¹⁾.

ان نزول شيخ بارزان الى قرار الجماعة في أمر يتعلق بأقرب فرد في اسرته اليه، هو بحق إدراك عميق لمسؤولية الرئاسة تتجلى فيه روح التضحية وانكار الذات وهي التي قربت شيوخ بارزان الى قلوب اتباعهم فأمنوا بهم وباحكامهم ايماناً عميقاً وحفظت لهم مكانتهم وابقيت مريديهم ملتفين حولهم في أخرج الظروف، حتى انهم (كما برهنت الاحداث فيما بعد) لم يكونوا ليرددوا في استقبال الموت بصدورهم بإشارة واحدة من شيخهم، لا يعقبها سؤال منهم او استفسار. لقد طبق شيوخ بارزان ماجاء في الحديث النبوي (سيد القوم خادمتهم) وما جاء في الانجيل (من كان اكبركم فليكن خادماً لكم).

والجدير بالذكر هو أن عهد الشيخ محمد اتسم بتوسع دائرة الانتماء الى الطريقة، فقد تمددت المشيخة البارزانية غرباً بانضواء (محمد آغا هيئشه تي) من أغوات النبروه وانتمائه الى الطريقة على يد شيخ بارزان الثالث وأخلص له، وبهذا انضوت عشيرة النبروه لبارزان، وقد امتعض (الشيخ محمد صديق

⁽¹⁾ منطقة (ولات ژيرى) اسوة ببقية المناطق التي شملها التهجير القسري والاستيطان العنصري. ازيج عنها كل المواطنين وهدم كل قراها مثل: شنگيل، بابسينفا، داويدكا، ديل، هيذا، سةروكانى، شيقى، بيكول نهاية عام 1975.

الفصل الحادي عشر: أحوال المريدين والأنصار

النهري) عندما شعر باتساع نفوذ بارزان في أوساط عشيرة (النيروه) لذا استدعى شيخ نهري محمد آغا هيشهتي الى (نهري) ليوقف عملية الانتفاء الى بارزان، لكن أبا أن يتخلى (محمد آغا هيشهتي) عن ولائه لشيخ بارزان، فحجزه مايقارب عاماً ثم أخلى سبيله. وعند رفع الحجز عنه مرّ ببارزان وهو في طريق العودة الى نيره، وذكر له الشيخ ان حجزه كان أمراً وارداً بسبب مايكنه (شيخ نهري) من المشاعر السلبية تجاه بارزان.

ان نشوء الدعوة النقشبندية كنقيض لمصالح الاقطاعيين في مجتمع تسوده الزعامات القبلية واضطرار الجانبين الى استخدام وسائل العنف للدفاع عن نفسه ومصالحه هو الذي فرض على العقيدة الصوفية تجنيد طاقتها الروحية لتغيير الوضع السائد بقوة السلاح والتحلي بروح قتالية عالية. وقد استقطبت هذا الروح في طبقة (الديوانه) وهم جنود الطريقة الشجعان الذين كتبوا تاريخ بارزان بتضحياتهم. كانوا رجال عمل لا رجال قول ونحن نسمع عن مآثر وبطولات شخصيات منهم ما زالت ألسن الرواة تتناقلها وتتناولها بالاعجاب والتقدير.

الفصل الثاني عشر

المشيخة والجيران

مرت المشيخات الصوفية (الخالدية- النقشبندية) على اختلاف مواقعها الجغرافية بمراحل تكاد تكون متشابهة. بدأت كلها بتسليم عميدها اجازة الارشاد من مولانا خالد او أولئك المجازين من قبله، بدءاً بالأب او المؤسس منشئ الحلقات الاولى، ثم بمجموعات من المريدين. وبعدها تأتي مرحلة ارساء الزعامة الروحية وهي عادة وفي كل المشيخات تبقى منحصرة ضمن نطاق اسرة المتسلم الاول، أعني إن الابن يخلف أباه او الاخ أخاه وهكذا.

تسلم الشيخ (محمد صديق النهري) زعامة المشيخة في حكارى العام 1883 وكان جده السيد طه النهري عميد الطريقة ومؤسس المشيخة وتلاه ابنه (الشيخ عبيد الله النهري) البطل القومى الذي وجه نفوذ المشيخة الروحى الى اهداف وطنية وقام بثورته الكبرى ضد الدولة العثمانية والايروانية معاً. بعد الفشل الذي اصابه ونفيه الى استنبول تسلم الرئاسة حفيده (محمد صديق).

وكانت مشيخة (بجيل) تحت زعامة (الشيخ محمد ابن الشيخ احمد الكبير) مؤسس تلك المشيخة. وقد انضمت تحت لوائها قبائل كردية تتكلم اللهجة السورانية واللهجة الكرمانجية، ومن اهمها (مام گرد، مام كهكول، پيربال، مام لس، مام ساكى، مام سال، مامه سامى، چاربوتى، ماله سنى، خه يلانى، سه رمردى، توخمه نه بيله، مندك، توخمه بالين، جاخ اوامر، مامان مري).

الفصل الثاني عشر: المشيخة والجيران

وقد توحدت هذه القبائل ذات اللهجتين (سوراني - باديني) في إطار وحدة روحية متماسكة جمعتها معاً رابطة الطريقة النقشبندية، فتجاوزت بذلك حدود العزلة والعنعنات القبلية وعداوات رؤوسائها.

وفي بارزان كانت الزعامة للشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام وتكايا أخرى كتيكية (بامرني) وتكية (بريفكان) القادرية. وهذه التكايا كانت في السبعينات من القرن التاسع عشر قد اجتازت مرحلة البناء وترسخت أسسها.

لم تكن هذه المشيخات رغم قربها جغرافياً بعضها من بعض على صلات وعلاقات طيبة، وإنما كان يغلب على علاقاتها التباعد والجفاء وبدت كل منها وكأنها تميل الى العزلة والانكماش والانزواء، ولذلك لم يكن زعماءهم يتبادلون الود. ونعني بصورة خاصة المشيخات الثلاثة الهامة المتجاورة (بارزان، بجيل، نهري). وبالأحرى كان ثمة منافسة فيما بينها على اجتذاب القبائل الكردية كل الى معسكره. ما لبثت هذه المنافسة ان تطورت الى صراع دموي مرير وتناحر جرّ الى اشتباكات دامية خلفت مشاعر كراهية وبغضاء عميقة لعدة اجيال. هذا المنحى لم يكن يستقيم مع تعاليم الصوفية ومبادئها الهادفة الى التآخي والتآلف ونبد الخصومات والسلم، والامر كله يعود لشخصية وطباع المرشد، أهو نزيه متجرد، أم هو محتال مخادع أناني.

يقول مؤلف كتاب "ميراث الخلفاء الأخير" وهو في ترحال دائم بداية القرن العشرين، مع مجموعته من المساعدين والمترجمين لاستكشاف مجاهل الإمبراطورية العثمانية والتعرف على شعوبها: "التوجه نحو كاتيونا قادنا الى منطقة كثيفة السكان ومزروعة بشكل جيد يسكنها أناس يظهر عليهم الخشونة، وجوه شاحبة ولا يبدوا انهم بصحة جيدة، وذكرني هذا بسكنة ساسون المنكوبين، تقع كاتيونا في فم وادي عريض، وللهولة الأولى عندما يواصل المرء المسير، تبدو انها مجرد قرية صغيرة عديمة الأهمية، لكن بعد المرور بأبنية و برج محصن، تصل فجأة عند منزل صخري مربع كبير جلمودي مصبوغ باللون الأحمر. وهذا المبنى البشع هو مكان اقامة الشيخ

الفصل الثاني عشر: المشيخة والجيران

العظيم صديق، ابن الشيخ عبيد الله، انه ليس مكان للعيش، ولكن مجرد مستودع للسلاح والبضائع والتبوغ المحظورة وغيرها من أنواع السلع الغير مشروعة والتي ترضي جشع مالكة.¹

ويلق الرحالة البريطاني بعد مناقشة مع الشيخ صديق: "أراد الشيخ معرفة من سيشتري تبوغه المحظورة، هل ممكن أن يحصل على أسعار جيدة في بومبي؟ هل ممكن ارسالها الى لندن؟ هل الحكومة البريطانية ستشتريها؟ كل هذا ويسداجة طفولية، كان يظهر أن له هدف واحد في الحياة الا وهو زيادة ثروته كلما أمكن"²

الرحالة البريطاني (ويگرام) يشير الى نموذج لا يستقيم مع مبادئ الطريقة وهو محمد صديق النهري فيقول: "قبض على الشيخ عبيدالله النهري، والد (محمد صديق) وابنه (قادر) ونفيا الى استنبول، في حين ترك ابنه الثاني (صديق) على رأس القبيلة. وكان هذا الابن أشد مكرراً من والده فقتل بالسلطان الفعلي على عشيرته وجمع ثروة عظيمة من عملية تهريب التبوغ على نطاق واسع. وكان قوافله تدخل إيران ببغها التي تزيد على المائة متحدية موظفي انحصار التبغ (الريجي). ثم وظف جانباً من ارباح تجارته في عقد صفقات شراء بنادق من روسيا وبيعها في أورمية. وان لم يكن الضبط والنظام قويين في معسكرات جنود روسيا التركمانين فيكون مصدر كثير من البنادق معسكراتهم لأنهم كانوا يقايضونها بزجاجات الفودكا معه.... ولا يذهب دخل الشيخ كله في شراء البنادق، او في رشوة (البخشيش). فقد كتب مرة لواحد من مؤلفي الكتاب طالبا رسالة توصية الى بنك بريطاني قائلاً ان لديه مبالغ من المال يرغب في ايداعها. فزكينا له ببنك او اثنين. ولما كنا نعلم ان سيادته يطلب من البنك فائدة تتراوح بين 10٪ و 15٪ مع اشتراطه

1. Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire LT. Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co London. Garnet Publishing. Page 434- 435

2) Ibid. Page 430

الفصل الثاني عشر: المشيخة والجيران

سحب الودائع عند الطلب. فقد رجحنا ان القضية لن تؤدي الى نتيجة ما، لكن سرعان ما وجدت بضعة آلاف من الباونات سبيلها فعلاً الى (شارع لومبارد المالى) فى لندن. حقا ان امير المهرين هذا كان فى سعة من الرزق."

زعيم عصابة تهريب كردي ذو رصيد مالى كبير فى انكلترا⁽¹⁾. كذلك كان الشيخ (محمد صديق) فهو شيخ وصوفي، وتاجر ومهرب فى نفس الوقت. وبطبيعة الحال كانت الصفتان الاوليتان تسخران لخدمة الصفتين التاليتين. فى الواقع ان هذا الداء الذي ظهرت اعراضه فى مشيخة النهري كان كامنا فى كل المشيخات باستثناء الفاصل الزمني، فبينما الانحراف يصيب بعضها مبكراً يستمر الآخر منها على النهج المستقيم لفترة أطول.

واختلفت المشيخات من حيث التطبع على نهج فكري معين، فكان ثم "مايصح" ان يطلق عليه (المشيخة المتمردة) او (المشيخة الهادئة) ومن نوع الاخير (مشيخة بنجيل) و (مشيخة بامرني) وغيرها. ذلك لأنها لم تصطدم بمعارضة الاقطاعيين أو السلطات الحكومية مثلما حصل فى بارزان، حيث شغل صراع الطريقة مع قوى الاقطاع والحكومات فترة طويلة من تاريخها.

ولسلوك الشيوخ الشخصي كما قلنا، تأثير كبير على مجرى الأحداث. باختلافهم فى فهم وتفسير المعتقدات الصوفية ومدى تحليلهم بالجرأة والحكمة فى مواجهة المشاكل هى عوامل جوهرية فى اعطاء المشيخة طابعها الخاص. نحن نرى الشيخ (محمد صديق النهري) مثلاً يقود مشيخته فى مجرى يناقض الخط الذي سار عليه والده وجدّه، ولذلك ساءت العلاقات فى عهده بين مشيخته وبارزان وحصل التباعد بالرغم من متانة الروابط الروحية الماضية. (تخرج الشيخ عبد السلام الأول فى نهري وأجيز هناك). فى الواقع ان الشيخ محمد البارزاني وقف عاجزاً فاقد الحيلة امام نزوات (الشيخ محمد صديق) وتصرفاته الشاذة وأبى مسايرته فيها واقاراره عليها. وكان يخشى من حصول انشقاق خطير فى الطريقة عامة وفيه مافيه من التأثير السىء على سير

⁽¹⁾ مهد البشرية ("ترجمة الاستاذ جرجيس فتح الله) : ص 152 - 153.

الفصل الثاني عشر: المشيخة والجيران

الاحداث في الزيبار، وهو في الوقت ذاته يعاني من عداء الاقطاعيين أشدّ
العداء. فقد كانت نهري أقوى مشيخة كردية معاصرة.

الفصل الثالث عشر

النزاع بين بجيل وبارزان

الاسباب والنتائج

في البدء كانت العلاقة بين مشيختى بجيل وبارزان طيبة. لقد بنى الشيخ محمد بابنة (خليفة) شقيق (الشيخ محمد بجيل) الذي استخلف والده (الشيخ احمد الكبير). (انظر الى شجرة الاسرة في قسم الملاحق).

يذكر الرواة ان (الشيخ محمد البارزاني) كان يتتهد عادة زيارة لصهره (خليفة) كيما يعرج بزيارة للشيخ محمد السورجى صديقه ايام التلمذة في عقرة. وقد شاءت الصدفة ان يتولى الاثنان زعامة المشيخة، أحدهما في بارزان والاخرى في بجيل بعد موت والديهما. ويغلب على ظننا انه كان يوجد بعض سوء تفاهم بين الاخوين البجيليين (محمد وخليفة) مما حدا بخليفة صهر الشيخ البارزاني الى طلب اجازة الارشاد من بارزان، فأجيز. وربما زاد هذا من القطيعة بين الاخوين.

كان شيخ بارزان داخل حدود مشيخته بحاجة الى اصدقاء يعتمد عليهم، وقد بدا طبيعيا ان ينشد تلك الصداقة من أقرب المناطق وبالاخص بجيل التي لا يفصل بينها وبين بارزان غير سلسلة جبال (قريشو) كما كان ايضا يطمع بتوطيد علاقاته مع نهري، إلا أن آماله لم تتحقق لمعاكسة سير الاحداث له ويعود مبدأ النزاع بين مشيختى بارزان وبيجيل الى الحادثة التالية. اقيم في (رؤقى) وهي قرية يسكنها رؤساء عشيرة الـ(گوران) حفلة رقص مختلط (رهشبه لك) بمناسبة عقد قران دعا اليه الوجهاء ومن بينهم (محمد حافظ) ابن الشيخ محمد السورجى. وفي اثناء الرقص وقعت عينا (محمد حافظ) على احدى المشاركات في الرقص، فوقع في حبها، وشعرت هي بما يكنه، فبادلته

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

العاطفة ونمت العلاقة مع الايام، وكانت المرأة ذات بعل له مقامة ومكانته في الوسط الـ(گوراني). اخيراً وبعد لقاءات سرّية، اتفقا ان يقوم (محمد حافظ) بخطفها. ولم يكن خطف المرأة المتزوجة عند العرف القبلي بالامر الهين، لانه يعد انتهاكا لأقدس الحرمات. وعلى اية حال سمحت (رهش) لنفسها بان تُختطف، فتركت دار زوجها ليلا ونزلت من القلعة خلصة حيث كان حبسها ينتظرها في مشارف القرية، فأسرع واردها خلفه وانطلق بجواده فغاب في احشاء الظلام. وما لبث الامر ان انكشف، فتوجه زوج المخطوفة (شريف آغا) الى الشيخ محمد السورجي الذي روعته الحادثة واصابته بصدمة مؤلمة. فحاول هذا اقناع ابنه برد الزوجة الى بعلها دون جدوى. وعاد الشيخ محمد السورجي يلتمس من الزوج تسريح المخطوفة بالطلاق مخيراً اياه بين ان يختار لنفسه الفتاة التي يريد لها من بين العشيرة او ان يطلب ماشاء من مال، إلا أن شريف آغا رفض رفضاً قاطعاً مقترحات الشيخ.

لابد من الإشارة الى استخدام (المرأة) كوسيلة في نزاعات وثارات القبائل الكردية لتسوية العداوات المستعصية، فتزواج رؤساء القبائل فيما بينهم يهدف الى تشكيل تحالفات تضيفي قوة الى القبيلتين بوجه التهديدات من القبائل الأخرى، وفي هذه الحالة تطيع الفتاة أبويها في تنفيذ ما رُسم لها من مخطط، فتعمل على إزالة مصدر التوتر والخصومات وترسيخ مصالح عائلتها وقبيلتها، والجدير بالذكر أن أغوات الزيبار استخدموا هذا الأسلوب مع العائلة البارزانية بعد أن أعيتهم جميع الوسائل الأخرى في الإيقاع بهم، فزوج محمود آغا الزيباري ابنته الشابة بملا مصطفى، وكان قد تجاوز الأربعين عاماً، و الذي أصبح فيما بعد رئيساً للحزب الديمقراطي الكردستاني في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ولعبت هذه العلاقة دوراً كبيراً في توجيهات ملا مصطفى السياسية وانحيازه للمرتزقه وتوريثه السلطة لاحد أبنائهم مما أدى الى انحراف مسار الحركة الكردية وتدمير بارزان كقيم ومبادئ، فقد كان وثبت هذا فيما بعد انه (ملا مصطفى) يمثل الحلقة الأضعف في البنيان البارزاني المتمسك بقيم العدالة ونصرة الفقراء، وبهذا

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

تمكن الاغوات من بلوغ اهدافهم عن طريق (الدبلوماسية الناعمة) أو (اقحام العواطف) ان صح التعبير.¹

شريف آغا رفض الزواج من (فاتنة القبيلة) ولم يعد أمام شيخ السورجيين بعد ان اعيته جميع المساعي، لجأ الى طرد ابنه وحرّم على القبيلة ايواه. فلاذ (محمد حافظ وحببته بكهف) وصار يعيش عزلة تامة حافلة بالقلق والتوجس من طالبي الثأر (مازال هذا الكهف يسمى باسمه الى يومنا هذا). وفي آخر ربيع تلك السنة احتفى (محمد حافظ) برفقة قبيلة (الهركي) في رحلتها الصيفية الى مراعيها الجبلية. أسقط في يد شريف آغا وتبين له عجز الـ(گورانين) عن الثأر له من محمد حافظ لضعف العشيرة بالمقارنة مع السورجيين، فسكت على مضض متربصاً بفرصته وقد جاءت بشكل غير متوقع عندما أقحم الشيخ محمد البارزاني في القضية من حيث لا يريد، فقد ارتأى بعض الفضلاء ان يوسطوه في الامر وزعم بعضهم بان اقارب (شريف آغا) قصدوه في العام 1891 وطلبوا منه ان يجد حلاً للمشكلة. فافتى بان يفصل الخاطف عن المخطوفة ولو ادى ذلك الى استعمال القوة إن تعذر باللين، وثم ردّ الزوجة الى زوجها شريف آغا.

فأوكل شيخ بارزان تنفيذ الأمر الى بعض خاصته ومنهم (أحمد آغا بيّرسيافى). كان الوقت خريفاً وقد نزل الهركيون الرحل لتوهم من منتجعاتهم الصيفية ومعهم (محمد حافظ) في الوادي المعروف بوادي (سوران) واناخوا في موقع منه يعرف اليوم (گرافدهلى رؤمى) القريب من قرية (شاندر) البارزانية. فتبعهم رجال الشيخ وتنكر أحدهم واختلط بالرعاة والقطعان خارج المضارب وتوصل الى ما يريد معرفته من المعلومات. وفي ساعة متأخرة من الليل اقتحموا خيمة (محمد حافظ) الذي كان يغط في نومه مع (رهشى)

(1). للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة كتاب (الحركة التحررية الكردية وصراع القوى الاقليمية والدولية 1985-1975) الجزء الأول، فصل (الولاء المزدوج لرئيس حذك) أيوب بابو بارزاني، الطبعة الرابعة، دار نشر حقائق المشرق، جنيف 2017.

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

فامسكوا بهما وابلغوهما بان شيخ بارزان قد امرهم باخذهما اليه. ثم وقعت المأساة.

لقد سجل الشعراء والمغنون^(١) قصة هذا العشق. قصة انتهت بمأساة وجرت الوبال على البعيدين والقربين منها، مازال الناس يرددونها شعراً وغناءً حتى يومنا هذا. ومما حفظه الرواة محاورة شعرية طويلة على لسان الحبيبين تسرد الوقائع والملابسات من اولها الى آخرها حتى تنتهي برثاء (رهشئ) لحبيبتها القتل فتقول -

واحسرتا. في وادي سوران حيث مضارب الخيام
تتناثر فيها البيادر والندوب الغائرة
اقتحموا الخيمة وهجموا على حافظ وهو يغط في نومه.
الطعنة الأولى أتته من (ملای شكر)
اما الثانية فمن (ملای طيب)
والثالثة من (مالخوى شاندرى)

وثم تقول رهشئ منتحبة في آخر المقطع:
حرام عليّ أن امُرّ في وادي سوران برفقة (الكوجر)^٢ بعد الآن.

يؤكد ذلك ما ذكره الرواة عن الذين قتلوا (حافظاً). لم يكن هؤلاء مكلفين بقتله ولا راغبين في ذلك. ولكن كان يرافق هؤلاء الثلاثة مريد من قرية (زورهگقا) متهور مندفع، بادر من تلقاء نفسه بطعن (حافظ) طعنة قاتلة، ووضع اصحابه الثلاثة أمام الامر الواقع، فقد وجدوا ان غضب الشيخ سوف ينصب على رفيقهم الـ (زورهگقانى) وحده، فوجدوا ان السبيل الوحيد لتخفيف الوقع عليه هو توزيع المسؤولية بمشاركته، فبادر كل منهم الى غرس خنجره في جسم حافظ الذي كان كما يقول الواقفون على الامر

^(١) ومنهم المغني الشهير (كاويس آغا)

^(٢) وتعني قبيلة الهركي الرحالة

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

يعاني من سكرات الموت على أثر الطعنة الاولى المميتة. ولا يعرف ما الذي حداب (زورگفانى) الى هذه الجريمة. والتعليل الاقرب الى المنطق هو اعتقاده القاتل ان الموت هو العقاب الذي يستحقه (محمد حافظ). على اية حال وجد (أحمد بيړسياقى) المكلف بالاشراف على تنفيذ اوامر الشيخ والذي كان يرافق هؤلاء الاربعة انه في وضع بالغ الحرج، لانه فشل في السيطرة على تطرف المريدين. ولذلك ثارت ثائرتة عندما علم واعتبر ذلك ازدرأ لأوامر شيخ بارزان.

لما علم القتلة بغضب الشيخ، أدركهم رعب عظيم وتواروا عن الانظار. ووقع الشيخ في مأزق، إذ كان أجدى به ان لا يورط نفسه في مسألة لا ناقة له فيها ولا جمل. وهو الان يقف عاجزاً عن تفسير العمل للشيخ محمد السورجى او محاولة الاعتذار منه، إذ كان يدرك جيداً ان الوالد الثاكل لن يقتنع باي تفسير. لقد ادى مقتل (حافظ) الى نزاعات دموية كانت بارزان في غنى عنها ونالت من سمعة الشيخ محمد، انحاز الشيخ السورجى بقبائله القوية الى حلف اعداء بارزان وهم الاغوات، وقد زودهم هذا الانحياز بمبررات وحجج جديدة، فنشطت دعوتهم من جديد بانحراف شيخ بارزان عن سبيل الطريقة القويم، حتى ان شيخ بجيل أصبح من اعدائه مع وجود رابطة المصاهرة بينهما والانتفاء الى نفس الطريقة.

وتسرّبت الخصومة بشباب العقيدة واصول ممارسة الطريقة وأصبح بغض مريد هذه المشيخة للآخرى معياراً لاخلاصة لمشيخته نفسها. وتفاقم الامر بحيث انه كان يكفي ان يظهر البارزانى بعمامته الحمراء لتثور اعصاب السورجى ويتهيج الى حدّ الوثوب عليه والاشتباك معه في قتال دموي مثلما كان يحصل للبارزانى عندما يلوح عمامة السورجى السوداء.

وبدء شيخ بجيل يوجه حملات تاديبية وانتقامية ضد عدد من اعوان شيخ بارزان راح ضحيتها كل من (مالخو شاندرى - أحد المشاركين في قتل

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

حافظ) و (عثمان ايسومرى)⁽¹⁾ وكلاهما من ذوي المكانة في نزار. فساد الرعب بين أهالى القرى البارزانية المتاخمة وأصبح يتعذر على الرعاة والمزارعين الابتعاد عن حدود قراهم لمباشرة عملهم اليومى خوفا من رصاصة تطلق عليهم او كمين ينصبه إحدى المفارز السورجية. ثم اكتشفت مؤامرة لاغتيال شيخ بارزان، إذ أرسل فدائي سورجى الى تكية بارزان مدعياً انه (طالب توبة) لكن أنصار الشيخ شكّوا فيه ووضعوه تحت المراقبة، ولما ضيقوا عليه وأيقن بان امره افتضح حاول الهرب باتجاه البساتين، وكاد يفلت من المطاردين لولا امراة يهودية دلتهم على مخبئه والاتجاه الذي سلكه. فادركوه وهو مختف في خرج فأطلقوا عليه النار واصابوه واكتشفوا مسدسا كان يحمله في طيات ثيابه لتنفيذ ما أو كل له تنفيذه.

وفي (نزار) توقفت الحياة اليومية تقريبا وأصبح الابتعاد عن تخوم القرية بالماشية وقطعان الغنم غير مأمون. وبنتيجة ذلك عملت كل قرية على اتخاذ احتياطات أمنية لردّ أي هجوم مباغت. واستهدفت بلدة (عقرة) مركز تسويق البارزانيين الرئيس الى شبه حصار، إذ أصبح طريق مرور قوافل البارزانيين اليها محفوفا بالمخاطر.

ذكرنا ان شيخ بارزان تألم كثيرا لمقتل (حافظ) وقد سُمع وهو يقول لأحمد آغا بَيرسياقى الذي جاء بالمخطوفة الى بارزان ثم رَدّت الى زوجها: "أما أنا أو أنت. أحدنا سيكون ثمنا لدم حافظ". وبكت زوجة شيخ بارزان عندما علمت بمقتل ابن عمها.

دام التعرض المسلح زمناً قبل ان يأتي الردّ من البارزانيين. وباشروا في الردّ عندما تجاوز السورجيون الحدود التقليدية المرسومة عرفاً للأخذ بثأرهم. فتطرفوا كثيرا في عملياتهم الانتقامية.

⁽¹⁾ قتل عثمان ايسومرى وهو في اعلى شجرة مشغل بقطف العفص خارج قريته (ايسومرا) برصاص احدى مفارز السورجيين.

الفصل الثالث عشر: النزاع بين بجيل وبارزان - الاسباب والنتائج

كان موقف (خليفة) صهر (شيخ بارزان) عسيرا. على انه توفي قبل ان يشاهد بعينه مقره ومقر اولاده من بعده يُهاجم من قبل ابناء العمومة الذين كادوا يستولون على قرية (كولكان) لولا النجدة التي جاءتهم من الهركيين بقيادة (حاجي آغا الهركي) زعيم العشيرة.

الفصل الرابع عشر

الاشتباكات في كهلات وبجيل

وفي عام 1892 وبعد ان ازادت غارات مفارز السورجيين على قرى البارزانيين. اجتمع هؤلاء لبحث الوضع، وارتأى معظم اعوان الشيخ مواجهة القوة وايقاف العنف باستخدام العنف. ويؤكد الرواة الذين ننقل عنهم ان الشيخ محمد بقي يعارض هذه الفكرة. فتألفت قوة من محاربي بارزان انقسمت الى رتلين اولهما كان بقيادة (فقي عبد الرحمن)⁽¹⁾ و (وسمان آغا) مهمتها الاستيلاء على عاصمة الشيخ (بجيل) وثانيهما بقيادة كل من (ملا شكر) و (حجي حيدر) مهمتها احتلال (كهلات) وجرى التنفيذ بالدقة والسرية اللتين طبعتا فيما بعد سائر عمليات البارزانيين العسكرية وانتفاضاتهم ضد السلطة.

وجَدَ (فقي عبد الرحمن) من الافضل التركيز على قصر الشيخ مقره في بجيل فاحتلاله كفيل بانهاء المقاومة وضمان الاستسلام السريع وتجنب الطرفين الخسائر. في حين ظن قائد الرتل الثاني (حجي حيدر) ان (كهلات) غير محصنة وان بامكانه احتلالها بهجوم مباغت. وبالفعل لم يشعر أحد باقتراب قوة (فقي عبد الرحمن) واحاطتها بالقصر ليلاً وكانت الابواب موصدة، فانتظر فرصته بخروج خادمة من القصر فادركها وكم فمها ودخل الحصن بعدد من رجاله. الا انهم لم يجدوا الشيخ السورجي فيه وانما كان ثم ابنه (قيوم) وطمأن القائد الاسرى على حياتهم وقد اذهلتهم الصدمة - مؤكدا لهم انه ليس في النية الاعتداء على أحد ولا ارتكاب اعمال ثأرية. على ان احتلال القصر بهذه السهولة لم يؤدي الى النتيجة المبتغاة. فقد تعذر على (فقي عبد الرحمن) الانسحاب من القصر بالرهائن،

⁽¹⁾ كان هذا قد درس على يد الشيخ عبد السلام وهو في آسنة، قائد مرموق ذاع صيته، ولعب دوراً بارزاً في عهدي الشيخ محمد والشيخ عبد السلام.

الفصل الرابع عشر: الاشتباكات في كهلات وبجيل

وفشلت بقية القوة التي تركت خارج القصر مبثوثين في انحاء القرية في السيطرة على القرية وتحقيق الاتصال من ثم حماية القوة عند انسحابها من القصر. فلم ير (فقى عبد الرحمن) مخرجا الا التحصن داخل القصر الذي أصبح الان مطوقا باهالى القرية وهم نهب للقلق والتساؤلات حول مصير اسرة الشيخ. وقاتل السورجيون باصرار وعناد وصمد المحاصرون في القصر امام الهجمات المتواصلة. بقي الوضع على هذه الصورة الى ان حضر (الشيخ السورجي) وكان مترددا وجلا لا يستقر على رأى مخافة ان يفقد ابناً ثانياً فيما لو انصاع الى رأي الذين اقترحوا عليه اشعال النار في القصر لاجبار المحصورين على الاستسلام او حرق من فيه مؤكدين للشيخ ان المهاجمين قد قضوا على اسرته. إلا أن الشيخ أحب ان يتأكد من بقاء ابنه في قيد الحياة، فطلب من المحصورين ان يقدموا برهاناً، فتقدم الشيخ قيوم واخرج يده من النافذة ملوحاً بها الى والده، فصرف النظر عن احراق القصر. وفشلت محاولة تالية لاقتحام القصر عندما علا السورجيون سطح البناء وباشروا بازاحة التراب لثقب السقف ومباغته القوة المحصورة، إلا أن هؤلاء فطنوا الى العملية فتربصوا بالحفارين حتى إذا ظهرت فتحة من السقف، بادر القناص البباني المشهور (محمد شيخ يزدين) باطلاق النار فتزف دم وانساب من الفتحة وفشلت العملية بعد وقوع ضحايا، ومضى اليوم الثاني دون ان يبتدى الطرفان الى وسيلة يحقق بها كل غرضه. واضطر (فقى عبد الرحمن) الى ان يصدر لرجاله امراً بعدم إطلاق اية رصاصة الا عند الضرورة القصوى بعد ان كاد عتادهم ينفذ. اما في كهلات فقد خسر الرتل الثانى عامل المباغته. هوجمت القرية في عين الوقت الذي بدأ فيه الهجوم على قصر بجيل، إلا أن المدافعين عن القرية كانوا مستعدين لهم، ففوجئ المهاجمون بنار كثيفة ومقاومة عنيدة. ومما زاد في الطين بلة، ان فريقاً منهم نسي المهمة الاصلية وانصرف الى السلب والنهب، فاستاق مواشي القرية والقطعان، فعاقبتهم عن الانسحاب في الوقت المناسب وانتهاز السورجيون الفرصة يستقدمون النجدات من القرى المجاورة، وزاد الوضع حرجاً وسقط كثير من القتلى من بينهم قائد الحملة (ملا شكر وحجي

الفصل الرابع عشر: الاشتباكات في كهلات وبجيل

حيدر). وقتل ابن الثاني منهما ايضاً وبلغ عدد القتلى اثنين وعشرين، وهو عدد مقارب لقتلى السورجيين في تلك المعركة.

ماكان الشيخ البارزاني يتصور نتيجة كهذه ولا كان مستعدا لتلقى انبائها المحزنة. وأيقن انه مالم يقدم على عمل سريع فان رجاله سيقضى عليهم جميعا في (كهلاتي) لاسيما وان القوة المدافعة عنها ستتوجه بعد دحر القوة البارزانية والقضاء عليها- الى بجيل حيث يمضي القائد فقي عبد الرحمن مع رجاله أخرج ساعات حياتهم. وغمر بارزان شعور باليأس من امكانية عودة ذويهم أحياء.

تم تأليف قوة بقيادة (محمد امين بابسيقي) و (احمد اغا بيرسياقي) تطوع فيها عدد كبير من المتحمسين وعبروا الزاب باتجاه جبل (قريشو) وكان قوام قوة (احمد آغا) من عشيرة الشيراووني وقوام قوة (محمد امين بابسيقي) من عشيرة المزوري.

حسمت المعركة في (كهلات) بإيادة القوات البارزانية وأسرع السورجيون المنتصرون الى بجيل لنجدة اخوانهم وتشديد الحصار. واعلموا (فقي عبد الرحمن) بان قوة (ملا شكر) و (حجي حيدر) قد تم القضاء عليها وعرضوا عليه الاستسلام ونشروا امامه ثياب القائدين القتيلين في معركة (كهلاتي) إلا أنه رفض ذلك ومضى اليوم الثالث بليله.

وصلت النجادات البارزانية مشارف بجيل واشتبكت فوراً في معركة عنيفة مع السورجيين اسفرت عن هزيمة الاخرين وتخليهم عن محاصرة القصر، فخرج المحصورون ومعهم رهيتهم (الشيخ قيوم) وانسحبت القوة جميعا الى بارزان. ولما لم يكن من مخطط (الشيخ محمد البارزاني) الانتقام، إذ بادر فوراً باعادة الشيخ قيوم الى والده مكرماً ومحاطاً بالرعاية، الامر الذي يؤكد عدم رغبته من البداية في اللجوء الى الحل العسكري لفض النزاع بين المشيختين.

الفصل الرابع عشر: الاشتباكات في كهلات وبجيل

لا شك أم مقتل اثنين وعشرين بارزانيا كان كافيا لاهدار دم (الشيخ قيوم) إلا أن البارزانين الذين كانوا يطعمون في غفران الشيخ للحماقة التي ارتكبوها لم يعترضوا على رد الابن الى ابيه. ومما يجدر ذكره ان هذه البادرة خلفت اثرا عميقا في نفس (قيوم) فقد بقي طوال عمره وبالرغم من النزاعات الدموية التالية بين المشيختين يكن ودا للبارزانين.

الفصل الخامس عشر

الحلف ضد بارزان وعودة النفوذ لاغوات الزيبار

انتعشت آمال اغوات الزيبار باستحكام الخلاف بين مشيختي بارزان وبجيل، وكانوا يتابعون بعطف على السورجيين مجرى المعارك ويقدمون من تلقاء أنفسهم على مساعدتهم، من ذلك ان اغوات (ههرنى) ساعدوا عدداً من المفارز السورجية في ضرب قرية (صفتى) التى تقطنها غالبية موالية لشيخ بارزان وسلب مواشيها واغنامها. لذلك وعلى اثر عودة الشيخ قيوم في صيف العام 1893، توجه عدد من اغوات الزيبار الى الشيخ محمد السورجي للتفاهم على خطة عمل مشتركة تتم بها تصفية مشيخة بارزان. ونحى جانباً امر المجابهة المسلحة وفضلوا الجنوح الى الوقعة والدس. ثم انهم شدوا الرحال جميعاً الى الشيخ (محمد صديق النهري) فى حكارى، وكان معترفاً له بالرئاسة من أغلبية القبائل الكردية. واستعد الشيخ محمد السورجي للمناسبة فنظم شكواه وظلامته بقصيدة انشأها فى حضرة شيخ نهري من بين ما جاء فيها:

توى د پرسی ل حهقى	توى صدىقى صادقى
تهمبى دكهى ناحهقى	تو سه يدى مطلقى
	وترجمتها:
انت الحريص على الحق	انت الصديق الصدوق
انت مؤدب المارقين	انت السيد المطلق

وعرضت قائمة طويلة بجرائم الشيخ البارزاني، منها الانحراف بالطريقة عن تعاليمها الصحيحة. والقيام باعتداءات مسلحة (بشهادة الشهود

الحاضرين من اغوات الزبيار). واعمال السلب والسطو بتواريجها، وتهديد تخوم المشيخة السورجيه بأعمال الفوضى والشغب، وحذر الشيخ السورجي في قصيدته من مغبة ترك الحبل على الغارب لشيخ بارزان، ولمحت الى ان ذلك قد يهدد نفوذ مشيخة الشيخ النهري نفسه بل ربما كان هدف شيخ بارزان الاستظهار عليه. وصادف كل ذلك هوى في نفس محمد صديق. فبادر في العام نفسه الى استدعاء الشيخ محمد الى (كاتيونا) مصيفه. إلا أن أصدقاء الشيخ في نهري حذروه من نوايا (محمد صديق) وأكدوا له ان في الامر مكيدة وفخاً منصوباً، وسعوا لاقناعه باهمال الدعوة. وفي بارزان تألفت رابطة تهدف الى منع الشيخ من الذهاب ولو بالقوة، مبدئين استعدادهم لتحمل التبعات والنتائج. كان الشيخ يعلم ان رفضه الدعوة سيثير غضب شيخ نهري الواسع السلطان والنفوذ، فيتخذ من الامر ذريعة للاغارة بقواته المتفوقة على بارزان وقراها ومن ثم احتلالها وتعريضها للخراب. كما كان يدرك في الوقت نفسه ان ما ينتظره هناك ليس بالشيء الذي يجب. ومن هنا صحت عزيمته على تلبية الدعوة لعله يجد اذنا صاغية من شيخ نهري حين يطلعه على الحقائق التي شوهاها اعداؤه.

شد الشيخ الرحال الى (كاتيونا) ولما ارادت (الرابطة) الوقوف في سبيله، أدركه الغضب الشديد واخذ يعنفهم ويوجه إليهم قارص القول، فنكصوا على اعقابهم وتركوه، الا انهم صاروا يتعقبونه بقوة مسلحة دون علم منه لحمايته. فقد كان قلقهم عليه عظيماً.

وفي (كاتيونا) وقبل مثوله امام (الشيخ محمد صديق) اتصل به اصداؤه سراً ونصحوه بعدم رؤية الشيخ والعودة من حيث أتى، إلا أنه لم يتحول عن قراره وقصد مجلس الشيخ ولم يستقر به المقام حتى شعر بالجو الخانق من الجفاء والبرودة. وبدا شيخ نهري عبوساً فظاً وراح يهدد عدة مرات بأنه سيسحب إجازة الارشاد من ضيفه، وأدرك شيخ بارزان ان الامر قد بت فيه قبل حضوره وان الحكم قد صدر عليه بغيابه وأبرم. ولم يكن استدعاؤه لغرض استيضاح الحقيقة وانما لاجل تفهيمه بالحكم. وراقب الشيخ اتباعه

وهم يجردون من أسلحتهم. ولما لاحظ تمنعا من بعضهم انتهرهم وامرهم بالرضوخ. وامر الشيخ نهري بأن يؤخذ البارزاني مع نفر من اتباعه الى (بدليس) حيث أودعوا سجن الحكومة العثمانية... لقد افهم شيخ نهري موظفي الدولة بأن المقبوض عليه مجرم سفاك وله تاريخ حافل بالشغب وأعمال الاعتداء، فلم يعترض القائمون بالامر هناك واطاعوه كأنما ينفذون امرا صادرا من جهة رسمية مسؤولة. ان الدولة العثمانية لم تكن لترد طلبا لشيخ محمد صديق حتى ان الرحالة (ويگرام) يذكر كيف كان يتصرف في منطقته، تصرف الحاكم المطلق ويقوم بتطبيق ادارته الخاصة عوضا عن ادارة الدولة ("في نهري - نايري يوجد (قائمقام) تركي مع مفتش انحصار التبغ، اسكنهما محمد صديق في بيت جميل بناه من ارباح تجارته التي كان من واجب وظيفتهما ايقافها عند حد. الا ان هذين الحيوانين الاليفين تم تدجينهما تماما"⁽¹⁾).

في الحقيقة كان شيخ نهري قلقاً من بزوغ نجم بارزان، لذلك اتخذ شكوى الغير علة لتنفيذ مآربه وهو القضاء على مشيخة بارزان. كما قصد افهام الشيوخ المحليين الآخرين بأنه صاحب السلطة العليا في المنطقة وشيخ الشيوخ كلهم.

بايداع شيخ بارزان السجن تحقق حلم الاغوات الكبير وعاد رجال الحلف مرتاحين مقتنعين بأن ابعاد شيخ بارزان عن المنطقة كفيل باعادة نفوذهم واستعادة سلطانهم المتقوض على القرى التي انحازت الى الشيخ. وفعلا بسطوا ايديهم ثانية على قرى الزيبار وشرعوا يعتصرون مواردها ويسخرون اهاليها، وعانى اعوان الشيخ ومريدوه كثيرا من العنت والظلم وتعرضوا لتدابير انتقامية وثأرية. وأعاد (فتاح آغا) كالسابق وكلاءه على القرى، على ان آل (مصطفى آغا) اغوات (بيره كه پره) وهم من اقرباء اغوات

⁽¹⁾ مهد البشرية، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. ص 153

(ههرنئ) لم يحركوا ساكنا ولم يشاركوا، فقد كانوا أضعف واقل نفوذا من اقربائهم الـ (ههرنيين). ولذلك بقيت للآخرين اليد العليا.

في تسعينات القرن التاسع عشر تردد اسما (حسن آغا) و (محمد آغا) من اغوات آل مصطفى، ويظهر انها كانا معاصرين لكل من الشيخ محمد البارزاني وفتح آغا الزيباري.

واضطر الزيباريون بعامل الظروف ان يخدموا اسيادهم الجدد ظاهريا دون ان يطرأ أي تغيير على ولائهم القديم في غياب شيخهم الذي شاع حول مصيره مختلف الشائعات حتى ظن القوم إن أمره انتهى.

الفصل السادس عشر

بعد السجن

العودة

ان قيام السلطات التركية باعتقال شيخ بارزان وايداعه السجن. كان جزء لا يتجزأ من سياسة دأبت على اتباعها في مختلف ارجاء امبرطوريته، تلك الامبراطورية المتداعية التي عجزت إدارتها وجهازها القضائي عن ضبطها. تقضي هذه السياسة بتحاشي تقوية اي زعيم محلي على حساب جيرانه والمحافظة على الموازنة بين الزعماء المتجاورين وعدم تشجيع أحد منهم الى الحد الذي يمكنه من السيطرة عليهم ليصبح خطراً على نفوذها هي في المنطقة. ولهذا فمع الفوضى والتسيب اللذين يحكمان تصرفاتها الادارية، كانت تدرك اهمية الموازنة وأثرها في المحافظة على هبة موظفيها ومن ثم هيبتها. لذلك كان لا بد من ان تعتمد الى ايقاف سلطان (نهرى)، إذ مازالت ذكرى ثورة (بدر خان بك البوتانى) في اربعينيات القرن التاسع عشر بقصد الانسلاخ وتكوين كيان كردي لانها القت الحبل على الغارب له ولم تعتمد من البداية الى الحد من نفوذه - مازالت هذه الذكرى ماثلة لها. كما وأنها مازالت تشعر بمرارة ثورة الشيخ عبيد الله النهري في 1880 لانها لم تكن يقظة بما فيه الكفاية لتقليم اظافر الثائر قبل فوات الاوان. فلم تشعر إلا وقد خرج عليها بجيش كامل العدة واستولى على مساحات مترامية من كردستان مخططا للاستقلال. لقد كانت سياسة التوازن بين نفوذ الشيوخ المحليين هي التي أطلقت سراح شيخ بارزان. ولم يكن الاعتذار منه وعرض المال عليه إلا إشارة غير مباشرة لشيخ نهرى، الهدف منها إفهامه بأن لنفوذه حدودا يقف عندها ولا يتعداها. هذا فضلاً عن تلقين الجميع درساً في ان الحكومة العثمانية ليست بالغافلة عما يحصل هناك. وبمختصر القول، انها لم تسجن الشيخ لذنوب الصقته به كما لم تحترم ارادة شيخ

نهرى لأنها تكن الودّ له أو ثقة منها بولائه لها، بل فعلت كل ذلك تمشياً مع سياستها وحرصاً على مصالحها الخاصة.

بقي الشيخ سجيناً في ولاية بدليس حتى نهاية الربيع لعام 1894. وبعد أن أُتيح له أن يفهم المسؤولين الترك الأسباب التي كمنت وراء اعتقاله تم إطلاق سراحه. ولم يكذباً عودته يصل الزيار، حتى عمت الفرحة الاتباع وقد علموا أنه مر ببادينان بحماية قوة من الجندرية وأنه رفض منحة مالية عرضتها عليه الدولة وكان هذا لهم دليل على عودة مشرفة مقرونه برضا الدولة وإعادة الاعتبار له.

أرسل الشيخ محمد كلا من (ملا سماعيل) و (رسول ساكى) و (ملا صالح بى) الى منطقة بارزان لأعلان خبر قدومه، وكان (خالد خمو) مع جماعة من الرجال قد سبقوا اليه. وبلغ الرسل الثلاثة بارزان فخرج الشيروانيون كلهم للقائه، حتى ان بعض القرى واجهت ازمة قوت لكثرة المستقبلين. وفي العمادية التقى بطلانهم، وتوقف في بادينان وزار شيوخها شارحاً لهم ظروف اعتقاله. وفي قرية بارزان احتشدت جموع القرويين في الساحة الكبيرة المعروفة به (ميدان) ورفع المسلحون بنادقهم وأطلقوا النار في الهواء تعبيراً عن فرحة اللقاء.

تبلور الصراع:

انتشرت الاشاعات في الفترة التي تلت عودة شيخ بارزان عن تحالف (نهرى- بجيل). وقيل ان شيخ بجيل وعد (محمد صديق) بقطيع من الغنم مقابل القضاء على شيخ بارزان. ثم تلقى شيخ بارزان دعوة اخرى من (شيخ نهرى) للحضور ومواجهته في (هورى) وجاء في رسالته انه سيكون بانتظاره هناك للمداولة الرامية الى تصفية المشاكل الراهنة والحيلولة دون تدهور الوضع. ولم يتردد الشيخ البارزانى من تلبية الدعوة رغم شكوكه. فغادر بارزان بحماية قوة كبيرة. الا انه لم يجد الشيخ النهرى في المكان المعين بل كان ثمة ممثلون عنه تساندتهم قوة مسلحة، إلا أن المسلحين البارزانين أحبطوا

الفصل السادس عشر: بعد السجن

المحاولة (ان وجدت) بتطويقهم المحل، فاضطر هؤلاء الى المسيرة والملاينة وقالوا انهم تقدموا شيخهم لأجل استقباله وان (محمد صديق) هو الآن في قرية (پيندرؤ) المزورية وهم بانتظار وصوله.

بهذه اتسع الشق بين (بارزان) و (نهرى) وسرت عدوى خصومة بارزان لتشمل في ذات الوقت (شيخ وقبائل) من (ههرنى وبيراكهپرا وبيجيل ونههرى) وأضيف الى الحلف قبائل بعيدة لاعلاقة لها بالأزمة الجارية لتؤلف أكبر حلف قبلي موجه ضد بارزان.

الفصل السابع عشر

قوات الحلف تغزو بارزان

في صيف 1895 عقد أوسع حلف قبلي ضد المشيخة البارزانية. وعمد الاغوات بزعامة شيخ نهري وبجيل الى ضم قبائل أخرى وجرها الى الحلبة. وهي قبائل لم يسبق لها علاقة مباشرة بالنزاع مثل قبيلة (الهورماريين) بزعامة (سيتو) و (الريكانيين) بزعامة (تتو) و (البرادوستيين) بقيادة (محمد شريف) فضلا عن رؤوساء الزيبار والشيروان والمزوري الذين انقض عنهم معظم اتباعهم وبالتالي فقدوا نفوذهم بسبب انتشار الطريقة النقشبندية بين رعاياها. وتزعم الحلف (محمد صديق) الذي تدين له قبائل شمدينان كلها بالطاعة. كان الهدف القضاء النهائي على مشيخة بارزان بهجوم عام هدفه احتلال منطقة بارزان كلها. فتزحف قبائل شمدينان من الشمال الشرقي بينما تنطلق العشائر الاخرى بحكم الموقع الجغرافي لتطويق المنطقة من الجهات الاخرى وتضيق حلقة التطويق تدريجيا باحتلال القرى التي تقف فاصلا بينها وبين قوات شمدينان. لقد وصلت انباء الاستعدادات الحربية الى شيخ بارزان، فلم يحرك ساكنا ولم يأمر بتدابير مضادة، بل كان بعد يأمل في تفاهم يعقبه سلام دائم، وصرح بأنه لا ينوي المقاومة. لكن الحلف كان قد قرر البدء بالهجوم في شهر رمضان وتطايرت الاشاعات عن مدى الاستعدادات وحجم القوات التي ستشارك، وأنتاب الذعر تلك القرى التي كانت قد تنكرت لرؤسائها واغواتها او طردتهم، ومنها قرية (بيدارون) التي تعرضت أكثر من مرة لنقمة اغوات الشيروان وراح ضحيتها أنفس كثيرة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ في عام 1887 كانت هذه القرية موالية للشيخ، تعيش في سلام ودعة فأذا بها ذات يوم تستيقظ على ازيز الطلقات النارية تنهال عليها من كل جهة بهجوم كان يقوده (مير ملا) كان قد طوقها ثم اقتحمها واحرق منازلها واستاق مواشيها وقتل ثلاثة من رجالها وجرح امرأة بعد ان هرب سكانها الى الجبال. ولم يتركها (مير ملا) الا خرابا ورمادا.

أسقط في يد الشيخ وأدرك ان المقاومة لا تجدي والمعرفة غير متكافئة ومعروفة النتيجة، فأثر مغادرة القرية كيلا يزيد وجوده الامور تعقيدا. ترك (بارزان) مشيعا بالبكاء ووصل (گركي جهوي) فلقية رعاة في (ساليكا) وعرضوا عليه ان يرافقه ويتركوا قطعانهم، فأبى وعبر النهر باتجاه (سهرى) مهزنا) ومعه عدد من الاعوان الذين التحقوا به خوفا من ان يتعرضوا الى انتقام شخصي. وبادر أهالي القرى يعرضون الدخالة على القبائل الزاحفة حقنا لدمائهم وصونا لممتلكاتهم. اعترض (احمد آغا بيړسياقي) سبيل شيخه اثناء مروره بقرى الشيروانيين والّح بأن يقبله رفيق منفي، فأبى وامره بالبقاء والعمل على الاتصال بشيخ نهري والتفاهم معه، فعاد احمد آغا ادراجه مستاءً ومتردداً من مواجهة شيخ نهري، لا سيما وانه كان قد علم بسعي بعض رؤوساء الشيروانيين ضده⁽¹⁾.

ترك الشيخ محمد منطقة الشيروانيين ومر بـ(بالهكيان) حتى بلغ (رواندوز) التي كانت مركز ناحية وفيها موظفون اترك وحامية، فحل ضيفا على علماء دينها.

اكتسحت القبائل المتحالفة منطقة الشيخ طويلاً وعرضاً، ووقع بعض الذين كانوا قد هموا بمرافقة الشيخ في يد القوات الزاحفة المتحالفة فسلبتهم قطعانهم ومواشيهم. وفي (رهژوكهرا) تصدى (اوديش السيلكي) للقوات

1) غادر احمد بيړسياقي قريته متوجها الى شيخ نهري وفي طريقه اليه اشار عليه (ملا ابراهيم بيسكي) و (بدر خان بنافوكي) ان يعود ادراجه والا فهو مقتول لا محالة. فلم يصغ اليهما ومضى لطيفته فبلغ (نهري) فأمر الشيخ بحبسه في اسطبل حيواناته تحقيرا له، وبعد ثلاثة ايام استدعاه وطلب منه ان يقسم يمين الولاء كما فعل غيره من الوجهاء ومقدمي القرى، فأبى ذلك وصرح بشجاعة انه موال للشيخ محمد وانه لا يرد ان يمس القرآن كذبا. فوقف شيخ نهري حائر امام شجاعته واخلاصه ولم يسعه الا ان يعيده الى قريته دون ان يمسه بسوء.

المتوجهة نحو قبيلة مزوري لاحتلالها فحصلت مناوشة قتل فيها اثنان من شمدينان ولقي (اوديش) مصرعه كما قتلت امرأة.

عادت القرى ترزح تحت نيران القوات المتحالفة وعاد الاستغلال والظلم وفرضت السخرة مجدداً، وقام المحتلون بنصب اداراتهم فأخذ (قاسم آغا) رئيس أحد فصائل شمدينان من قرية (باز) مقراً له واوكلت ادارة مناطق اخرى الى الاغوات بأشراف ممثلي (شيخ نهري) واستدعى جميع مختاري القرى ومقدميها ووجهائها تباعاً ليقسموا يمين الولاء لشيخ نهري، واحضر بعض الناس وطلب منهم الادلاء بمعلوماتهم عن ممتلكات الشيخ فلم يعثروا بعد تحقيق وتحري طويلين الا على بغل واحد، فصادروه.

اثقلت القبائل المحتلة كاهل القرويين، اذ فرضت عليهم اعاشة وتموين المحتلين وسخروهم في مختلف الاعمال، فزادت كراهيتهم واشتد مقتهم.

باحتيال شيخ نهري بارزان ومناطق حليفاتها وتروؤسه الحلف، اتسعت دائرة نفوذه في نهاية العقد الاخير من القرن التاسع عشر لتشمل كل منطقة الزيار التي كانت في العقود الأخيرة جزء من امارة راوندوز. واثبت وكلاؤه في الكثير من القرى بأنهم لا يمثلون مشيخة دينية، بل هم مجرد وكلاء جباية وادارة وفرض اتاوة. وقسمت مناطق النفوذ بين الاغوات الصغار، فكان لاغوات المزوري والشيروان والزيار حصّة الاسد. في تلك الاثناء كان شيخ بارزان وهو في منفاه الاختياري (راوندوز) يتابع ما يجري في بلاده بقلب كسير يديم زياراته واتصالاته ببعض شيوخ المنطقة الدينيين وزعمائها شارحاً لهم الحالة الراهنة. وقد لا نكون مخطئين ان قلنا أن شيخ بارزان بحكم تجربته الطويلة كان مدركاً أن هذا التحالف الكبير ضده لن يدوم طويلاً بسبب تركيبته وأهدافه ونوايا أعضائه الرئيسيين، فالكراهية وحدها ليست كافية لبقاء الحلف موحداً، انما تناقض مصالحهم وجشعهم كفيل بتمزيق وحدتهم، وفعلاً بدأت آثار التصدع تظهر على التحالف وأخبره تصل شيخ بارزان في راوندوز.

الفصل الثامن عشر

الخلاف بين أطراف الحلف الشمديناني وانتفاضة العام 1895

مضى الصيف واقبل الخريف والقوات المحتلة ماتزال متخندقة في المنطقة. إلا أن الخلاف سرعان ما دب بين الاقطاعيين رؤساء عشائر الزيبار (فتاح آغا هرني) و (آل مصطفى آغا) واغوات شيروان ومزوري من جهة وبين وكلاء شيخ نهري من جهة أخرى، فهؤلاء الاخرون وبتوصية من شيخ نهري نفسه عمدوا الى الاستئثار بخيرات المنطقة واستنزاف مواردها دون ان يتيحوا المجال للاولين او يتركوا لهم سهما واخذ التضامن يفقد قوته تدريجياً، ثم ان شيخ نهري خص فتاح آغا هرني ببعض الامتيازات فنقم عليه آل مصطفى آغا وخصموا قريبتهم فتاح آغا. وبرز من آل مصطفى حسن آغا ومحمد آغا يناصبانه العدا، وفي شيروان حاول شيخ نهري ان يمتلك لنفسه جزء من سهول (گرکه بهن) الخصب، فاثار حفيظة اغواتها. وامتدت يد شيخ نهري بعد بارزان الى تخوم (بجيل) فثارت الشكوك في نيات الشيخ النهري الحقيقية لدى شيوخ المنطقة وكرهوا تواجد القوات النهرية على حدودهم. وشعر الاغوات ان شيخ نهري ينوى البقاء الى ما شاء الله عندما أرسل قطعانا كبيرة من غنمه الى المشاتي الممتازة في (بهروژ) للمرعى. فزاد ذلك من قلقهم. لقد أمضت (قوات شيخ نهري) في تلك الربوع سبعة أشهر تزايد خلالها الشعور بالاختناق الاقتصادي وارتفع الاستياء والتذمر وبرم الجميع بالحالة رعية واغوات واخذوا يتمنون انسحاب هذا الجيش بأسرع وقت.

انتفاضة 1895

لم تكن الدولة العثمانية مستعدة باية حال لتجريد حملة في سبيل الدفاع عن حقوق أهالي بضع وعشرين قرية معزولة. ولم تكن وضعها يحملها على التدخل في نزاعات محلية وهي غارقة حتى ذقنها في حروب استقلال بلاد البلقان. فضلاً عن أنه لاخطر من هذه الاحداث على هيبتها او كيانها. ولا شك ان شيخ بارزان وهو في منفاه كان يدرك ذلك تماماً. وانه توصل الى ان لاسبيل لإزاحة الكابوس الجاثم على المنطقة إلا باستخدام القوة. وان لا أحد غيره يستطيع تعبئة مثل هذه القوة. فشرع يتصل سراً بانصاره واصدقائه ومريديه وما عتمت ان تبلورت نواة لقوات التحرير من الانصار والتلاميذ والملتحقين الهاربين من ظلم الاغوات. وبدء التعرض المسلح لهذه القوات بان تسللت وحدة الى قلب بارزان دون ان يشعر بهذا المحتلون بوصفها الهدف الاول الى جانب قرية (بالندا)، الا ان يقظة قوات نهري وتفوقه العددي حال دون نجاح الهجوم واضطرت القوة الى الانسحاب. لقد حقق هذا الهجوم رغم فشله نصراً معنوياً بما أحياه من امل في القلوب اليائسة وما اشاعه من خوف في نفوس الاغوات، فبادروا الى اتخاذ احتياطات الدفاع وارسال الكشافة لرصد تحركات القوات البارزانية وتعقبها وتضييق الحصار عليها. حتى انها اضطرت الى الانسحاب باتجاه (بله ژيرى) حيث كان من الطبيعي ان يعلم الاخوان حسن آغا ومحمد آغا بوجودها وكلاهما كان من فريق المتذمرين الحاقدين على (فتاح آغا) لاستثاره بالخطوة عند (الشيخ محمد صديق) وبالامتيازات دونها، فقرر ان ينحازا الى الجانب الاخر وبعثا برسول موثوق هو أحد اتباع الشيخ البارزاني المقرين يعرضان موالاتهما. وكدليل على الرغبة وحسن النية عرض حسن آغا على القوة اتخاذ قريته (بيره كه پره) وهي من أفضل المواقع الاستراتيجية مقراً علنياً لقوات بارزان.

تقع (بيره كه پره) في أسفل سفح جبل (بيرس) الشرقي وتبعد عن الزاب مسافة ستة كيلو مترات تقريباً وفيها قصر الاغا وقلعته الحجرية المنيعة. وعندما تم الاتفاق عبرت قوة الشيخ نهر الزاب، دخلت القرية وتحصنت

فيها مخزنة كميات كبيرة من البارود ومؤونة كافية استعدادا لحصار محتمل طويل الامد. وقد صدق حدسها، اذ سرعان ما وجدت نفسها داخل طوق من القوات الشمدينية وأنصار فتاح آغا المحليين. وكان على رأس القوة البارزانية رجال مشهود لهم بالكفاءة والشجاعة منهم (فقي عبد الرحمن) و (حاجكي جه مي) و (سليمان وسمان آغا) والاخير ينتمي الى طبقة الاغوات، انسلك عن جلده الطبقي واقتبل الطريقة من بارزان وأخلص للشيخ.

بدء الاشتباك في شهر ايار 1896 بهجمة قوات الحلف على مواقع المدافعين باعداد كبيرة فصدت. وبعد ثلاثة ايام تجدد الهجوم واستمر القتال يوما كاملا دون نتيجة. واحبطت عدة محاولات لاقتحام القرية، فلم يجد المهاجمون بداً امام الخسائر التي تكبدوها الا ان يحكموا الحصار حول القرية بانتظار نفاذ المؤونة والعتاد. امتد الحصار بهم أكثر من اسبوعين، وفعلا كاد عتاد المدافعين ينفد واضطروا الى ذبح المواشي بعد نفاد المؤونة ونجح ثلاثة منهم في خرق الحصار ليلا، فوصلوا عقرة وابتاعوا منها ما يحتاجونه من عتاد (رصاص) وعادوا، وحالفهم النجاح في التسلل الى اخوانهم دون ان تشعر بهم قوات العدو. واستمرت المقاومة وكأن شيئا لم يحدث. وظلوا يصدون الهجمات ثم يباغتون الاعداء بهجوم مقابل. ثم ينسحبون الى مواقعهم كراً و فرأ.

في تلك الاثناء دأب شيخ بارزان على رفع الظلامه تلو الظلامه الى (والي الموصل) طالباً التدخل وإيقاف القتال. وقد أدى استمرار المعارك وعدم ظهور ما يشير الى نهاية لها الى ان تتحرك الحكومة التركية وتخرج من دائرة صمتها المطبق. فأرسلت إنذاراً الى شيخ نهري تنهاه فيه عن مواصلة القتال وتنبهه بصراحة الى انها سوف تتدخل عسكرياً ما لم يرفع يده عن المنطقة وينسحب بقوته من الزيار.

دخل القتال في (بيرهكه پره) اسبوعه الرابع من دون ان يحقق الحلف الشمديني غرضه في احتلال القرية، في حين كانت الضحايا بين صفوفه تزداد. وفي صبيحة يوم من ايام حزيران شاهد المحصورون في القرية واهاليها وهم لا يصدقون اعينهم، قوات نهري ترفع الحصار وتبتعد عن

القرية على شكل زمر وجماعات تسير في اتجاهات متفرقة. وفي نشوة الشعور بالانفراج هم بعض المدافعين من ذوي الرؤوس الحارة بتعقيب القوات المنسحبة وحاول (حاجكي جهمي) اقناع هؤلاء المتهورين بالبقاء حيث هم فلم يجد نصحه ولا رجاؤه. واندفع (فقي عبد الرحمن) و (سليمان وسمان آغا) برجالهما حتى بلغا (الزاب) يراقبان على الضفة قوات نهري وهي تنهياً للعبور شرقاً ولم يتمالكا اعصابهما وفتحا النار عليها ودامت المناوشات فترة كافية لوصول الانباء الى (ههرني) حيث كانت قوات فتاح آغا المنسحبة من (بيرهكهپره) قد وصلت لتوها ولم تتفرق بعد. فقفلت مسرعة الى ميدان الاشتباكات وهاجمت القوات البارزانية من الخلف ف وقعت في فخ غير متوقع وانها على رجالها الرصاص من كل جهة وسقط قتلى كثيرون علمنا منهم (فهزي جيج بيداروني) و (ملا باس زيوهي) وكان من بين الجرحى (على فقي عبد الرحمن) وسادت الفوضى صفوفهم وراح كل منهم يفكر في النجاة بجلده فتفرقوا افراداً وازواجاً. ولم ينقذهم الا حلول الظلام، إذ أخذوا يتسللون تحت جناح الليل من دون ان يعلم أحدهم ماذا حل برفيقه. ومضت ثلاثة ايام كوامل قبل ان تجتمع فلول القوة المبعثرة في (بيرهكهپره).

عرفت هذه المعركة بموقعة (دلان) نسبة الى القرية التي وقع الاشتباك بالقرب منها. اما في (بيرهكهپره) فلوجود (حاجكي جهمي) وملازمته موقعه، أمكن رد هجمات القوات المعادية وايواء القوات البارزانية العائدة بعد الهزيمة في (دلان). كان من نتيجة هذا التحرش ان ضرب الحصار مجدداً على (بيرهكهپره) واستؤنفت المناوشات الا ان ذلك لم يدم طويلاً. اذ مالبت قوات نهري ان تفرقت ثانية.

بعد ان خلت المنطقة من قوات نهري، اخذ أنصار بازران يفكرون في مناجزة اغوات الزيبار وتصفية الحساب معهم، اولئك الذين أفسدوا عليهم عملية تعقيب القوة النهرية وشجعهم على ذلك حسن آغا الزيباري فباغتوا (ههرني) بالهجوم واستظهروا على الاغوات، ففر هؤلاء الى المرتفعات ماوراء جيل (بيرس) الا ان قوات الشيخ واصلت تعقيبهم حتى لحقت بهم

وظفرت بـ (حاجى آغا) الذي قتل اثناء الاصطدام واصيب شقيقه بجرح مميت لم يمهل طويلا. وتوغلت القوة البارزانية في قرى الزيبار الغربية حتى بلغت مشارف (هزارجوت) وسقطت قلاع الاغوات في ايديهم واحدة تلو الاخرى فدكوها وساووها بالارض، نذكر منها قلعتى (ههرنى، نهپاخى) بصورة خاصة. لقد منى الاغوات بشر هزيمة عرفوها، وبادر البارزانيون بدورهم فعينوا وكلاء لهم في سائر الزيبار الغربية بعد تطهيرها، حيث سلمت الادارة بيدهم. وعلى إثر هذا النصر الكبير عاد شيخ بارزان الى زاويته وسط ترحيب شعبي ضخم.

الفصل التاسع عشر

تجدد القتال

مناوشات (مهنكوره)

انسحبت قوات شمدينان من الزيبار نحو النهاية الشمالية الشرقية لمنطقة بارزان وتمركزت في جبل (مهنكوره) واتخذت قرية (نهاقا) مقراً. كان بإمكان هذه القوات ان تغير على قرى الزيبار والشيروان متى شاءت وهذا ما حصل فعلاً. فقد تلقى (احمد آغا بيړسياقى) نبأ من قريبه (محمد شريف لولانى) يفيد بان قوات شمدينان تستعد للاغارة على قريته فاحتاط (بيړسياقى) لنفسه باقامة الربايا في ضواحي القرية وحصن المواقع المحاذية للمقبرة في (بيړسياق) بصورة خاصة.

استهدف الهجوم قريتي (بيړسياق) و (كانيا لنجا) واطهر اهل القرية الاولى ضروريا من البسالة في الدفاع امام قوات متفوقة، ولما اضطر بعضهم الى ترك المواقع الامامية والتوجه الى القصر للاحتباء به انتهرهم (احمد آغا) وعابهم ولم يسمح لهم بالدخول فعادوا وواصلوا القتال. واصيب (قهتران) وهو من أشجع المحاربين الشمدينانيين، فتخاذل الهجوم على القصر وفشلت القوات النهرية في الاستيلاء على القرية، فانسحبت. كما منيت بالفشل ايضا تلك القوات التى جردت على قرية (كانيا لنجا). اذ صدهم (حاجكى جهمى) وتمكن من دحرهم.

لما بلغ الشيخ (محمد صديق) نبأ فشل قواته راودته الشكوك في اخلاص قادته، فصب جام غضبه على بعضهم وعزل آخرين. مع ذلك بقي الخوف يساور النفوس من احتمال اعادة الشمدينانيين الكرّة والقيام بهجوم من

داخل حدود منطقة قبيلة (كهردى) التى تقع شمال منطقة عشيرة (شيروانى) وتتأخم حدود القبيلتين⁽¹⁾.

انقسام فى الكهرديين

فى زمن الشيخين (السيد طه نهري) وابنه (عبيد الله) انتشرت الطريقة النقشبندية فى أوساط قبيلة (كهردى) بتأثير مزدوج من مشيختى (نهري وبارزان). ولم يكن ثم خلاف فى حينه بين المشيختين. لكن بعد ان تسلم (محمد صديق) رئاسة المشيخة النهريه تدهورت العلاقات مع بارزان وبسبب تصرفات (محمد صديق) الشخصية البعيدة عن آداب الطريقة اخذ نفوذ (نهري) يتقلص فى قبيلة (كهردى) وتحولت الانظار نحو بارزان واعتبر بعضهم شيخها مرشدهم الروحى.

ولما شعر (محمد صديق) ان نفوذه فى انكماش حاول تدارك الامر. لكنه لجأ الى أساليب العنف والاكراه، أدى الى نتيجة معكوسة وزاد ابتعاد فريق من الكهرديين عنه واقترابهم من مشيخة بارزان. ثم جاءت الاصطدامات المسلحة لتؤدي الى انقسام الكهرديين على أنفسهم كل فريق يوالى طرفاً من الطرفين المتنازعين. وقام بعض الموالين لشيخ نهري منهم بالوشاية على الآخرين وعلى أثر ذلك أرسل شيخ نهري نفرأ من مسلحية لجلب اثنين من زعماء الكهردى الأقوياء وهما (ميرشكر) و (ملا محمود بيسكى) المعروفين بموالاتهم لشيخ بارزان، فاقتيدا اليه مخفورين، إلا أن (ملا محمود بيسكى) وفق الى الافلات من ايدي الحرس وتوارى، ثم اتجه الى بارزان فى حين جىء بـ (ميرشكر) الى نهري مخفوراً.

طلب ملا محمود بيسكى من شيخ بارزان ان يأذن له بنقل اسرته الى قرية بارزان خوفا من انتقام شيخ نهري، فأرسل الشيخ معه (فقى عبد الرحمن)

⁽¹⁾ هذه القبيلة تسكن حالياً فى كردستان الشمال (تركيا).

لجلبها وعندما بلغا (بيسكان) وعلم الكهرديون الموالبون بالحكاية توافد عدد كبير من سكنة القرى الاخرى (كرانه وزيت وشهروژنا وبيگور) وغيرها، وحاولوا ان يردوا القادمين عما اعتزماه قائلين انهم قادرون على حماية رئيسهم. وهكذا بقي فقى عبد الرحمن ينتظر قرار الشيخ النهائى.

ثارت ثائرة شيخ نهري لما بلغه من موقف الـ(كهرديين) وجهاز حملة ضدهم بقيادة (عبدالله رزهى) فتقدمت حتى بلغت قمة جبل (سهري سلو) واتخذت مواضعها فيه. ولما بلغ ذلك بارزان تحرك قطاع (قول) سليم آغا شيقى وخوشهقى سيلكى فوصلا (زيت). وكان في هذه القرية (ملا حسن بابزدين) فانضم اليهما برجاله. أما (فقى عبد الرحمن) فقد ألف مع (ملا محمود) قاطعا ثانياً. وألف (عبد الله حسكو) القاطع الثالث. وتمركز (احمد آغا) شقيق (مير شكر البيروخى) في (سهروكانى) وكان (محمد سليم زيارى) يقود ستين مسلحا وتقرر ان يتوزع الكهرديون الموالبون في تلك الجهات لكونهم اعلم بطبيعة المنطقة. ومن جهة ثانية تمركز (سعيد ولى بك) و (حاجك جهمى) في سفوح جبل (منكورة) خارج قرية بيسكا. وتمركز (مام آغا) القائد النهري المشهور آنذاك في قصر (نهاقا).

شنت قوات نهري هجومها في صباح مبكر على جبهة واسعة تشمل مواقع (زيت- بيروخ- بيجنى- موهكا- سهروكانى) وحى وطيس القتال واستمات المدافعون ففشل الهجوم رغم شدته وانسحبت القوات المهاجمة فلاحق بهم البارزانيون والـ(كهرديون) وشنوا عليهم هجوما مضادا وراحوا يطاردون المنسحبين، فانقلب الانسحاب الى هزيمة ولحقت الهزيمة ايضا بالعدو في (سهروكانى) فانسحب لينضم الى القوة المنهزمة الاولى في اتجاه بيروخ. وهناك اعادت تنظيمها واتخذت مواقع محكمة بحيث اخذت تهدد القوات البارزانية في (بيروخ) ولكن البارزانيين لم يدعوا لهم مجالا وهاجمهم، فجرت معارك عنيفة اندحرت على أثرها قوات شمدينان فتقهقر بعضها الى جبال منكوره ذي الجرف الشديد الانحدار، واستلم نفر من القوة النهريّة من أبرزهم نذكر (قورتاس ويونس باوى شمدينانى وعلى نافشارى وزينوك

هركى وشيخ رشيد لولانى) الذي تزعم فيها بعد مشيخة عرفت بـ (مشيخة لولان البرادوستى) وقد أطلق سراحه بفضل توسط قام به اقرباؤه الشيروانيون⁽¹⁾.

لم يعد للقوات النهرية بعد هذه المعركة معنويات تذكر باستثناء قوة (مام آغا) المتحصنة في قصر (نهاقا). لقد ضيقت عليه قوة بارزانية الخناق وحاصرته عدة ايام ووقعت اشتباكات اصيب (عبد الله حسكو البارزاني) في احداها اصابة مميتة، الا ان نبأ وفاة هذا القائد لم يعلن لكيلا يشجع ذلك (مام آغا) على الصمود والاستماتة، وانتهى الحصار بعد ان أردى (مام آغا) برصاصة. فطلبت بقية القوة الدخالة واستسلمت واخذ المستسلمون يخرجون من باب القلعة واحدا إثر الآخر ويسلمون اسلحتهم للبارزانيين عند باب القلعة.

⁽¹⁾ كان للشيخ رشيد لولان ادوار في العهود السياسية الاربعة التى توالى على العراق - العهد العثماني - عهد الاحتلال البريطاني - الحكم الملكي العراقي - الحكم الجمهوري العراقي وتوفى في 1967 وقد اناف على التسعين.

الفصل العشرون

مرحلة الاستقرار أيام الشيخ محمد الأخيرة

بعد العام 1896 وبنتيجة الانتصارات المتوالية التي حققها البارزانيون في الزبيار هدأت الأوضاع وانصرف الشيخ محمد إلى نشاطه الروحي. وتحقق الانقلاب الشامل في مفاهيم المجتمع القبلي الزبياري وتقاليده. كانت ثورة اجتماعية أصيلة أزيل بها معظم آثار حكم الاغوات الطويل وما طبع عليه من اعراف وعادات استرقاقية مقيتة. لقد انطفأت نار الثارات القبلية. وحل محلها الصفح ونسيان الاحقاد، وهذا ما مهد للاتحاد والتعاقد وأستتب الامن والاستقرار في المنطقة.

علم الشيخ اتباعه فضيلة احترام شعائر المسيحيين واليهود الذين كانوا يعيشون في المنطقة وفي قرية بالذات، واحاطهم بالرعاية. فكان يعاقب بصرامة غير اعتيادية من تسول له نفسه الاعتداء عليهم أو إلحاق الأذى بهم، مما أشعرهم بأنهم مواطنون حقيقيون، لا يمتاز عليهم الغير بسبب الدين والعقيدة بعكس المفاهيم التي غرسها الحكم العثماني في نفوس رعاياه المسلمين بخصوص الاقليات الدينية ضمن الامبراطورية. إذ كان الولاة ورجال الادارة الاتراك يشجعون ذلك لخلق الحجب وتبرير التدخل حيثما دعت الحاجة الى تأمين السيطرة وفرض الاحكام. لذا كان الشيخ البارزاني يكرم المسنين من اتباع الديانتين الاخرين إكراماً خاصاً، حتى أثر عن اليهود وصفهم للشيخ انه (بمنزلة أحد كبار احبارنا) وقال المسيحيون عنه "انه لا

يختلف عن واحد من روحانييننا نرجع اليه في امورنا الخاصة كما نرجع اليهم"⁽¹⁾.

خلال هذه الفترة ايضا امتدت رابطة الاخوة بين مريدى الطريقة تلاهما وارتفع بهم تعاطفهم الروحي وتأخيهم الى مرحلة الفداء والايثار المطلق، حتى بلغ الامر بجماعة قرية (دورى) ان أعلنوا الغاء الملكية الخاصة ووضع الاموال والمقتنى في حالة الشيع، لكن الشيخ نهاهم وحذرهم من ذلك خشية اثاره حفيظة الحاقدين واعطاء حجة للدساسين وللمغرضين لاتهمهم بالزندقة والانحراف، وإذ ذاك لن يكون خصمهم الا الدولة نفسها وليس شيخ نهري او اغوات الزبيار.

لقد توصل المريدون في المشيخة الى طريقتهم في التعاون الاشتراكي مستلهمين من استقامة شيخهم وعدالته وخشونة عيشته وصدق تعاليمه وعدم اهتمامه بالمادة. فعاشوا سعداء في هذه البقعة المنقطعة عن العالم والمنعزلة عن التطور الحضاري في اوروبا آنذاك وفي العالم الجديد. توصلوا الى اشتراكيته الساذجة انطلاقا من واقعهم الخاص وإيمانهم الروحي وحاجة الحياة في منطقتهم الى التكاتف والتآلف والوقوف صفا واحد ضد ظلم الاغوات وقسوة الطبيعة، توصلوا الى ذلك من دون ان يلوموا بشيء عن الافكار والمبادئ الاقتصادية الثورية المنطلقة في العالم.

كانت الفئة المستنيرة من حكام الدولة العثمانية تحاول بشتى الاساليب تحديد السلطة المطلقة للسلطان وخليفة المسلمين بسن دستور ينص على مبادئ العدل والمساواة وحماية الحقوق والحريات الشخصية والعامة من العسف والانتهاك وازالة الفوراق الطبقية الكبيرة والحد من الاستغلال

⁽¹⁾ جاء في كتاب (طريق في كردستان) للسيد (هاملتون)، (ت. جرجيس فتح الله، ط بغداد 1971 ص 2-17) ان الشيخ رشيد لولان هاجم الشيخ احمد البارزاني (ابن الشيخ محمد وخليفته) لأنه كما يزعم يميل الى النصرانية والواقع ان كلا الشيخين متعصب لدينه الاسلامي، إلا ان آرائهما مختلفة جداً وكذلك أخلاقهما، فالشيخ رشيد لا يؤمن له جانب وليس اهل للثقة مطلقا....

الطبقي. فدفع (مدحت باشا) أبو الدستور وكثير من رفاقة الأحرار حياتهم ثمناً لتلك المحاولة.

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى، يمكننا أن نستنتج بأن شيخ بارزان كان ينظر إلى المستقبل البعيد، فيسبق تفكيره أهل زمانه المجاهدين لاجل الحرية والعدالة حين يوقف عملية شيوع الملكية التي هم بها مريدوه في قرية (دوري) ويحذرهم من مغبة مواصلتها. مع أنه نفسه كان ضد فكرة التملك وحياسة العقارات. ويكره كل مظاهر الترف. والرواة يتناقلون حكايات كثيرة عن زهده بمتاع الدنيا وتقشفه. من ذلك، أنه خرج يوماً لزيارة قرية من قرى الاغوات، وبعد أن قطع مسافة طويلة، توقف برهة لينال قسطاً من الراحة، فلمح كلباً يتبعهم، فاستفسر من مرافقيه عنه. فقالوا أنه كلبه. فطلب الشيخ أن يمنعه من اللحاق به معللاً الأمر بأنه لا يريد أن يعتاد كلبه طعام الاغوات، إذ ستلزمه العادة فيعاف العيش عنده.

لا يمكن التأكد من عام وفاة الشيخ محمد، فأكثرية المسنين كانوا يميلون إلى أن فترة تولى (عبد السلام الثاني) استغرقت 14 عاماً، وأن صح هذا فيعني أن شيخ بارزان الثالث توفي عام 1900، وقد تم التلاعب بالتواريخ لأسباب سياسية حسب رغبة ملا مصطفى والمحيطين به، وهناك من يرجح عام وفاته في 1902، لكن بعد التقصي ومراجعة الأوراق القديمة، أرجح أن وفاة شيخ بارزان الثالث كان عام 1900، وكان قد تجاوز الخامسة والستين من العمر. موصياً بخلافته لابنه (عبد السلام)، وقد خلف مجتمعاً متجانساً إلى أبعد حد وكان من أقرب المساعدين له هو ملاي ملاي (ملا عبد الرحمن).

الفصل الحادي والعشرون

عصر الشيخ عبد السلام الثاني - اليقظة الوطنية الكردية -

أحوال الدولة العثمانية

راح المواطن التركي يتابع شعباً بعد شعب يفلت من قبضته وجزء بعد جزء يقتطع من امبراطوريته: الصرب في 1828 ثم اليونان في 1829 ثم رومانيا وبلغاريا والبوسنة والهرسك في 1878 ثم البانيا في 1908، فيتعاظم شكه وتوجسه في نيات الشعوب الاخرى الباقية تحت حكمه (العرب، الكرد، الارمن والاثوريين)، إذ بدأت هذه الشعوب الخاضعة تتململ وتزداد ادراكاً وسخطاً لما تعانيه من استغلال واضطهاد وقمع.

لقد عزت الطبقة التركية الواعية كل المصائب التي حلت بالامبراطورية الى طبيعة الحكم المطلق الذي يمارسه السلطان (خليفة المسلمين). لذلك كانت جهود الجمعيات السرية الوطنية العثمانية ومحاولات الطبقة المتنورة منصبّة - كأول خطوة نحو الاصلاح - على الحد من سلطة هذا السلطان وتقييدها بقيود دستورية. أو بكلمة أخرى سنّ دستور يتماشى مع الروح الديمقراطية التي هبت نسائهما من الغرب مكتسحة عدداً كبيراً من الحكم المستبدين ومفسحة المجال لشعوبها للمشاركة في الحكم. وبعد محاولة (مدحت باشا)⁽¹⁾ زعيم الاحرار العثمانيين التي لم يكتب لها النجاح وقبر دستور. نشطت تلك الجمعيات وبالأخص جمعية (جون ترك - تركيا الفتاة) السرية ولقيت لها انصاراً في اوساط فريق من ضباط الجيش العثماني والاصلاحيين المثقفين المنتمين الى جمعية (الاتحاد والترقي) وهي الذراع

⁽¹⁾ الصدر الاعظم (1822 - 1883) مات مخنوقاً في السجن بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني.

الضارب لحزب تركيا الفتاة، فافلحوا بحركة انقلابية عسكرية في ارغام السلطان عبد الحميد الثاني في تموز 1908 على اعلان تطبيق الدستور. ثم أسقطوا السلطان نفسه في نيسان 1909. الا ان النظام الجديد الذي اقامه هؤلاء الضباط والمدنيون اخذ يعمل دائماً على تركيز السلطة في يده وابتعد عن احكام الدستور ويحاول بتعصب أعمى (عثمنة أو تريك) كل القوميات الاخرى الباقية داخل إطار الامبراطورية العثمانية. الامر الذي الجأه الى الاخذ بأساليب القمع والاضطهاد الوحشي، لأنه قبول بردود فعل عنيفة من سائر القوميات التي كانت تبني آمالاً على الدستور. وقد اصاب الكُرد من عمليات القمع هذه سهم كبير، فأغلقت نواديهم، ولوحق اعضاء تلك النوادي وسدت صحف كردية لم تكذب بعد ترى الضوء. كانت فكرة الاصلاح السياسي الى جانب اليقظة القومية قد شملت معظم الاكراد المثقفين الذين اخذوا ينادون بالحرية سرّاً وجهرّاً احياناً كأكراد يعملون من اجل التحرر، وأحياناً كعثمانيين يضمون نشاطاتهم الى جهود الأتراك لتحقيق الحرية والعدالة والمساواة) وهو الشعار الذي نادى به الاتحاديون في بادئ الامر.

لابد من كلمة حول نشوء الفكر القومي العنصري لدى أعضاء حزب (تركيا الفتاة) حيث دفع الأرمن والكرد والآشوريين أثماناً باهظة من تريك وجرائم الإبادة واغتصاب الأوطان وتدمير التراث الحضاري والثقافي والذاكرة التاريخية للشعوب المذكورة.

فطوال القرن التاسع عشر، وبسبب الضغوطات الخارجية والداخلية، والأزمات المتعددة والحروب على جبهات عديدة، ساهمت في تحديد المسار الذي تسير فيه عملية صياغة الامة التركية. كانت الإمبراطورية تتداعى في هوامشها بسبب تغلغل القوى الإمبريالية وثورات القوميات الانفصالية، دخل المجتمع العثماني خلال فترتين لتصميم هوية والتخلي عن أخرى. العملية الأولى كان تحولاً من (الوطنية العثمانية) إلى (القومية الإسلامية)، وفي

المرحلة الثانية تحول من (القومية الإسلامية) إلى (القومية التركية). معظم الباحثين يؤكدون على أنه تم صياغة الهوية القومية التركية بالإقصاء والعنف. ومن هنا نرى كيف أن بارزان تعرضت بين أعوام 1900-1914 الى حملتين عسكريتين كبيرتين، اشترك فيها الجيش التركي الى جانب المرتزقة الكرد، تم حرق ونهب أراضي بارزان بالكامل، وفي النهاية دفع شيخ بارزان الأكثر كاريزما في تاريخ بارزان حياته على يد القوميين العنصريين الترك.

كل المؤشرات تدل على توسع علاقات بارزان بالمحيط الثقافي والسياسي للجمعيات والنوادي الكردية التي تأسست في مختلف مدن كردستان الشمالية، ففي سبتمبر 1908 سمح النظام الجديد بفتح مؤسسات وجمعيات لشعوب الإمبراطورية ضمنها الجمعيات الكردية في استنبول وفروعها في مدن كردستان. أصبح KTTC Kürt Teavvün ve Terraki Cemiyeti الجمعية الكردية للتعاون والتقدم، وكانت ملتقى المثقفين الأكراد والشخصيات الهامة في استنبول، وهي منوطة بالشيخ عبد القادر حفيد الشيخ طه نهري وابن الشيخ الثائر عبيدالله، وهو مؤسس أول تكية خالدية في كردستان العثمانية. وأشتهر فرع KTTC في مدينة بدليس بـ (نادي بدليس الكردي) ذو النشاط المتميز. عاد الشيخ من المنفى إلى اسطنبول خلال ثورة تركيا الفتاة وأصبح مؤيدا راديكاليا للإصلاح الدستوري. لطالما كانت مسألة الحقوق الكردية مسألة انقسام بين الشيخ وعبد الرزاق بدرخان (الذي عاد أيضاً من المنفى) فكان من أنصار تجاوز الحقوق الثقافية ضمن الإمبراطورية العثمانية، وتبنى موقف أكثر راديكالية يهدف إقامة دولة كردية مستقلة، مُنفصلة عن العثمانيين، وتحت الرعاية الروسية.¹ كان للشيخ بطبيعة الحال جمهور أكبر. ونظم مؤتمرا للجمعية في اسطنبول في نهاية أيلول/سبتمبر. سَلَطَ المؤتمر

¹ 1-ULUGANA SEDAT Vilayet De Bitlis Durant La Période Jeunes Turcs
1908-1914 Thèse Dirigé Par : Hamit Bozarslan Date De Soutenance : Le
16 Décembre 2019. P : 144-145-146

الفصل الحادي والعشرون: عصر الشيخ عبد السلام الثاني - اليقظة الوطنية الكردية-

الضوء، كما أراد الأتراك الشباب، على ضرورة قبول الأكراد للحكومة الدستورية. تركز الجو الحماسي على موضوع "وحدة الوطن العثماني".

في نهاية عام 1908، تم طبع ونشر صحيفة أسبوعية تحمل نفس اسم الجمعية Kürt (Teavvün ve Terraki Gazetesi) ولأول مرة بدأ الأكراد يسمعون عن الجمعية وعن افتتاح فروع لها في كردستان واحدا تلو الآخر. ومع ذلك، لم يتمكن أي من هذه الفروع من أن يكون قويا ومؤثرا مثل فرع Bitlis وبالنظر إلى الديناميات الداخلية للمحافظة، فإن حقيقة أن رئيس الجمعية يأتي من عائلة الخالدي المرموقة كان لها تأثير كبير داخل المدينة وهي بمثابة "كردستان المصغرة". خلال فترة تركيا الفتاة، حل الجيل الثالث من شيوخ الخالدية محل الجيل الثاني.¹

وبفضل شبكة الخالدية الواسعة، أصبحت مدينة Bitlis، مركزاً قيادياً ونقطة ساخنة لبث منشورات KTTC. وذكرت المصادر أن جميع الأعيان والشخصيات الإدارية والعسكرية في المحافظة شاركت في مراسيم افتتاح فرع الجمعية الذي أقيم في بيتليس في 17 ديسمبر 1908 ولكن في 23 يناير 1909، أرسلت وزارة الداخلية برقية إلى الولاية مفادها أن قانون فتح الفروع النقابية لم يكن جاهزاً. ولذلك فإن الاعتراف الرسمي بالجمعية الكردية للتعاون والتقدم، في بيتليس والمحاضر التي أصدرتها السلطات المحلية باطلة.

يقظة الطبقة الكردية المثقفة

في نهاية القرن التاسع عشر بدء ظهور الطبقة الكردية المتنورة. ومعظم أفرادها هم من أصل أرستقراطي، إما اولاد أمراء نفتهم الحكومة التركية الى استنبول او أبناء زعماء قبائل درسوا في مدارس محلية او تخرجوا في

¹ Ibid.

الأكاديميات العسكرية للإمبراطورية وكانت قد فتحت ابوابها للشباب الكرد منذ عام 1870.

وفي استنبول وقف فريق من هؤلاء المثقفين على الافكار البرجوازية الوطنية، وبدأوا يصدرون جرائد وشكلوا جمعيات سرية وعلنية.... وحتى قيام ثورة الجون ترك (تركيا الفتاة) كانت طلائع الحركة الكردية الوطنية مبعثرة في عدة حلقات وتجمعات. وفي نيسان 1898 نشر (مدحت بدرخان بك) اول جريدة كردية باسم (کردستان) كانت ثقافية الاتجاه اصلا، لكنها ايضا مثلت دور الوسيط للحركة الكردية الوطنية وشكلت صفحاتها الأرضية التي التقى عندها الاكراد الوطنيون.

خلف عبد الرحمن بك بدرخان شقيقه (مدحت) في تحرير الجريدة، وعندما تبدلت الظروف السياسية واتسع نشاط محرريها، ارغمت الجريدة على الانتقال الى جنيف في سويسرا ثم الى لندن ثم فولكستون في انكلترا. وبعد انقلاب (الجون ترك) ظهرت الجريدة ثانية في استنبول وكان محررها هذه المرة (ثريا بدرخان بك). لكن هذه الجريدة اختفت اثناء الحرب العالمية الاولى فانتقلت الى القاهرة حيث صارت تصدر مرتين من كل شهر.

ظهر اول تنظيم كردي في الفترة التي قبض فيها (الجون ترك) على زمام الحكم وقد أيدهم الزعماء الكرد على امل الاستمتاع في ظلهم بالحقوق القومية، مغتنيين فرصة وجود مناخ ملائم وجو من الحرية.

وأسس على بدرخان بك والجنرال شريف باشا والشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبيدالله نهري (كان الاخير رئيسا لمجلس الشيوخ العثماني) جمعية عرفت بـ (جمعية تعالي وترقي كردستان) واصدرت جريدة باللغة التركية باسم (كورد تيقون وترقي غازيت) كان (جميل بك) رئيسا لتحريرها. نوقشت على صفحات هذه الجريدة مشاكل الثقافة الكردية واللغة والوحدة الوطنية، فما لبثت ان نالت شعبية طاغية في اوساط جميع المبعدين الكرد الى استنبول.

وفي خريف 1908 تشكلت (الجمعية الكردية لنشر المعارف)، ويظهر أن (جمعية تعالي وترقي كردستان) كانت هي الممول لها. وتم فتح مدرسة كردية في حي (جهرلي) باستنبول، وتوخيا للدقة نقول ان هذه الجمعيات لم تكن منظمات سياسية ذوات برنامج واستراتيجية واضحين. إلا أنها مع هذا تمكنت من تعبئة المثقفين المهاجرين والوطنين الاكراد على اختلاف آرائهم ومشاربهم. وتمكنت ايضاً من خلال نشاطها الاجتماعي والثقافي من تسليط اضواء العلم على العقول المظلمة لعتالي الشوارع الكرد. مؤملة ان يكونوا سنداً جيداً للحركة السياسية الكردية فيما بعد.

وإذا كانت البداية المشجعة والحماسة هما اللتان حققنا هذا النجاح السريع فان النزاع على الزعامة سرعان ما تفجرت براكينه بين قادة الحركة: البدرخانيون من جهة، والشيخ عبد القادر وقبيلته من جهة اخرى، فهبت أعاصير المنافسات القديمة من جديد وتهاجم الزعماء الاقطاعيون متهمين بعضهم بعضاً بالخيانة. فما كان من (الشيخ عبد القادر) الا ان يادر الى اصدار جريدة جديدة باسم (هتاو كورد- شمس الكرد) ان هذا الانقسام أضعف الحركة بشكل ملحوظ.

بينما كانت استنبول تشهد نشاطاً كردياً ذا اهمية كبيرة بدأت كردستان نفسها تستيقظ على الحياة السياسية العصرية، فأقام مناضلون ومثقفون كرد نواذ كردية في المراكز الرئيسة من مدن مثل بدليس وديار بكر وموش وارضروم والموصل، واخذت تقوم بنشاط فعال، على سبيل المثال: أقام (نادى موش) علاقات مع العشائر المهمة في الولاية. وعندما افتتح نادي بدليس في نهاية العام 1908 كان اعضاء النادي لايتجاوزون السبعائة وفي غضون أشهر قليلة وقبل ان تغلقه السلطة قفز عدد المتتمين الى عدة آلاف⁽¹⁾.

¹. Edited by Gerard Chaliand. People without A Country. P34-35

خلافة عبد السلام

بعد أن عَبَرَ الرحالة السير LT. Col. Sir Mark Sykes. في العقد الأول من القرن العشرين منطقة بارزان من جهة الشرق، من شمدينان الى بيرسياف وريزان وعبر النهر متوجها الى عقره والموصل، وصل بعده W. A. Wigram الكاهن الانكليكاني في نهاية العقد الأول من القرن العشرين آتياً من الجهة الغربية عكس السيرمارك سايكس، وهو دقيق الملاحظة ويعطي وصفا لتضاريس المنطقة التي هي تحت حكم شيخ بارزان (عبدالسلام) فبعد أن ترك عقرة متوجها الى بارزان كتب:

"هبطنا من أعلى القمة (ثلاث آلاف قدم فوق مستوى السهل) لنجد أنفسنا في واد خصيب جيد الارواء يمدّه بالماء نهر جبلي ويكسوه قصب المستنقعات الطويل. ثم تسلقنا قمة أخرى تعدل الأولى ارتفاعاً الى قمة سلسلة أخرى من الجبال ومنها أمكننا القاء نظرة شاملة على الاصقاع المقفرة من أية ناحية أرسلنا الطرف."

ثم يضيف وهو على سفوح جبل بيرس موجهاً نظراته الى أراضي بارزان:

"تحتنا يمتد وادي الزاب وهو مجموعة شعثاء متداخلة من الهضاب والوهاد تجمعت بشكل معقد متشابك مثل تلاطم أمواج البحر. وشريط النهر الواسع البراق الذي يكاد هنا يوازي دجلة في حجمه، يسلك سبيلاً ملتوياً زائغاً خلال منحدرات كثيرة التعقيد لا أول لها ولا آخر. والجانب الآخر من الهوة العميقة يحده نَجْدٌ أجرد حفرت فيه أمطار الشتاء ندوباً غائرة، واستند الى آكام محزوزة من الصخور الجيرية وفوقه هنا بامتداد الأفق تشمخ الذرى الثلجية العظمية لجبال حكاري برؤوسها مثل "النيفاتيس" للشاعر "هوراس" حيث زرع ابليس قدميه لأول مرة عندما نزل الى العالم المخلوق حديثاً على ما يقوله ملتون Milton. ويمضي الكاهن في توصيف تضاريس المنطقة:

"صقع من الأرض غير مروض، حلقة حديد محكمة، جنة مثالية غالية للعصابات والشقا. تلکم هي الأرض المعروفة ببلاد العشائر. وسكانها إذا انصفناهم - على استعداد تام لاستغلال ميزاتنا. وهم شبه مستقلين وان كانوا يخضعون بالاسم الى الترك. أشباه بدو على طراز (جوني آرمسترنك) Johnny Armstrong أشباه جبليين على طراز (روب روي) هنا فرمانات السلطان وأوامره لاتساوي شروی نقيير دون مساندة واضحة من الحراب، وكل فرد فيها هو قرصان أصيل يعمل مايراه صواباً أو بكلمة أدق ما يناسبه. سلطان كهذا تراه شائعاً في سائر جهات هذه البلاد. وهو على الأغلب في أيدي شيوخ العشائر. وليس لحكومة استنبول سلطان أكثر من سلطان ملوك اسكتلنده القدماء على الجهة الشمالية من (سترلنك برديج (Strirling Bridge).¹

ثم انحدرت مجموعة الكاهن نزولاً من جبل بيرس ووصلوا الى قرية (بيراكه برا): "وهي قرية بائسة المنظر تربض عند قدمي الشعب"، وعندما وصلوا في صباح اليوم التالي الى ضفاف النهر انتهت مهمة المرافقين، عبروا النهر وساروا نحو بارزان، ويسجل الكاهن ملاحظات دقيقة فيقول: "ان أغلب الشيوخ حتى الأقل من شيوخ بارزان سطوة يعيشون في قلاع ذات منعة، بينما تجد هذا الشيخ "يعيش بين شعبه" ليس قصره سوى مجموعة من الأكواخ العادية مندغمة فيما بينها لتؤلف كوخاً واحداً ليس فيه باب خارجي ابداً. (ونحن لم نكتشف باباً ما من هذا القبيل)

يقول ويگرام: "على ان نائبه وهو امام كبير رحب بنا ترحيباً حاراً وكان صديقاً قديماً لبعض مرافقينا. وحذا حذوه الملا الشاب أو كاهن البيت الخاص وزمرة من الاتباع ذوي المظهر الخشن الذين يؤلفون جزء من البطانة المعتادة. وبطبيعة الحال لم يكن في مقدورنا المرور بالمنزل دون ان نأكل. الا أننا بسبب عجالتنا ورغبتنا في التقدم رجونا مضيفنا رجاء خاصا ان يزودنا

¹ ديليو. أ. ويگرام. مهد البشرية. ترجمة جرجيس فتح الله. مطبعة الزمان - بغداد

1971 صفحہ: 128

بطعام سهل التهيئة سريعها واعتبرنا تنفيذهم هذه الرغبة لنا برهاناً حقيقياً على ودھم فأتونا ببيض وخبز وعسل وشاي...." ويمضي الى القول: "وارفق بنا مضيفنا حارساً مسلحاً هو من (المريدين) يضع على رأسه عمامة حمراء دليلاً على كونه من حرس الشيخ الخاص . وواصلنا السير على هديه يوماً ونصف يوم في الوادي."¹

ومن حسن حظ الكاهن وهو في طريقه الى العمادية انه التقى بشيخ بارزان والشيخ عائد من العمادية نحو بارزان. التقيا في قرية سورى. كان قد سمع الكثير عن شيخ بارزان قبل ان يلتقي به، ومن ضمن الذين تناولوا موضوع (شيخ بارزان) هو جاثاليق الآثوريين نفسه: "والشيخ في نظر أتباعه ليس مجرد زعيم قبلي كبير، فهم يعتقدون بقداسته الموروثة، ورجال عشيرته هم أتباعه الروحيون (مريدون) وهذه الحقيقة تؤكد حادثة جرت في وقت سابق على هذا بقليل قصها علينا المار شمعون جاثاليق الآثوريين الذي يتمتع بمكانة مماثلة للشيخ البارزاني بين أتباعه.² الحادثة تتعلق بفترة اختفاء شيخ بارزان والبحث عنه من قبل الدوريات التركية:

"اثناء ذلك قبض على صبي تأخر عن جماعة الفارين فطلبوا منه مهديدين ان يدهم على الجهة التي سلكها شيخه، إلا ان الصبي كان أصلب من الحديد وأجابهم: أقسم باسم الشيخ المبارك اني لن أخبركم. وكان هذا ما استطاعوا انتزاعه منه صنوف الترغيب والتهديد. وتشاء الصدفة أن يكون قائد الرتل التركي طيب القلب فلم يسيء معاملة الأسير الصغير. لكنه أسرع ليستخلص حكمة من سلوكه بعد ان أخلى سبيله فقد قال لضباطه وهو يبتسم: "لن نربح من هذه الحرب شيئاً وبإمكانكم ان تحكموا من هذه الواقعة على طبيعة الرجال الذين نقاتلهم. فهذا الطفل كان تحت رحمتي تماماً

¹ دبليو. أ. ويگرام. مهد البشرية. ترجمة جرجيس فتح الله. مطبعة الزمان - بغداد

1971 صفحته: 130

² نفس المصدر السابق. صفحة: 133

ولن يحاسبني أحد على قتله لو شئت. ومع معرفته هذه الحقيقة فقد تحداني وحلف باسم شيخه كأنه يحلف باسم الله"⁽¹⁾.

ويصف الكاهن الدقيق الملاحظة ملامح شيخ بارزان بعد اللقاء الشخصي به: "عبد السلام" شيخ بارزان، رجل في مقتبل العمر يناهز الثامنة والعشرين، وهو كمعظم سكان الجبال متوسط القامة ضامر الجسم ممتليء حيوية ونشاطا، ذو وجه مهيب بشوش، كان يضع على رأسه عمامة بيضاء فوق قلنسوة، ويرتدي صدارا وسروالا بلون أبيض وعليهما جبة سوداء مطرزة بالأحمر وفوق الجميع عباءة خضراء. وتتألف حاشيته من ثلاثين إلى أربعين تابعا مريدا يتميزون بعمائمهم الحمر ذات الأهداب السائبة وكان أكثرهم يحمل مائتي اطلاقا أو نحوها من الخرطوش الكروي وبنادقهم التي هي من طراز (شنايدر ومارتيني) كانت قد أسندت واحدة فوق الأخرى على حائط البيلالي، وكان الجميع يظهرون لزعيمهم الشاب أسمى مظاهر الاحترام والطاعة....."⁽²⁾

عندما رحل شيخ بارزان الثالث عام 1900-1902؟ وتولى الخلافة ابنه عبد السلام، كانت أركان المشيخة راسخة وقوية، وكان مجتمع المساواة الذي أقامه الاسلاف (عبد الرحمن، عبد السلام ومحمد وملأى ملأى) موحدا ومنسجما وقد اكتسبت خبرة طويلة في المجال العسكري والاجتماعي والروحي والسياسي وكانت مهياة لمواجهة التحديات. خاصة ان الشيخ الجديد تبني بشكل أوضح البعد الاجتماعي والاقتصادي في تحقيق العدالة الاجتماعية في جميع قرى المنطقة تحت نفوذه الذي توسع بشكل ملحوظ.

في هذه الفترة الملائى بالزوايع السياسية المتميزة ببقظة الوعي القومي والسياسي لدى الشعوب الراححة تحت نير الحكم العثماني ومنها الشعب الكردي، استخلف الشيخ عبد السلام الثاني اباه وهو شاب لم يتعد سن

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 133-134

⁽²⁾ مهد البشرية. ص: 135

الثامنة والعشرين بعد. كانت الفترة الاولى من توليه المشيخة فترة هدوء واستقرار نسبي. لقد راقب وعاش وهو فتى يافع أخطر التطورات في المشيخة ورافق الصراع الحاسم- صراع الحياة والموت بين المشيخة والسلطة الاقطاعية، ولم تتح له الظروف القاسية تلقي العلم بصورة منتظمة والامام الكافي بأطرافه ويأكمال تحصيله في مراكز العلم المعروفة آنذاك حسبما درجت عليه أسرة الشيخ، وكان والده مصدر المعرفة والعلم الوحيد له.

مضت فترة غير قصيرة (1900-1907) عاش فيها الخلف الجديد تقريبا في ظل وبفضل منجزات والده. وارتكز على الرصيد من الحب الذي زرعه والده في قلوب انصاره والاحترام الذي انتزعه من خصومه قبل ان تكتمل شخصيته ليبرز لاعبا ماهرا في ميدان التعامل القبلي ووطنيا جليل القدر في الحلبة السياسية والجهاد القومي، ثم شهيدا وطينا خالداً ما تزال ذكره عالقة بالأذهان مقرونة بالإعجاب.

وضع والده بين يديه فضلا عن السمعة والصيت، ثروة لا تقدر من مجموعة أعوان مخلصين، طحتهم المعارك وصقلتهم التجارب، فكانوا خير من يعتمدون في الملهمات. ومال في مطلع شبابه الى طائفة (الديوانه) من الصوفيين وظل مقيما على ميله هذا حين غدا شيخا فقد اشتد فيه وتأصل. ولم يحاول استبدال الاعوان الذين أثبتهم والده في مراكزهم ومن أشهرهم (ملاى ملاى) و (فقي عبد الرحمن) و (حاجكى جه مى) مع ان عهده اقترن بظهور شخصيات قيادية كفوءة شابة⁽¹⁾.

في هذا الأثناء أخذت الحركات السرية الكردية تنشط من عقابها اتسعت رقعة تحركها خلال فترة قصيرة جدا لتشمل منطقة بادينان، وكان الشيخ عبد السلام من أولى الشخصيات التي عمل المثقفون الكرد على الاتصال بها نظرا

⁽¹⁾ ابنتى عبد السلام بزوجين الاولى واسمها (سعاد) عقراوية الاصل نشأت في الموصل وكانت تتكلم العربية تزوجها قبل وفاة والده والثانية تزوجها بعد ان تولى المشيخة واسمها (سمياء) وهي ابنة الحاج عبد العزيز آغا من رؤساء بلدة العمادية ووجهائها وشقيقة الشهيد الضابط عزت عبد العزيز العمادي.

للسمعة التي حازتها مشيخة بارزان في أيام والده. ووصول أنباء المعارك الناجحة التي كان قد شنّها على الاغوات المحليين عملاء السلطة للحدّ من سلطانهم. وكذلك بسبب التغييرات التي أحدثها ارشاده في المجتمع المحلي وهو كله لا يخلو من طابع الوطنية والحرص على مصلحة الجماهير الكردية والاهتمام بمصائرها وواقع حياتها. وكان من الطبيعي ان تتناقل الافواه أنباء هذه الانجازات فتبلغ اسماع اولئك الشباب الطلائعي الذين اتخذوا العاصمة العثمانية مركزاً لبث مفاهيمهم في الوعي القومي الكردي بصحفهم وجمعياتهم.

لقد أدركت الجمعيات الكردية الوطنية سرّيتها وعلنيها من سلسلة المعارك التي خاضتها المشيخة الفتية ومن طبيعة واتجاهات العدو الذي تنازله والانتصارات التي حازتها ان الشيخ البارزاني يملك الى جانب العقيدة والمبدأ قوة ضاربة اطوع له من البنان، وهذا عامل جوهري لا يمكن اغفاله عند حساب احتمالات نجاح اية حركة وطنية - اذن، فَجَرَّ هذا الشيخ الى ساحة الجهاد الوطني سيكون مغنماً عظيماً. كان واضحاً أن الطريقة النقشبندية (الخالدية) كما اشتهرت فيما بعد في بتليس وغيرها من كردستان الشمالية تتخذ مسار الدفاع عن حقوق الشعب الكردي كما سنرى. وكما سيظهر كان شيخ بارزان على علاقات بأهم الشخصيات والزعامات الكردية، "ووفقاً لجابر باشا، الذي ينقل معلومات عن الأحداث التي تشهدها المنطقة، فإن الشيخ عبد السلام انضم منذ فترة طويلة إلى الحركة الكردية بقيادة عبد الرزاق بدرخان ووفقاً للمصادر، فإن القائمقام السابق إسماعيل صفوت متهم بأنه أقنع شيخ برزان بالانضمام إلى الحركة الكردية وأحد المسؤولين عن مقتل محمود شوكت باشا. فرّ من اسطنبول ليلجأ إلى برزان. ومع الوقت أصبح أحد أهم دعاة الحركة الكردية."¹ وليس من شك كان الروس على علم بما يحصل من تطورات مع القيادات الكردية، "ويكشف عبد الرزاق بدرخان نفسه، في تقرير قدمه إلى

¹ ULUGANA SEDAT Vilayet De Bitlis Durant La Période Jeunes Turcs 1908-1914. Le 16 Décembre 2019. P : 205.

السلطات الروسية، عن صلاته بشيخ برزان ودور الوسيط الذي لعبه إسماعيل صفوت بك.¹

أخذت بعد هذا تتسرب إلى بادينان وبارزان طائفة من الصحف والبيانات والمناشير من الجمعيات الكردية كجمعية (تعالى وترقى كورد) و (استقلال كورد) المار ذكرهما وجمعية (هيتقى) وجمعيات سرّية أخرى. كانت هذه المناشير ترسل إلى تكية بارزان خصيصاً⁽²⁾. وكان الشيخ عبد السلام من جانبه يتابع باهتمام تنامي الوعي القومي في صفوف المثقفين الأكراد ويحاول اقناع وجهاء بادينان بوجهة نظره الإصلاحية وجرّهم إلى التعاون، فكان ينجح في ذلك تارة ويفشل في أخرى. فالشيخ بهاء الدين النقشبندی صاحب تكية بامرني لم يكن يساعده في موقفه للمشاركة في هذه الحركة وهو ليس صاحب عصبية قومية ولا يرى ثمة فائدة في زج هذه العشائر في حركة لا تعرف نتائجها. كما أنه من الرجال الداعين للسلم. لذا كان موقفه من البارزانيين غير صريح وواضح. أما الشيخ نور محمد القادري الدهوكي فكان موقفه موقف مشجع وهو الرجل الجريء الذي خبر السياسة وكان يشعر بفساد الحكم وينقم على الدولة ويريد الإصلاح⁽³⁾. ووجد الشيخ لنفسه حليفاً قوياً من المار شمعون بنيامين جاثليق الكنيسة الشرقية الآثورية الذي كان يجمع السلطين الزمنية والروحية لجميع الآثورين القاطنين حكارى وبادينان بحكم منصبه.

مما لا شك فيه أن شيخ بارزان أظهر في حينه تجاوباً مع تلك الجمعيات الكردية وأيد برامجها الإصلاحية، لاسيما بعد أن قلب (الاتحاديون) ظهر المجن وظهروا على حقيقتهم بتعصبهم القومي الذي بدا بأقبح وجه من وجوه الشوفينية والتمييز العنصري. ليسوا دعاة إصلاح ولا بنائري العدالة بين الشعوب التي تحكمها

¹ Ibid.

⁽²⁾ إمارة بادينان، ص 94 - 95.

⁽³⁾ مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكيتين وترجمة الدكتور كاوس قفطان) منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد 5).

الدولة العثمانية، بل دعاة صهر واذابة، حلّ طغيانهم محل طغيان السلطان واخذوا ينكلون بالأتلافيين دعاة المساواة الاترك. ويقيمون المذابح العنصرية لاسيما مذابح الارمن والمسيحيين التي هزت مشاعر العالم المتمدن. لقد أدرك الشيخ عبد السلام ان خطر النظام التركي الجديد على مشيخته هو أكبر من خطر الاقطاعيين والاغوات، وان البنيان الروحي الذي شاده اسلافه. وأضحى ودیعة في يديه مهديد الآن بريح التعصب القومي فضلاً عن الاقطاعيين المتربصين وانه لا قبل له بمنازلة هذين الخصمين الحليفيين معا وفي وقت واحد بمفرده، وانه من الضروري ان يوسع دائرة تحالفه. لذلك تعدت نظرة الشيخ البارزاني منطقته لتشمل آفاقاً اوسع، فأخذ يتنقل من مكان الى اخر مبشراً بآرائه. وأكثر من زيارته للرؤساء والزعماء جيرانه مؤكداً على ضرورة الاتحاد والتكاتف "... وبذلك استطاع ان ينال احترام جميع الفرق والطوائف الدينية لشخصه وروحانيته⁽¹⁾.

¹ مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكيتين وترجمة الدكتور كاوس قفطان) منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد 5).

الفصل الثاني والعشرون

بروز شخصية الشيخ عبد السلام

ان فترة الهدوء التي سادت سنوات ولاية عبد السلام الأولى ساعدته على ان ينصرف بشكل خاص الى شؤون الناس وسماع شكواهم والتعرف على حاجاتهم والعمل على ازالتها والتخفيف منها، وقد أدرك التأثير المدمر للجهل وضرورة تيسير تلقي العلم والمعرفة للناس. ويغلب على الظن أن شعوراً بالحسرة والألم ظلاً يلازمان الشيخ طوال حياته، لان الظروف لم تتح له اكمال تحصيله العلمي، لذلك وجدناه يحاول التعويض عن هذا القصور بملازمة العلماء والسماع منهم وتقديره لهم والرغبة الشديدة في نشر المعرفة والثقافة بين ابناء عشيرته. فقد استقدم الى تكيته العالم المعروف (ملا احمد ابن عبد الخالق العقراوي) وخصص له راتباً. كما استقدم عدد من العلماء للتدريس في بارزان. ويؤكد (ف. نيكيتين) ان الشيخ كان يدعوا الشعب الى التضامن والوحدة وكان يردد دائماً "اتحدوا وتضامنوا فيما بينكم، وعند ذلك لن يستطيع أحد قهركم" ثم يستلي "... وزع الشيخ أوقاته على ثلاثة اغراض: الارشاد والتدريس، وقضاء حاجات الناس، ثم حل النزاعات القبلية وفض مشاكلها"⁽¹⁾.

وقد كان هذا شغله الشاغل منذ وفاة والده حتى عام 1907، وفي غضون هذه الفترة كان نفوذه يتعاظم وتتسع رقعة مشيخته، ولم يكن هذا بالذي يروق لأغوات الزبيار المندحرين أمام والده الذين دفعوا الى أطراف عقرة "... إن أغوات الزبيار الذين كانوا يحكمون الزبيار حكماً اقطاعياً لم يرق لهم توسع نفوذ الشيوخ البارزانيين وانصواء كثير من العشائر تحت لوائهم والانخراط في سلك

⁽¹⁾ مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكيتين وترجمة الدكتور كاوس قفطان) منشورة في مجلة (شمس كردستان عدد 5) .. (المصدر السابق)

طريقتهم النقشبندية. فأخذوا يقاومونهم ويعملون على الحد من نفوذهم". خلق الشيخ هذه المنزلة لنفسه بحسن تطبيقه قواعد العدل على الجميع، واهتم بأوضاع شعبه وتعاطف مع مشاعره، واختط لنفسه سنة في أيام العيد، حيث كان يشتري الملابس لأيتام القرية ويجمعهم ثم يحادثهم ويكسوهم، وهو عمل لم تكن له سابقة في مشيخات كردستان. وقد عرف عنه مواساته الفقراء والمنكوبين، كما حرص على تفقد أحوال الأسر التي فقدت معيلها. ومن الأقوال التي أثرت أنه كان يوجهها لهم قوله مثلاً "أرجو أن لا تشعروا بالوحدة أو الخوف مما يجنبه الغد لكم لقد مات أبوكم وبودي أن تعتبروني في مكانه) وكان يعزز قوله هذا بالعمل. ونذكر على سبيل المثال، أن أحدهم توفي خلفاً أطفلاً، فما كان منه إلا أن منحهم حصته من مطحنته وجعل كل ربحها لأعاشتهم بعد أن يستخرج الطحان حصته، وظل يتابع أحوال هؤلاء الأيتام، وحين شعر بحاجتهم إلى (بقرة) أعطاهم واحدة وبلغ من شدة حرصه على أمورهم أنه أمر بأن يباع ثور نطاح شמוש كانت تملكه الأسرة ويشتري بثمنه ما هو أفضل منه متبرعاً بفرق السعر. وكان يأمر أتباعه ومريديه بأن يحتفظوا لهم. وقصده ذات يوم (ملا عمر بيره كهبرى) يشكو له ضيق ذات اليد وصعوبة الحصول على ما يكفي لأملاء بطون أفراد عائلته التسعة، ورجا من الشيخ أن يسمح له بالنزوح إلى إحدى قرى السهل لعل كربته تنفرج ووضعه يتحسن، فلم يسمح له الشيخ بالنزوح، وأمر وكيله بتزويده بمقدار كاف من مختلف البذور، ثم طلب منه مراجعته في كل حاجة تعن له ولم ينسى أن يدفع عنه أجرة عبوره عبر نهر الزاب إلى (بيراكهبرا).

واهتم الشيخ عبد السلام بأمور عصرية لم تكن تعتبر في ذلك الحين من الضرورات أو من مقومات الشخصية وهي بعيدة كل البعد عن صفته الروحية وزعامته الدينية، منها تشجيعه رياضة الفروسية، وحث أتباعه على تعلم السباحة والتمرن على إصابة الهدف بالبندقية (الرماية). وأكد على ضرورة الجسم السليم وأهمية صحة الإنسان، مثلما كان حريصاً على سلامة أحكامه وموافقته للشرع بالاستعانة بالعلماء البارزين عند حسمه المشاكل والدعاوى. تمسك بمبادئ

الفصل الثاني والعشرون: بروز شخصية الشيخ عبد السلام

العدل بادئاً بنفسه عندما أشرف على تقسيم ميراث والده بين أعضاء أسرته البارزانية، فجنبها مشاعر الريبة المتبادلة التي تنشأ بين أسرة كبيرة فيها ضرات وأبناء ضرات عديدون، ولم يدع الاحساس بالغبن بأن يتسلل الى نفس أى واحد من أفراد الأسرة.

الفصل الثالث والعشرون

الصراعات مع الجيران

عودة إلى اغوات الزيبار

انتعشت آمال الاغوات بعد وفاة الشيخ محمد عام (1902) وخيل لهم ان مهمتهم ستكون أسهل مع خلفه في اعادة سيطرتهم على القرى التي ازيحوا عنها، وقد مرّ بنا ان الاسر الاقطاعية في الزيبار كانت متنافسة فيما بينها ايضا وان آل مصطفى آغا في ايام (حسن آغا) و (محمد آغا) قد انحازوا الى جانب شيخ بارزان ضد اسرة (تتر خان) الذين يفوقونهم قوة ونفوذا. وبتعاونهم مع شيخ بارزان تمكنوا من اضعاف منافسيهم الى حد طردهم من بعض القرى والحد من سلطانهم الى درجة كبيرة. وظل آل مصطفى آغا على علاقات حسنة ببارزان طوال فترة الهدوء التي استمرت حتى العام 1908 بل وأكثر من هذا، فقد قدم (محمود آغا الزيباري) الى بارزان طالبا التوبة والهداية على يد الشيخ عبد السلام وخدم لديه فترة من الزمن.

لم يكن الشيخ منغلقا على نفسه قط، لا في تعامله مع الرؤساء والزعماء الكرد ولا مع الادارة العثمانية المحلية، فقد كان ينشد السلام والاستقرار مدركاً ان الحروب القبلية لا تجر إلا الدمار والخراب، إلا أنه اضطر كما سنرى الى ركوب اشد مايكره، وخوض معارك فرضت عليه فرضاً لم ينل من ورائها غير التشريد. وقضى حياة عاصفة تألّب عليه فيها اعداؤه، وراح في النهاية وهو شاب ضحية ايمانه بعدالة قضيته.

مع شيخ نهري

يذكر (ف. نيكيتين) ان الجفاء الذي ساد علاقات نهري ببارزان في السابق بقي كما هو ".... كان الشيخ محمد صديق النهري من جيرانه (الضمير يعود الى الشيخ عبد السلام) وقد غمره السرور عندما توفي والد الشيخ. وكان يراقب الشيخ الجديد عن كثب ويحس ببروزه واتساع نفوذه ويحسده على ذلك. وحاول عدة مرات ان يكيد له، إلا أنه لم ينجح في مسعاه ومات ولم تتحقق رغبته هذه⁽¹⁾... وخلف السيد طه الثاني والده الشيخ محمد صديق، وكان الشيخ عبد السلام من الذكاء وصفاء النية بحيث استغل الفرصة، فارسل الرسل لتعزية السيد طه ومحاولة افهامه ان جدّيهما كانا صديقين وعلى وفاق وان والديهما هكذا كانا ايضاً وأنه من الخير نسيان الماضي بما فيه من ضغائن واحقاد لتحل محله الصداقة والسلام⁽²⁾ وكان السيد طه من الذكاء بحيث وافق على ذلك وهكذا عاد تأريخ العلاقات النهريّة – البارزانية الى مجراه السابق بعد طول انقطاع تخللته احداث دامية.

الروابط مع مشيخة بجيل

لا شك ان الشيخ عبد السلام كان يرغب في تحسين روابطه مع مشيخة بجيل، الا انها بقيت راكدة مثقلة بالضغائن والاحقاد، وظلت تلك المشيخة منغلقة على نفسها لا تحاول تغيير موقفها العدائي من بارزان، في حين ظهرت بوادر تبشر بعلاقات طيبة بين الشيخ وبين رؤوساء العمادية ووجهاء بادينان أي التحرك باتجاه الغرب.

يروى الدمولوجي عن قدوم الشيخ عبد السلام الى العمادية في العام 1905 فيقول "الاخبار تدور حول مجيء الشيخ عبد السلام البارزاني بقوة عظيمة الى العمادية ليحتلها ويقيم فيها حكومة كردية ويقتل موظفي الحكومة

⁽¹⁾ الفقرة وما بعدها (العائلة البارزانية) من مجلة شمس كردستان (العدد 5) ص 19.

⁽²⁾ لم يكونا في الواقع على وفاق كما يتبين من الفصول السالفة.

ويقضي على البيت الفلاني والفلاني ويخرب تكية بامرني ويستولى على دهبوك وزاخو يفعل كذا وكذا. والناس صنفان: صنف يتمنى مجيئه بفارغ الصبر وهم بيت حاجي عبد العزيز آغا، ومن هم على اتفاق معهم وآخرون يرتعدون خوفاً وقلقاً وهم بيت المفتي وبيت المدرس وحاجي شعبان آغا، وهؤلاء على اتفاق مع مشايخ بامرني. كنت بصفتي قائمقاماً (بالوكالة) ارفع التقارير الى الولاية عن هذه الحوادث. والاجوبة التي اتلقاها (عن تلك التقارير) لم تخرج عن ملاحظة الموقف بدقة ورفع ما يستجد من الاخبار دون تأخير.... واخيراً تحقق الخبر وحضر الشيخ عبد السلام في 22 كانون الاول 1323 هـ (1905 م) مع قوة تبلغ خمسمائة مسلح من الزبيارين والمزوريين والشيروانيين يقودهم (فقي عبد الرحمن). ونزل ضيفاً على صهره (الحاج عبد العزيز آغا العمادي) وسارع اغوات العمادية المواليون للشيخ عبد السلام وغير المواليين الى أخذ أعوانه ضيوفاً إلى بيوتهم. ولم يظهر ما يعكر صفو الأمن. وكان الشيخ بهاء الدين قد حضر العمادية بناء على دعوة سبقت له من الشيخ عبد السلام وقد اجتمع به نحو ساعتين على انفراد ولم يعلم مادار من الحديث بينهما، إلا ان الذي علمته ان الشيخ عبد السلام تلقاه بحفاوة واحترام وقبل يده وقد قابله (بهاء الدين) بالمثل، وتلك عادة جارية"⁽¹⁾.

لم يكن قد مضى على وفاة الشيخ محمد سوى عامين حين بدأت الاوضاع تتردى في منحدر خطر، حيث اخذت تتركز الدعايات بشكل مكثف حول نوايا الشيخ عبد السلام وخاصة بعد زواجه من ابنة الحاج عبدالعزيز آغا في العام (1903) وكثرة تردده الى بادينان والعمادية. يقول الدمولوجي مستطرداً "...طلبت مقابلته (يقصد عبد السلام) فاجاب وحدد لي موعداً بعد صلاة العشاء من تلك الليلة فذهبت اليه بمفردي وانا اشق صفوف البارزانيين الذين تجمعوا حول القصر الذي اقام فيه ودخلت عليه ولم يكن احد لديه سوى كاتبه (ملا حسن ابن ملا عبد الجليل)⁽²⁾ وخدام واقف بالباب فتلقاني

⁽¹⁾ اماره بادينان، ص 89 و 90.

⁽²⁾ الصحيح هو (ملا أحمد ابن عبد الخالق العقراوي).

ببشاشة واجلسنى بجانبه وقد ظهر لى منه انه كان يرغب في مقابلتي بقدر رغبتى فيها ليجاهر باخلاصه للحكومة ويعرف منى شيئاً عن وجهة نظرها بحقة وصورة تلقيها حركته. كان في الاربعين⁽¹⁾ من العمر اسمر اللون وسيم الصورة في عينه اليمنى قليل من العوار (الماء الأبيض)⁽²⁾ يلبس عمامة متوسطة الحجم وجبة من الجوخ الاسود فوقها عباءة وهو الى زي العلماء أقرب منه الى زي الصوفية. بعد ان علم انى أحسن التكلم بالكردية انبسط كثيراً. كان يتكلم بهدوء والحديث الذي لا يستوعبه يعيده ثانية وثالثة ليفهمه جيداً أنه يريد ان يفهم كل شيء وهو ذكي للغاية حاد الذهن سريع الانتقال وليس فيه ما يعاب سوى انه غير متعلم وكان يظهر لى أسفه على حرمانه من العلم وان أباه وجدته من العلماء"

هنا بعض المقتطفات من الحديث الهام الذي جرى بين شيخ بارزان وصديق الدمولوجي، في العمادية ليلة 22 كانون الاول 1323 هـ. (1905) م:

"سالت الشيخ-

- ماذا تريد الحكومة منكم بعد ان تخلصوا لها؟

قال- نخلص لها ولا تؤمن بإخلاصنا وتعدنا خارجين عليها. وغيرنا لا يخلصون وتعدهم مخلصين.

قلت له- كان عليكم ان تتفاهموا معها وتزيلوا ما علق بذهنها بحققكم قال- ان الطريق مسدودة اماننا وليس لنا من يدافع عنا وإذا تبرع أحد للدفاع عنا فانه لا يدافع لوجه الله وكلهم اصحاب غايات ومصالح وليس لدينا قرى نعطيها لوجهاء الموصل كما يفعله خصومنا (كان المقصود فعلا اغوات الزيبار). وإننا ندافع عن أنفسنا بأنفسنا.

⁽¹⁾ كان في الثلاثين من العمر.

⁽²⁾ يذكر (ويگرام) انه كان يشكو من التراخوما المزمنة.

سألته: من هم خصومكم؟ قال:

ليس لنا خصوم سوى اغوات الزيبار وهؤلاء بضع بيوت استولوا منذ القديم على عشيرة الزيبار واخضعوهم لحكمهم وساموهم الذل والهوان وجعلوهم عبيداً لهم، وهم لا يملكون دفاعاً عن أنفسهم وواحد منهم يموت كما يموت الكلب ولا من يسأل عنه، وقد شمل اعتدائهم علينا ونحن ضعفاء بالنسبة إليهم. كان جدي الشيخ عبد السلام رجلاً صالحاً ولم يطق صبراً على الظلم الذي يلاقيه الزيباريون ولم يكن له قوة سوى جماعة من المريدين سلاحهم المسبحة والسواك، وإذ كان شيء اسمه حكومة فهو اسم لا أثر عليه، فأعلن الحرب عليهم بهؤلاء المريدين وحاربهم وكسرهم وانتصر عليهم في عدة مواقف، وكانت قوته تزداد من يوم إلى آخر، إلى أن تم له الأمر، وقد استمرت الحروب أعواماً على عهد والدي الشيخ محمد إلى أن أخرجناهم جميعاً من الزيبار، ولكن بعد أن لم يبقوا قرية معمورة وأصبح الحدّ الفاصل بيننا نهر الزاب، وإذا كانوا اندحروا في ميدان الحرب ولم يبق لهم القوة التي يحاربونها بها فقد أخذوا يحاربوننا بواسطة الحكومة وينادون بالشكوى علينا ويملؤون الدنيا ضجيجاً ويسئون إلى سمعتنا، فصارت الحكومة تعتقد فينا عصاة معتدين أخرجنا أناساً آمنين من ديارهم، ولم تفكر بأننا أنقذنا أمة مقهورة مضطهدة من أيدي أناس جبارين واعطيناها حريتها، ولو كانت الحكومة على شيء من القوة وقامت بنفسها بإنقاذ هذه الأمة لانقطعتنا إلى أعمالنا وعشنا في أمن وسلام. اننا رفعنا شكوانا كثيراً إلى الحكومة فلم تلق إلينا بأذن صاغية. جاهرنا بإخلاصنا لها فلم تؤمن بنا. اننا لم نفعل أكثر مما يقتضيه الواجب الديني من دفع الظلم عن أمة مضطهدة وتخليصها من الرق. "فكانت التقارير التي يرفعها الموظفون المسؤولون عنا جميعها كاذبة بجانب الحقيقة، كأن المطلوب منهم ان يوجهوا إلينا المثالب لتحل النعمة بنا.

"اننا نريد ان يجرى بحقنا تحقيق عادل وليستمع الى شكاوينا وليقم بالتحقيق رجال عسكريون، والتحقيق الذي يجريه الموظفون (المدنيون) لانرضى به هؤلاء اعداء لنا لاثق بهم. وأني مستعد لان احضر الموصل بعد ان يعطيني الوالي والقوماندان (القائد العسكري) التأمينات على حياتي وشرفي وليحضر اغوات الزيبار وغيرهم ممن يدعون الخصومة علينا ولتجر محاكمتنا، وهناك تتحقق الاكاذيب التي يلصقونها بنا. ونحن لانريد الا الحق".

سألته: ولكن كيف اعلل مجيئك بهذه القوة الى العمادية وماهو الغرض منها؟

قال: ان مجيئي الى العمادية هو لزيارة صهري (الحاج عبد العزيز آغا) ثم التعرف الى شيخ بهاء الدين النقشبندي الذي تربطنا وياه رابطة الطريقة وبقية زعماء العمادية. إلا انهم لم يحضروا. ولكن كان في حضور الشيخ بهاء الدين الكفاية. ثم لما كان لي خصوم كثيرون ولايمكنني الذهاب خارج الزيبار دون هذه القوة، فقد أتيت بها معي ولم أجيئ محارباً بل مسالماً لزيارة اخواني⁽¹⁾.

ان الاحداث اللاحقة تثبت بشكل قاطع بان ماصرح به شيخ بارزان لقائمقام العمادية هو الصحيح وطبق ماصرح به، إلا ان الاوساط الحاكمة التركية الفاسدة لم تبدي اية مبادرة إيجابية.

لا بل كانت السلطات التركية متوجسة من كل مطلب اصلاحي وترى فيه تحريضاً من الدول الاجنبية. والجدير بالذكر بان الباحث المعروف عبد الرقيب يوسف قضى 75 يوما في اسطنبول للبحث عن الارشيفات التي تتعلق بكرديستان، وعثر على عدد من الوثائق عن شيخ بارزان وموقف الحكومة التركية منه، وكلها تشير الى الاهتمام الكبير بجميع تحركات الشيخ،

⁽¹⁾ امارة بادينان، صديق الدمولوجي، ص 93.

الفصل الثالث والعشرون: الصراعات مع الجيران

خاصة فيما يتعلق بجولات القنصل البريطاني في كردستان وصلاته بشيخ بارزان، وبسبب ذلك تم ابعاد القنصل من ولاية الموصل.¹

¹ هذه الوثيقة (رقم 3) وجهها رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) الى وزارة الداخلية موجهة من والي الموصل الى وزارة الداخلية مؤرخة في 23 ذي القعدة 1327 هجري (1909/12/2 م) نشرها الباحث المعروف عبد الرقيب يوسف.

الفصل الرابع والعشرون

نهاية فترة الهدوء والاستقرار

جفاء مع الحكومة ومؤامرات الاغوات

تحول الاغوات المندحرون في ساحة القتال الى سلاح المال لمقارعة شيخ بارزان، أو بكلمة أخرى، نقلوا ساحة النزاع الى أروقة وقاعات الدوائر الحكومية بالتقرب الى موظفيها بالرشاوى والهدايا والزلفى. واخذوا يلفقون التهم ويضمنونها شكاوى رسمية حافلة بالتهويل وبالمبالغة حول قيام مشيخة بارزان واشتداد شوكتها والضرر الكبير الذي سيحقيق بأمن الدولة من جراء النزاع المسلح المحلى الذي لن ينتهي مادامت لمشيخة بارزان ومرشدها الشيخ عبد السلام البارزانى الكلمة العليا والنفوذ الاوحد في المنطقة، ولـ (ويگرام) في هذا الصدد تعليق طريف قال "كان الشيخ (عبد السلام) حتى العام 1909 في حرب معلنة مع الحكومة ولم يكن هو المعلوم في هذه الحرب. والمذنبون الحقيقيون الاساسيون هم: ص. باشا⁽¹⁾ وبعض رجال العصابة المتفسخة الذين كانوا يتولون الادارة في الموصل. فهؤلاء طمعوا في بعض القرى التي تقع ضمن نفوذ الشيخ وأبى هو ان يتخلى عنها"⁽²⁾.

اجل أصبح الشيخ عائفا حقيقياً امام جشع ملاكي الموصل الاقوياء الذين كان طمعهم بالاراضي الزراعية يدفعهم حتى الى التأمر على أرواح الناس

⁽¹⁾ يقصد به (محمد باشا الصابونجي) أحد كبار الملاكين الموصلين واصحاب النفوذ وعضو المجلس البلدي.

⁽²⁾ مهد البشرية ص 131 ويضيف المؤلف في الهامش (حاول الشيخ البارزانى ان يشتري السلام من كل قلبه، لكن اعداءه الطامعين به اثاروا عليه حتى الرأي العام المحلي بل انهم قبلوا منه مبالغ كبيرة من المال دفعها لرد أذاهم ثم استمروا في مكائدهم ضده مع هذا.

وحرياتهم. ثم ان جولات الشيخ في بادينان والبرقية التي ارسلها الى استنبول العثمانية موجهاً فيها انظار الحكومة الى وجوب الاهتمام بأوضاع المنطقة والاهتمام بالمواصلات والتعليم واصلاح الادارة. ثم علاقاته مع (السيد طه النهري) وشكوك الحكومة العثمانية حول اشاعات قيامه باتصالات سرية مع روسيا القيصرية لايجاد نوع من التحالف ضد تركيا. كل ذلك ادى الى اعتباره من الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية. ولم يكن الشيخ عبد السلام بالغافل عما يحاك في الخفاء. لذا حاول ضمان أكبر دعم من الاصدقاء واصحاب النفوذ. وقد روى للمؤلف أحد مرافقيه المدعو (مين ملا عبزید) أن قام بعدة جولات في مناطق بادينان. وفي إحدى جولاته زار صهره (حاج عبد العزيز آغا) في العمادية ثم زار (سيدآفا) وحل ومرافقوه ضيوفاً على كبير القرية وفي اليوم التالي غادرها الى قرية قريبة من دهوك ثم ذهب الى دهوك نفسها وحل ضيفاً على (الشيخ نور محمد القادري) ومكث عنده ليلتين. ثم غادرها الى قرية (بيسفكي) ومنها الى قرية السيد (عبدی خزال) وشاهد هناك بعض العاب الفروسية وسباق الرمي على الهدف الذي اقيم تكريماً له ثم غادرها الى (بهروژوك) ثم الى (بامهرنى) لزيارة شيخها ثم عاد الى العمادية ومنها الى بارزان. وقام في زمن لاحق بجولة واسعة امتدت الى ديار العرب واجتمع بعدد من شيوخهم وبعض رؤساء العشائر البروارية والدوسكية والمزورى ثيرى. وانضم كبارهم الى موكب الشيخ وتوجهوا جميعاً الى تكية الشيخ (نور محمد القادري) في (دهوك) حيث عقد اجتماع وجرت مداولات. واتفقت الكلمة على اختيار رئيس لرابطتهم واتحادهم يمثلهم في مراجعاتهم الحكومية وينطق بلسانهم. ووقع الاختيار على (الشيخ نور محمد) فاعتذر بحالته الصحية و اشار في عين الوقت الى كفاءة الشيخ عبد السلام واهليته في تحمل هذه المسؤولية. فوقع الاختيار عليه. بعد هذا الاجتماع

مباشرة قدمت المذكرة الكردية⁽¹⁾ المعروفة الى الحكومة العثمانية. عن طريق
والى الموصل على الأرجح في العام 1907⁽²⁾.

وفي كتاب الضحايا الثلاث ما نصه "جاءت مطالب الشيخ عبد السلام بن
الشيخ محمد التي رفعها الى الحكومة ورجا فيها ادخال بعض الاصلاحات الى
منطقته من حيث الادارة وانتشالها من وهدة الفقر والتأخر العلمي والتدني
الاقتصادي كتأييد لما كان ينسب اليه من عصيان وسوء نية. واعتبرت الحكومة
هذه المطالب موعزاً بها من قبل الجمعيات الكردية التي كانت تسعى لاقامة
حكم لامركزي في البلاد الكردية وهو ماكان يسعى اليه احرار العرب
ايضاً".⁽³⁾

للأسف الشديد عندما القيت نظرة على الأرشيفات العثمانية والتي نشرتها
جامعة جيهان حديثاً تحت عنوان (بارزان والزيبار في الأرشيف العثماني –
1840 – 1923) من اعداد الدكتور نوزاد يحيى باجكر طُبعت عام 2018 في
اربيل، تحتوي على معلومات مستقاة من مصادر معادية لبارزان وفيها من
التحريف والمغالطات والشائعات حول أحداث المنطقة، ولذا لم أعتد عليها الا
فيما ندر .

مضمون المذكرة

اراد الشيخ عبد السلام ايصال نسخة من البرقية الى كل من (الشيخ عبد
القادر ابن الشيخ عبد الله النهري) و (امين عال بدرخان) و (الفريق شريف باشا
ابن سعيد باشا). وكان هذا خلافاً لرأى الموقعين على البرقية الذين ارادوها ان
تكون رسمية بحتة. إلا ان الشيخ عبد السلام هكذا شاء. وكانت البرقية تتضمن
المطالب الآتية:

⁽¹⁾ سيرد ذكر البرقية بتفصيل في الصفحات التالية.

⁽²⁾ استقيننا هذه المعلومات عن جولات الشيخ من مسودات السيد صالح محمود
البارزاني الذي نقلها عن لسان مرافق الشيخ (مين ملا عبيد) عندما كان في زيارة الى
الموصل في العام 1954.

⁽³⁾ عبد المنعم الغلامي (انظر فصل عبد السلام البارزاني).

أولاً— جعل اللغة الرسمية في الاقضية الكردية الخمسة اللغة الكردية (الاقضية هي: دھوك، زاخو، العمادية، عقره، سنجار).
ثانياً— جعل التعليم باللغة الكردية.
ثالثاً— يعين القائمقامون ومدراء النواحي وبقية الموظفين ممن يحسنون اللغة الكردية.
رابعاً— لما كان الاسلام دين الدولة الرسمي، فمن المقتضى ان تجري الاحكام بموجب الشريعة الاسلامية.
خامساً— يعين لمنصب القضاء والافتاء من اصحاب المذهب الشافعي.
سادساً— تؤخذ الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليه الشرع ويلغي مايزيد عن ذلك او يخالفه.
سابعاً— تبقى ضرائب بدلات العملة المكلفة كما هي على ان تخصص لاصلاح الطرق في الاقضية الخمسة⁽¹⁾.
مع الاسف الشديد لم نعر على صورة أصلية لهذه البرقية التاريخية التي تعتبر نقطة تحول هامة في المشيخة البارزانية وبداية عهد صراعها المرير مع الحكومات التي تعاقبت على حكم المنطقة منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا⁽²⁾.

هذا البرقية التي تمت صياغتها في دار الشيخ نور محمد بدهوك والتي تضمنت مجرد دعوة سلمية الى الاصلاح وتعبير عن الحاجة القومية الى التطور والثقافة كانت تعني بالمنطق التركي مقدمة لحركة انسلاخ عن جسم

⁽¹⁾ صديق الدمولوجي، ص 96،

⁽²⁾ ابناً السيد جرجيس فتح الله المحامي انه سأل مؤلف اماره بادينان في اثناء نظره في كتابه قبل طبعه عما اذا كان بالامكان العثور على النص الاصيل للبرقية في ارسيفات الوثائق الرسمية للدولة العثمانية المباداة، فاجاب ان الدار التي كانت تحتزن الشكاوى والاخباريات الواردة من الولايات الى العاصمة استنبول قد اتت النار عليها وعلى محتوياتها اثناء تواجد قوات الاحتلال فيها بعد الحرب العالمية الاولى، ولم تعلم اسباب الحريق مطلقاً.

الامبراطورية. فهي اذن دعوة انفصالية تستلزم استخدام القوة لقمعها. وبهذا الصدد يذكر أولوغانا سادات في اطروحته:

"حرص العثمانيون كثيراً على إخفاء البعد السياسي لهذا الحدث الذي دخل التاريخ الرسمي التركي باسم "مسألة شيخ برزان". وأعلنوا، ولا سيما مع الرأي العام الدولي، أن الشيخ كان "قاطع طريق" ويستولي على ممتلكات المسيحيين.¹ ويدخل هذا ضمن الدعاية التضليلية الرخيصة.

بعد ارسال البرقية بفترة وسكوت السلطات عنها سكوتا مطبقا. تلقى الشيخ عبد السلام دعوة من قائمقام (بيراكهبرا) يطلب حضوره لديه للمداولة في امر النزاعات والمشاكل المتعلقة بأغوات الزيبار والسعى لفضها بمدخلة حكومية نزيهة. وقد سبقت هذه الدعوة عدة مقابلات اجراها أغوات الزيبار مع هذا القائمقام اسفرت عن توجيه الدعوة لشيخ البارزان بالحضور والقاء القبض عليه ان استجاب او قتله ان تعذر ذلك. كانت مؤامرة مشتركة حكومية وقوى الاقطاع من أغوات الزيبار وآخرون، والهركية اعترفوا بأن القائمقام هو الذي طلب منهم الاشتراك في خطة تصفية شيخ بارزان.

توجه الشيخ مع عدد من رجاله، ضمنهم (ملای ملا محمود) الى (بيراكهبرا) بحماية قوة صغيرة وعبر الزاب الى مكان الاجتماع وهو خالي الذهن مما دُبِرَ له وكان الوقت خريفاً. وفي طريقه وصله من أحد انصاره في القرية تحذير من عاقبة مواصلة الرحلة وقد اضحى شكه في التحذير يقينا عندما اكتشف رجاله مواقع على الطريق فيها كمائن مسلحة، فبادروا الى تغيير خط سيرهم ثم انكفأوا على اعقابهم. ولدى وصولهم مجرى ماء (قوره بهگ) وهم بعضهم بالصلاة إذ بالرصاص ينهال عليهم من كل جانب. بهذا

¹ -ULUGANA SEDAT Vilayet De Bitlis Durant La Période Jeunes Turcs 1908-1914. Le 16 Décembre 2019. P: 205

الشكل بدأت المفاوضات التي دعا اليها القائمقام العثماني. ووجد الشيخ نفسه في مأزق. إلا ان أعوانه أسرعوا فوضعوه في وسطهم وستره باجسامهم واتخذوا مواضع دفاعية واخذوا يردون على النار بالنار وكانت كفة المترصدين في البداية راجحة ولكن مالبت أنصار الشيخ الا وصارت المبادأة بأيديهم بعد ان اصابوا برصاصهم عددا كبيرا من المهاجمين وبخاصة عندما صرعوا (كنعان ههرنى)¹ المتعصب في ولائه للاغوات. ولما أصر قائدهم (عثمان آغا الزيباري) على البقاء ومواصلة القتال رغم حراجة موقفه صاح به صائح من أنصار الشيخ (ايها الاغا تكرم بالانسحاب قبل ان تفوتك الفرصة) فانصاع الاغا للنداء (المؤدب) ولاذ بالفرار وامر الشيخ قواته القاصدة (بيرهكهپرا) وراء فلول المهاجمين بان لايمسوا القرية بأذى و اشار على أعوانه بالعودة والتوقف عن مطاردتهم.

ومن المفارقات، أنه في هذا الأثناء كان LT. Col. Sir Mark Sykes الرحالة البريطاني² في طريقه الى أراضي بارزان ولندعه يصف السير مع مرافقيه:

"تركنا كاتيونا غير نادمين واتجهنا نحو نهري، مدينة بائسة طينية مؤلفة من مبنى صخري ضخيم مربع التصميم، يلجأ لها الشيخ فصل الشتاء. ومن نهري وصلنا قرية (بيناون) بعد مسير خلال مناطق ساحرة دام خمس ساعات ونصف الساعة. هنا تبدأ مناطق قبيلة (گهردي) وأعتقد بأن هؤلاء

¹ كان (كنعان ههرنى) قد ثبت في خندقه اثناء المعركة وفشلت جميع المحاولات لاقتلعه من مكانه او القضاء عليه. وهنا اقترح (ملای ملا محمود) على عدد من رفاقه إلهاء (كنعان) برشقات متواصلة من الرصاص حتى لا يتحرك من مكانه ريثما يتسنى لملا ملا محمود الاقتراب منه لقنصه. وتم ذلك فعلا حيث كمن له في مكان قريب جدا من الخندق فاتيح قنصه وذلك حينما رفع راسه قليلا فنالته في جبينه رصاصة (ملای ملا محمود) وأردته قتيلاً.

² The Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire. LT.

Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co

London. Garnet Publishing 431-432

الكرد هم من عنصر آخر يختلف عن العنصر المتواجد في أوساط الجبال ومنطقة البحيرة. فتقاليدهم هي أنهم جاءوا من العراق قبل حوالي مائة عام، في ذلك الوقت كانوا شبه رحل،....."

"ومن (بينان) تركنا أراضي (الغرديين) وتقدمنا الى أراضي قبيلة الشيروان، حطينا الرحال في (ده رياسور) قرية صغيرة بائسة وسط حقول خصبة مزروعة جيداً، وفي طريقنا الى هناك، التقينا بثلاثة مسافرين يهود بلا سلاح ومعهم العديد من السلع. هؤلاء هم جزء من المجموعة اليهودية الكبيرة واللذين يعيشون في مدن وقرى مقاطعة حكاري. يعود إقامة هؤلاء اليهود الى العصور القديمة، انهم في الواقع محصنون ضد أعمال السلب والنهب وبإمكانهم السفر دون خوف. ومثل بني جلدتهم في أماكن أخرى، يتمتعون بالثراء بينما يتضور الآخرون جوعاً....."

المنظر التي شاهدناها خلال اليوم من مسيرنا كانت برّية وخلابة كما هو الحال مع المناطق الأخرى من كردستان التي مررنا بها، فلكل قرية غابتها الصغيرة من الحور، ولها حقولها التي صممت باعتناء ولها نظام متطور للقنوات الجبلية الاروائية، والأهم هو وجود قلعة ذات برجين بارزين يقيم فيها كبير القوم وحيث تحتمي فيها القوات المحاربة وقت الخطر. هذه المنازل تختلف في حجمها، بين عشرة الى خمسة عشر منزلاً وتقع عادة على سفوح المنحدرات الجبلية المطلّة على أودية متطامنة.

ومن قرية (درياسور) ونحن ممتلئون بالأمل وخفة القلب توجهنا الى قرية (ريزان) على أمل الوصول اليها قبل حلول الظلام....."

توجهنا مع بعض المجازفة نحو قرية أحمد آغا، شعرت بالتأكد ببعض القلق مع اقترابنا من جدران القلعة ذات الثغرات، ولحسن الحظ لم يثير دخولنا

القرية اهتمام الناس. لكن كانت تعج بالشائعات، حسن آغا الزيباري ينهب الشيروانيين وشيخ بارزان كان في عقره ليشتكى لدى القائم مقام نيابة عن الشيروانيين، القائم مقام اخذ رشوة من حسن آغا وأبى أن يستمع لشيخ بارزان، وعندما كان شيخ بارزان في طريق العودة حاول حسن آغا اغتياله، والنتيجة ان اندلعت المعارك، وقتل عدد من جنود الحكومة، وأنهم ذهبوا إلى زيبار وقد احترقت خمس قرى تابعة لشيروان....."

" وفي اليوم الثاني من معركة (قوره بهگ) وصل الى قرية (ريزان) ووجد هناك (أحمد آغا بيرسافي) مع رجاله المسلحين جاؤوا لنجدة شيخهم الواقع في الكمين، وقد همّوا بالعبور من الضفة الشرقية للنهر الى الضفة اليسرى وكان القتال لايزال جارياً، يكتب: "LT. Col. Sir Mark Sykes عن أحداث تلك الأيام حيث شرح له مرافقوه ما يحصل وهو غير دقيق لكنه يعطي فكرة عنها، فيقول:

وكانت مشكلتنا هي كيف يمكن أن نصل الى (ريزان) من دون اثاره شكوكه بأننا سنهاجمه."

"أرسلنا رسولا لإعلام (أحمد آغا) المتمرّد بقدومنا، لقد استغرق سفرنا ستة ساعات ونحن نمّر خلال عدد من القرى الخاوية، مهجورة من جميع القادرين على العمل، لا يوجد فيها غير أطفال و رجال ونساء هربين بلا أسنان. وباقتراب وقت العصر، وصلنا الى الهضاب المطلّة على قرية (ريزان) هنا وجدنا خراطيش فارغة وبقع من الدم... " وفي الجانب الآخر من النهر شاهدنا خمس بقع من الدخان المتصاعد، وهي قرى تعود الى الشيروانيين. وبعد قليل شاهدنا أحمد آغا برفقة خمسة عشر مسلحاً، الآغا كهل وسيم طويل القامة ذو تعابير وجدانية مشوبة بالقلق."

"ذهب القائمقام الى الزيبار برفقة مائتي رجل وأحرق خمس قرى تابعة للشيروانيين، -الواقع كانت القرى المحروقة تابعة لمقاطعة نزار ولم تكن تابعة للشيروانيين كما يذكر الرحالة البريطاني - تعليق من المؤلف. أو بالأحرى لم يتدخل لكي يمنع العشيرة الهركية بحرقها، فقد طلب القائمقام من العشيرة الهركية الرحالة ان تقوم بهذا العمل. أحمد آغا كان على ضفة النهر الشرقية لمنع رجال حسن آغا عبور النهر".
بعدها يناقش الرحالة البريطاني أحمد آغا بيّرسيافى فيقول عنه:

"أشار بحزن الى بقع الدخان المتصاعد من المنازل وراء النهر ولفت نظرنا الى البيوت البائسة التي ألتهمتها النيران، كانوا يجمعون الأخشاب والصخور لبناء منازل جديدة، ذكر لي أمراً كنت أعرف أنه على حق - قال عندما تتقاتل العشائر فيما بينها، فانهم لا يمسون الأراضي والمنازل، لكن عندما تتدخل القوات الحكومية، فان رجال القبائل يتخذون أشد الاجراءات ولا يلتزمون بقوانينهم الغير مكتوبة. وعندما شاهدت الدمار الحاصل، راودتني الشكوك عن مدى فوائد الحكومة المركزية لو قورن بالحقبة الاقطاعية"¹.

ثم التقط LT. Col. Sir Mark Sykes صورة لأحمد آغا بيّرسيافى مع مجموعته المسلحة، تجدون الصورة ضمن الملاحق.

ففي اليوم الثاني بعد أن التقى LT. Col. Sir Mark Sykes بأحمد آغا بيّرسيافى، عبر النهر مع فريقه الى منطقة (نزار) التي جرى فيها القتال، ويشير في كتابه الى مشاهدته من خراب وحرقت المساكن وقد اعترف له مسلحي رجال عشيرة (الهركي) بأن القائمقام التركي هو الذي طلب منهم الاشتراك في خطة القضاء على شيخ بارزان واعترفوا أيضاً بممارسة القسوة في حرق القرى وأن ذلك

¹ The Caliphs' last heritage. A short history of the Turkish Empire. LT. Col. Sir Mark Sykes. First published in 1915. By Macmillan And Co London. Garnet Publishing. P. 434

مبعث خجل.¹ بعدها يواصل (مارك) مع فريقه طريقه الى (دينارته) وثم الى (عقره).

هذه المكيدة كشفت النوايا التركية، فزاد حذر الشيخ وزالت ثقته نهائياً بالموظفين الاتراك. وعندما تولى الفريق (محمد باشا الداغستاني) ولاية الموصل في زمن الاتحاديين الذين سيطروا على الحكم إثر انقلاب 1908 و(اعلان المشروطية) لم يخف التوتر، بل ازداد بسبب سياسة التتريك التي اتبعها هؤلاء، وأدرك الشيخ خطورة الحال وان لا النوايا الحسنة ولا المساعي المخلصة ستوقف الامور عند حدّ، اي قبل ان تؤول الى المواجهة المسلحة.

¹. Ibid

الفصل الخامس والعشرون

معركة بيرس الاولى - خريف العام 1908

الصفحة الاولى من المعركة:

"... من اولى اجراءات محمد فاضل باشا الداغستاني بعد توليه ولاية الموصل وقيادة الجيش فيها أنه أرسل الى الشيخ عبد السلام يدعوه الى مركز ولايته الموصل. إلا ان اصدقاء الشيخ في كل من الموصل وعقرة نصحوه بالترثيث وحذروه من الذهاب الى الموصل. وكان جواب الباشا (على هذا التلكؤ) تجريده (جيشاً) قوامه ستة آلاف جندي نظامي مع ستة مدافع.¹ وفي عقرة أُنذر الشيخ بأنه في حالة عدم اذعانه لأوامره ورفضه الذهاب الى الموصل فأن جنوده سيزحفون ويخربون زاويته..."². فرفض الشيخ الحضور وأبى الانصياع لأمر الاستسلام ونفذ والي موصل تهديده وزحفت قواته حتى بلغت عقرة وبعد مشاورات مع الاغوات ورؤساء القبائل المعادين الذين هملوا وكبروا للتطور الجديد، تقرر أن تقوم الحكومة بنشر قطعاتها العسكرية للهجوم بمساندة قوات المرتزقة الكرد لاستخدامهم كطلائع كشفية وكأدلاء واداء بعض الخدمات الاخرى وحمل الاثقال، وهذه هي المرة الاولى التي عمدت الدولة العثمانية الى استخدام الجيش والمرتزقة معاً ضد شيخ بارزان. لقد استغرق خروج الحملة من الموصل ووصولها الى عقرة ثم اكتساح بارزان

¹ الظاهر كانت هناك مخاوف من انتفاضات كردية في السليمانية وبارزان لذا استدعى الباب العالي الشيخ سعيد البرزنجي للمجيء الى الموصل، وقد تم تصنيفته مع ابنه (شيخ احمد) وعدد من مرافقيه في كانون الاول 1908، ونجى ابنه (شيخ محمود الحفيد) من المجزرة، وايضاً تلقى الدعوة شيخ عبد السلام لكنه رفض الذهاب الى الموصل فأختار الوالي العثماني الحل العسكري للقضاء على بارزان.

² ف. نيكيئين (العائلة البارزانية) مجلة (شمس كردستان) العدد الخامس.

فالعودة منها ستة أشهر كاملة. وسنحاول الآن فيما يلي تسجيل صفحات المعارك في منطقة (بيرس - بارزان) كما سمعناها ممن ساهموا فيها وكانوا طاعنين في السن، وكما تلقينا بعضها عن طريق التواتر.

لم يتهول الشيخ وانصاره هذه القوة التي لا عهد للمنطقة بها من قبل (منذ الفتوحات الاسلامية) ولم يفقدوا معنوياتهم بل أخذوا يتدارسون الموقف بأناة وبرودة دم.

لقد جعلت الحكومة العثمانية لهذه الحملة اسبابها الرسمية وتتلخص في تمرد الشيخ البارزاني على الحكومة وشقه عصا الطاعة واتصاله بدولة اجنبية للقيام بحركة انفصالية، وانشاء علاقات مضرّة بأمن الدولة بين المشيخة والجمعيات الوطنية الكردية السريّة في استنبول وبوتان.

عبرت قوات الشيخ نهر الزاب الى الجبل (بيرس) وتمركزت في سفوحه الغربية، وكانت وحدات القوة بقيادة كل من (فقي عبد الرحمن) و (خوشوى سيلكى) و (عبدى بيكولى) و (حاجى دورى) و (سليمان وسمان آغا). كان هؤلاء القادة ولأول مرة يواجهون قوات نظامية ذات اسلحة عصرية بضمنها المدافع وهو مما لاعد لهم به من قبل وهم الذين لم ينازلوا الا رجال القبائل يستخدمون نفس سلاحهم العتيق ونفس تكتيكهم الحربي. وكان يساند القوات النظامية قوات كبيرة من المرتزقة الكرد الخبراء بجغرافية المنطقة - خوانقها، شعابها، كمائنها، موانعها الطبيعية الخ...

كانت خطة الشيخ وأعدائه دفاعية صرفه، وهي ان يمسكوا جبل بيرس ومداخله ويحولوا دون وصول القوات الحكومية والمرتزقة الى قراهم عبره، لأن جبل بيرس يؤلف العقبة الغربية وهو خط دفاع طبيعي ممتاز ومن الدرجة الاولى.

تحرك الجيش التركى من عقرة الى (دينارته) ونصب مدافعه هناك، وشرع مشاته في التقدم نحو بيرس في الصباح الباكر وأخذت المدفعية تقصف سفح الجبل. وعندما اصبحت القطعات العسكرية التركية ضمن مدى مرمى

بنادق القوات البارزانية التي فتحت النار ودام الاشتباك عدة ساعات، وفي الوقت نفسه كانت قوات المرتزقة تهاجم السفوح من جوانب عديدة بهدف تطويق القوات البارزانية وارباكها، ففرقت واضطرت الى اخلاء بعض المواقع والتقهقر خوف التطويق وصعوبة الاستمرار في الصمود امام قوات متفوقة بنسبة غير معقولة. لكن (فقي عبد الرحمن) بقي صامداً في قطاعه ولم تبرح قواته مواقعها وواصل المقاومة امام الوحدات النظامية العثمانية الى ان أوقع بها الهزيمة بعد اصابة عدد كبير منهم. ثم انتقل الى الهجوم وراح يطارد فلولهم المنهزمة نحو (دينارته) وكان هذا ايذاناً بإشاعة الهزيمة والبدء بالتقهقر العام نحو موقع الانطلاق الاول. وفي اثناء المطاردة وقع خمسون اسيراً من الجنود النظاميين بيد قوات بارزان مع كل اسلحتهم. وقتل من زعماء المرتزقة (توفيق آغا هرنى) ومُني الجيش العثماني عموماً بخسارة جسيمة في الرجال والمعدات ولم يفقد البارزانيون غير قتيلين هما (سارم) و (مامل) وجرح (صالح بير سيافى) شقيق (احمد آغا بير سيافى). توقفت قوات الشيخ من ملاحقة الجيش المنهزم الذي أنهارت معنوياته. وقد قصد الشيخ عبد السلام من وراء ذلك تأكيد رغبته في السلام وحقق الدماء مراقباً ردّ الفعل الحكومي.

الصفحة الثانية

انتصر الشيخ في الجولة الاولى من معركة بيرس، ووزع الكميات الكبيرة من الاسلحة الجديدة التي اغتمت وأطلق صراح الاسرى لحسن نواياه، لكن والي موصل وقائد الحملة كان ابعد من ان تطمئنه مظاهر الرغبة في انتهاء القتال التي بدرت من الشيخ ولعله عدّ الهزيمة التي منيت بها قواته إهانة شخصية ولطخة على سمعته العسكرية، فقرر ان يكرّر عليه بحملة ثانية وخطّة جديدة.

كانت هذه الخطّة الجديدة تركز على عزل الشيخ عزلاً تاماً، وتحشيد أكبر ما يمكن من القوة الضاربة. فألّب عدداً أكبر من القبائل وفتح جبهة قتال

جديدة من ناحية الشرق فضلاً عن الجبهة الغربية في بيرس. يقول (ف.نكتين) "... قام الباشا بتحريض عشائر السورجى وخوشناو ومامش وأشنو على مهاجمة مواقع الشيخ عبدالسلام بالتعاون مع قوات الحكومة..."⁽¹⁾ ثم نسق خططه مع حركة عشائر (الريكان) و(هورماري) و(هركي) و(برواري) و(نيروي) و(زيباري) و(گوران) و(زراري) و(دزهيي) و(گهردي) و(رهقه ندوك) و(بيره سني) و(برادوست). فكان اشبه شيء بالنفير العام. واستغرق اعداد هذه القبائل للقتال واعادة تنظيم الجيش العثماني المنهزم أكثر من ثلاثة أشهر.

بدأت عشائر (مامش ومنگور واشنو) بالزحف من شرقى منطقة بارزان، وبنتيجة الضغوط التي مارستها الحكومة رسمياً فقد اضطر عدد كبير من الذين يعطفون على الشيخ الى المشاركة في حملة ضده، إذ لم يكن في وسع أحد منهم البقاء على الحياد إلا أنهم بالتعاون مع البارزاني. وهكذا اضطرت بعض العشائر خوض القتال ضد بارزان رغماً عنها، لذلك حاول افراد هذه العشائر أن يخففوا قدر المستطاع من جريمة مشاركتهم بالترفع عن عمليات الحرق والتخريب واتلاف المزروعات وسلب ونهب القرى التي يدخلونها. ويروى بهذه المناسبة انه عندما اغار أحد افراد الخوشناو على فقير نحل يعود لمنزل أحد البارزانيين وجنى منه مقدار من العسل وعرف بذلك رفاقه ضربوه ضرباً شديداً وجردوه من سلاحه ونبدوه عنهم عقاباً له، على ان هذا السلوك لم يلتزم به عموم القبائل.

وشاركت قبائل شمدينان ايضاً في غزوا المنطقة، فاكتمسحت جحافلها من الشمال باحتلالها منطقة مزوري. وهكذا بدأ الجيش العثماني بحملته الثانية.

قلنا كانت خطة (باشا الموصل) تهدف الى تشتيت المقاومة البارزانية بفتح عدة جبهات لتشعرهم بأنهم مطوقون من كل جانب ولا امل لهم في الافلات ولا حظ لهم في النجاح.

⁽¹⁾ ف.نكتين (العائلة البارزانية) مجلة (شمس كردستان) العدد الخامس.

اجتمع الشيخ بقادته في بارزان وبحث معهم النتائج الناجمة عن تصميم الحكومة العثمانية على الاحتلال الشامل لكل المنطقة وكيف ان الاصلاح الذي طلبه وسعى اليه ادى الى سوق حملة عسكرية ستكون عاقبتها المزيد من الخراب والدمار، وأعترف بأن مواصلة القتال ضد القوات المتفوقة جداً هو محض جنون ومعناه الخراب الشامل الذي لا طائل تحته. فتم الاتفاق على (عدم المقاومة) وعلى اختفاء الشيخ واعوانه المقربين فكانت لحظات حزن عميق وساد الوجوم والكآبة الوجوه حين راح الشيخ يودع قادته العسكريين ومريديه. ثم ترك المنطقة الى جهة مجهولة. وبدأ سكان القرى يطلبون الدخالة والامان تباعاً. وأرسل الشيخ أسرته من النساء والاطفال الى قرى الآثوريين موضع ثقته. وضاعت آثاره وكأن الارض ابتلعتة. أما اعوانه فقد حلوا تشكيلاتهم الكبيرة ونظموا بدلاً منها مفارز صغيرة العدد سريعة الحركة انتشرت في منطقة واسعة، ولأدت النسوة الكبيرات السن من بيت البارزاني في اوساط المزوريين.

من ذيول الحملة - بطولة حاجك جهمي

اكتسحت قبيلتا المامش والمنگور أراضي الشيروانيين من جهة الشرق وتقدمت القوات النظامية من الجهة الثانية (دينارته) الى بارزان والتقت جميعاً في قلب منطقة الشيخ، فنهبت المواشي والقطعان واحرقت دور بارزان وحقوقها وعاث مرتزقة الجيش التركي في المنطقة فساداً شفاءً للحقد القديم التي تكنه هذه القوات لبارزان وشيوخها وأهاليها.

كان حاجك جهمي أحد قواد الشيخ قد حلّ اسوةً بغيره تشكيلته العسكرية الكبيرة واحتفظ بمفرزة صغيرة، وفي اثناء هجوم جماعة المرتزقة على الشيروانيين كان هو في طريقه الى ديارهم، فسمع دوى الرصاص ونداءات الاستغاثة تأتي من بعيد، فأرسل من يستطلع جلية الامر، وعاد الرسول ليخبره ان المرتزقة ينهبون مواشي القرى ويعتدون على اهاليها العزل الذين لم يستجيب طلبهم الامان والدخالة. فلم يتمالك (حاجك) نفسه وتوجه الى القرى المعتدى عليها

واشتبك مع المعتدين وتمكن بقوته الصغيرة من إيقاف تقدمهم وكبدهم خسائر. إلا أنه أصيب برصاصة في يده عندما كان يهيم بأخراج الرصاص من اجندته. استهان (حاجك) بجرحه البسيط الا انه عجز عن إيقاف النزف وفقد مقداراً كبيراً من دمه فخارت قواه فحمل الى أحد الكهوف حيث لفظ انفاسه الاخيرة. بقيت ذكرى بطولته هذه راسخة في اذهان البارزانيين حتى اليوم يرددونها في مجالسهم وأخذوا (جراً على عاداتهم) يسمون اولادهم بأسمه تخليداً له.

من الجانب الحكومي اعتبرت الحركات العسكرية في منطقة بارزان منتهية في حدود آذار 1908.

تمركز الجيش في المنطقة

عسكر حوالي ألف من الجنود الاحتياط (الرديف) في بارزان، وتمركزت وحدات عسكرية اخرى في مناطق حساسة اخرى مثل (بيراكهپرا) و (ههرنى) و (ميڤرگه سور) و (سيلكى). ورأى الاغوات أن الفرصة التي انتظروها قد سنحت لهم ليعيدوا السيطرة على قرى المنطقة ويستغلوها. أما آل مصطفى آغا فقد انحازوا الى جانب الحكومة بعد ان اخذت رياح مصالحهم تأتي من تلك الجهة.

كانت الاجراءات التي اتخذها الجيش التركى في منطقة الشيخ تتضمن تعقب ومطاردة قوات الشيخ المشتتة والمختفية. ومساعدة الاقطاعيين على ممارسة نفوذهم القديم واستخدامهم في عمليات التعقب والمطاردة والتفتيش عن المطلوبين والقبض عليهم، وتثبيت السيطرة الحكومية في المنطقة عن طريق اسناد الادارة المدنية.

تحقيقاً لكل هذا فرضت القوات المحتلة رقابة دقيقة على سائر القرى لضمان عدم تقديم المعونة للمجموعات المتخفية، فقد كانت تخشى أن يشن قادة بارزان المختفين في الجبال شن حرب عصابات على مواقع الجيش التركي، وقام المرتزقة المحليون وهم مناوئوا الشيخ بتجريد دوريات في

المناطق التي كان يتواجد فيها الثائرون، وجندت الدولة بعض الاغوات وأعوانهم لعمليات التجسس داخل منطقة الشيخ والمساعدة في اجراءات التفتيش وفرض عقوبات صارمة على كل من يعتدى على افراد الجيش وكل من يقدم المأوى او الطعام (للعصاة). وهذا ما جعل أنصار الشيخ يعانون أشد الضيق والمصاعب في ايام الشتاء القارسة. وكثرت الوشايات واقتيد المخبر عنهم الى سجون الموصل وعقرة.

كانت مجاهل الجبال ذات الأخاديد والاجراف الشديدة الانحدار والشعاب الضيقة الصعبة المرتقى والكهوف والوديان العميقة ملاذاً لأعوان الشيخ وملجأً حصيناً، إلا أن القوات كان مشكلتهم العظمى. لذا اضطروا الى العيش كائنسان الغابات الاول، يقتاتون على النباتات وجذورها وعلى الاعشاب. ولم يكونوا يستقرون في مكان واحد زمناً طويلاً خوفاً الوشاية. وركزت السلطات البحث عن شيخ بارزان ولجأت الى كل وسيلة متصورة، فكانت تعذب القرويين لإرغامهم على الإدلاء بمعلومات عن تنقلاته. وكان مجرد ظهور أحد رجال الشيخ في قرية ما وعلم السلطات بذلك معناه الحكم بالدمار على تلك القرية وزج الكثيرين من ابنائها في السجون، وهذا مما اضطر الكثير من المعلنين حيادهم في النزاع (وهم يؤيدون الشيخ في السر) الى التعاون مع السلطات علناً.

بسبب نشاط الجواسيس اكتشف مخبأ والد الشيخ والنساء المسنات في أحد الكهوف مخفيات، فزحفت قوة الى (ولات ژيړى) وحاول الحراس المرافقون للعائلة وهم قلة، الدفاع عنهم ووقع اشتباك، إلا ان القوة الحكومية كانت كبيرة، فترك المدافعون مواقعهم ولاذوا بالفرار مخلفين النسوة والاطفال (ومن بينهم ملا مصطفى البارزاني) تحت رحمة الحملة. فسيق الجميع (... هؤلاء المتآمرون - على حد تعبير ويگرام). الى سجن الموصل⁽¹⁾.

¹ مهد البشرية، ص 133.

ولقي أفضل قواد الشيخ (فقي عبد الرحمن) مصرعه في ظروف غامضة. واختلفت الروايات حول ظروف مقتله. والمعروف ان السلطات الحكومية احتزت رأسه بعد قتله وأرسلته الى عقرة. أما جسده فدفن في كهف سمي فيما بعد باسمه، واعتبرت الحكومة التركية هلاكه ظفرا كبيرا.

لقد رزحت المنطقة تحت وطأة الوضع الاقتصادي القاسي وعاشت كابوس الاحتلال طوال اربعة أشهر ابتدأت من كانون الاول 1907 حتى آذار 1908.

الفصل السادس والعشرون

أيام الاختفاء

تنكّر الشيخ بزي الدراويش وطلاب العلم، ووهب بغله لأحد المحتاجين امعاناً في التنكر، وواصل سيره على القدم يرافقه امين سره (محمد هوكي) ووجهته بادينان، وكانا وهما يجتازان قراها العديدة يلتقيان بدوريات التعقيب التركية، فتمر بهما دون ان تفتن لهما. وكثيرا ماغادرا قرية لتدخلها بعدهما بساعة او اقل دورية تركية جادة في تقصى آثارهما. كانت السلطة شديدة الاهتمام بالقبض على الشيخ وعرضت مكافآت نقدية مغرية لمن يأتي به حياً أو ميتاً، ويدلي بمعلومات تؤدي الى القبض عليه.

مكث الشيخ أياماً في كهف يقع في ضواحي (نيروه) بعلم من مرافقه الوفي (محمد آغا هيشه تي) والأخير كان معاصراً لشيخ بارزان الثالث والرابع، وكان المسؤول عن حمايته وتزويده بما يلزم من طعام وحماية ومعلومات، والكهف تحيط به اشجار البلوط الضخمة وهو يحمل الى اليوم اسمه اذ يعرف بـ (كهف الشيخ). وبعد ان أحس بخطورة البقاء فترة أطول غادره واختفى.

وفي قرية (سبينداروك) مكث ليلتين في دار (الحاج بدري السندي) ثم غادرها الى مكان مجهول. لقد كان وضعه يختلف عن وضع والده عندما هرب هذا الاخير الى رواندوز، فقد وقفت الدولة العثمانية إذ ذاك موقف الحياد في الصراع بين الشيخ محمد وبين الحلف القبلي الذي تزعمه الشيخ محمد صديق النهري. أما الشيخ عبد السلام فلما كانت الحكومة التركية هي الطرف الثاني والرئيس فانه أصبح بالمصطلح القانوني (طريد العدالة) لا يأمن على نفسه من أحد ولا يستقر في مكان إلا ليرحل عنه الى آخر. واضطر الى اخفاء هويته تماماً غير معتمد إلا على أخلص اصدقائه.

من بين اصدقائه المخلصين الذين آووه (الشيخ محمد نور القادري) الذي أقدم على اخفائه فترة من الزمن. وبطريك الاثوريين (المارشمعون بنيامين) الذي استضافه رداً. وكان والى (ولاية وان) مكلفاً بالبحث عنه وتعقبه، فأرسل قوة من الجند رمة الى دار (البطريك) في عاصمته قرية (قدشانس) فدخلت غرفة الاستقبال وكان عبد السلام فيها. فأنشأ أمر القوة يتحدث الى البطريك حول مهمته قائلاً ان والى (وان) أرسلنا اليكم بعد ان بلغتنا اخبار عن وجود الشيخ عبد السلام في حماكم وأناي بأمر والي اطلب منك تسليمه".

أنكر (مارشمعون) وجوده بقسم فريد في بابه ينم عن ذكاء والمعية في تفادي الكذب، إذ أجاب أمر القوة بقوله: "اقسم لك بالانجيل اني اراه بمقدار رؤيتك له انت لا أكثر ولا اقل". وكان قسماً صحيحاً في الظاهر لكنه يفيد انكار وجود الطريدة، إذ ان الشيخ (عبد السلام) كان موجوداً فعلاً وكلاهما كانا يشاهدانه. اقتنع أمر القوة وأسرع بمغادرة مقر البطريك مطمئناً الى ان حبراً عالي القدر مثله لا يمكن ان يكذب.

كان (مارشمعون البطريك) الاثوري من اصدقاء الشيخ الحميمين، وقد برهن على مبلغ وفائه في وقت المحنة، إذ لم يكن وحده في حمايته وانما كانت معه زوجه الثانية.

حادث وفاء آخر للشيخ يرويه (ويگرام) "... ظل الشيخ شهراً وهو شريد، لا سقف يظله متنقلاً بين الجبال. وهنا جنى ثمرة معاملته الكريمة للقرويين، فلم يخطر ببال أحد من رعيته مسيحيين كانوا أم مسلمين - ان يخونه ويسلمه الى أعدائه.... وكان أحد الارتال العسكرية يعقب الشيخ⁽¹⁾.

من اعوان الشيخ المقربين الذين قاسموه المحنة (عبد الرحمن أفندي العقراوي) ومرافقه (رؤوف). شاءت الصدفة ان تدفع بهذين الاثنين الى قرية (باسيلان) في (التيارى العليا) واستأذنا بدخول بيت المختار، فرحب

⁽¹⁾ مهد البشرية، ص 132

بهما، وما ان اقتعد كل مجلسه حتى لاحظا وجود ضيفين آخرين على مقربة منهما، أحدهما مُلثم لايين من وجهه شيء، والآخر مستلق على ظهره وقد بدا عليهما الارهاق والتعب. وبعد قليل لاحظا المختار يدنو من الجالس المثلث ويكلمه همساً ثم يعود ليهمس في اذنه ثانية. فساورت (عبد الرحمن أفندي) المخاوف واخذ يفكر بالفرار لشكه بان يكون هذان المجهولان من جواسيس السلطة وان المختار متواطىء معهما. وارتبك (عبد الرحمن) وركبه الجزع، وفيما هو نهب للهوا جس المخيفه إذ يصاحب الوجه المثلث يكشف عن وجهه فاذا به شيخ بارزان، فتحل البهجة محل الخوف ويكون لقاء منشود على غير ميعاد. والحق (عبد الرحمن) على الشيخ بالبقاء معاً وان لا يفترقا لكن الشيخ ابدى خطورة تجمع اربعة وهو اجلب للشك وأكد ضرورة اخفاء هوياتهم فانطلق، كل في سبيله.

انقضت أشهر الشتاء واعقبه ربيع العام 1909 المبكر، وهنا قرر الشيخ وضع حد لتشرده وتنكره، فعاد الى منطقته المحتلة وهو لا يزال متخفياً ونزل (بابسيفا) وهي قرية منقطعة تقع خلف جبل (شيرين) في أعماق واد تتناثر على طول قرى عديدة بائسة صغيرة. في البدء استقبلوه استقبالا اعتيادياً كأبي ضيف، ولما كشف لهم عن هويته انفجرت اساريهم غبطة وزادت حفاوتهم به. وكان من الطبيعي ان يسري خبر ظهوره الى القرى المجاورة. وهكذا حتى بلغ جماعات الشيخ المسلحة التي كانت قد انحلت الى مفارز صغيرة، فخرجت من مكائنها للترحيب به وتجمع اعوانه ومحاربوه حوله من جديد مع جميع قاداته العسكريين.

ظلت الحكومة تراقب تنامي قوة الشيخ دون أن تحرك ساكناً حتى كأن المفاجأة شلت افكار المسؤولين الحكوميين.

الفصل السابع والعشرون

معركة سهريّ باز - 1909

كما يبدو كان ثم خلاف في وجهة النظر الرسمية بخصوص معالجة الوضع والتعامل مع الشيخ عبد السلام، ففريق من رجال السلطة كان يدعو الى المسألة واستخدام الدبلوماسية. ويمثله القائمقام العسكري (العقيد) صفوت بك. كان هذا الضابط يجذ التفاوض والتفاهم، في حين كان الوالي (محمد فاضل باشا الداغستاني) يريد المضي في استخدام القوة. وطال الجدل بينهما حتى غضب الوالي من صفوت بك واخذ يعمل لازاحته من منصبه متوسطا بالجهات الرسمية في استنبول.

ومن جديد استنفر الوالي عشائر السورجي والگوران والزيبار والهركي، وبدء يزحف بمعظم قواته نحو بارزان، وهدفه جبل شيرين صعوداً الى موقع (سهريّ باز) المشرف تماماً على الوادي وكل قراه، حيث يتمركز الشيخ.

احتشدت القوات الحكومية ومرتزقتها في اعلى الجبل اي (قمة سهريّ باز) ونقلت مدافعها اليها بصعوبة شديدة، وتهيأت القوات النظامية والمرتزة للهجوم نزولاً لاحتلال قرى (وهلات ژيړى) وعلى وجه خاص (بابسيڤا). وكان الشيخ طوال هذه الفترة التي اعقبت ظهوره في تلك القرية قد التزم جانب السكون ولم يصدر منه مايمكن اعتباره حجة لقتاله. إلا انه لم يكن غافلاً في عين الوقت، فقد بادر فعلاً قوته تعبئة تامة وقام بتحسين بعض المواقع.

بدأت المدفعية تقصف القرى الداخلة ضمن مدياتها، مركزة على (بابسيڤا)، إذ كانت الخطة التركية تعتمد على التمهيد بالقصف المدفعي ثم تقدم الجيش والمرتزة نزولاً الى أسفل الوادي. فشرعت بالتقدم، بينما بقيت وحدة عسكرية تحتل المواقع التي نصبت فيها المدافع الثلاثة لحمايتها "كانت

اول الاشتباكات التي رقيت الى مرتبة المعركة بالمفهوم العسكري⁽¹⁾. وقد ادرك الشيخ خطة العدو وما ينويه تماماً، فترك القرية الى أطرافها وفوق جرف مشرف على قرية (داويدكا) امسك ببندقية واطلق طلقة النجدة، واسرع قواده الى تنفيذ الواجبات المناطة بهم، إذ كلف جماعة (ملاى ملا محمود) و (محمد هوكى) و (محمد مل بيانى) و (رجب مهل هسنى) بمواجهة القوات الزاحفة على الميمنة في حين تولى جماعة (ملا حسن دلانى) و (قادر سبرى) وآخرون مهاجمة عدد من المواقع في موضع يعرف بـ (گهليا شيرين) وبهذا كانت قوات الشيخ منتشرة على جانبي خط زحف القوات المنحدرة، وكانت الخطة تقضي بأن تحجم قوات الشيخ عن الاشتباك مع الطلائع الزاحفة تاركة لها الحرية التامة في الانحدار الى الوادي واحتوائه ومن ثم احتواء كل الوحدات العسكرية النظامية.

لقى الجيش الحذر جانباً عندما لم يجد مقاومة لزحفه، وتوهم ان لا خطر بعد على مدفعيته التي كانت ترسل قنابلها باستمرار نحو أهدافها، وظن آخرون ان الاشتباكات ستدور في ضواحي قرية (بابسيغا) في بطن الوادي، وكانت قوة بارزانية ترابط هناك بالقرب من القرية. تريثت القوات البارزانية وهي في مواقعها التي اتينا الى وصفها حتى ابتعدت القوات التركية مسافة طويلة عن قاعدة مدفعيتها، وإذ ذاك باغت البارزانيون مواقع المدفعية وحرسها بوابل من الرصاص وأطبقوا عليهم من جميع الجهات، فتوقف القصف ودافع جنود القاعدة عن مدافعهم وانفسهم، إلا ان قوات الشيخ شدت من ضغطها، فاخذ الجنود يتركون مواقعهم ويلوذون بالفرار ولم يقد معهم زجر ضباطهم وتهديدهم، واخذت قوات الشيخ أخذ المبادرة بيدها، فطوقت القاعدة واحكمت تصويبها من مواقعها الممتازة، فتساقط عدد كبير من المدافعين ولقى عدد من الضباط مصرعهم. وكانت مجموعة صغيرة من البارزانيين تشاغل القوات الحكومية المنحدرة من القمة حينما وصلت آمريها أنباء ما يحصل في قاعدة المدفعية فوق الجبل، فصدرت الاوامر بوقف الزحف

⁽¹⁾ مهد البشرية، ص 133

والنكوص على الاعقاب لفك الحصار عن القاعدة وانقاذ المدافع من الوقوع في أيدي قوات بارزان، إلا ان البارزانيين كانوا قد احتلوا القاعدة واتموا تصفية المدافعين عنها، وفوجئت القوات الحكومية الصاعدة بنار حامية من الاعلى ومن الجانبين ومن الاسفل تتخطفهم واحداً اثر الآخر، فتسمروا ولم يتمكنوا في الوصول الى القمة واصابهم ارتباك عظيم، فاستسلمت القوات النظامية وافلحت اعداد من المرتزقة في كسر الطوق والافلات وتفرقت اشتاتاً في مجاهل جبل شيرين. لم تصب قوات الشيخ بأية خسارة واغتنمت كميات كبيرة من السلاح والعتاد فضلاً عن المدافع الثلاثة، ووقع بيدها عدد كبير من الاسرى.

وفي بارزان خارت معنويات القطعات العسكرية المرابطة في بارزان وتفتشت فيها روح الهزيمة وتهيات للانسحاب من المنطقة. بقول (ويگرام) بصدد المعركة وتثأجها "... وهكذا وجدت ثلاثة افواج من أصل سبعة زحفت عليه وجدت نفسها في فخ بين الصخور فاستسلمت له بكل اسلحتها وذخائرها ومدافعها ولم يلحق الجلبين خسارة مقابل ذلك. واخليت الموصل من قطعات الجيش المرباط فيها وارسلت لمواصلة القتال ودب في قلوب سكانها رعب شديد وخافوا ان يقتحم مدينتهم اولئك الجلبون العتاة بقضهم وقضيضهم. لكن الشيخ آثر ان لا يخطو هذه الخطوة التي قد تجعل الشق كبيراً يتعذر التحامه..." "ولقد مررنا ونحن في سبيلنا بميدان احدى المعارك. انه تجويف بركاني في قفر بباب تقوم على جانبيه جبال صخرية شديدة الانحدار. ها هنا اصطدم أحد افواج الحكومة بالشيخ ومقاتليه، إذ كان موجوداً بشخصه في هذه المواقع. على انه ترك مهمة ادارة القتال بصورة فعلية لشخص يدعى (عبدالقادر)⁽¹⁾ الذي كان بمثابة ضابط ركن له. وتلك هي اولى الاشتباكات التي رقيت الى مرتبة المعركة بالمفهوم العسكري، إذ كان رجال الشيخ يتهيبون فكرة الالتحام بجيش الحكومة. فلأجل ان يلهب الشيخ حماسهم ويقضي على تردددهم أطلق الرصاصة

⁽¹⁾ المقصود هو (قادر سيري وهو جد المؤلف من أمه)

الاولى. وإطلاق رصاصة واحد في عرف شعب كردستان معناه الاستنجد وطلب العون. امسك الشيخ بالبندقية وأطلق طلقة واحدة نحو السماء بحركة رائعة كأنه يستمد العون من الله نفسه. فكانت معجزة اليوم، إذ تم اسر الفوج كله مع ثلاثة مدافع جبلية. كان الجيش الذي جرد عليه خليطاً من النظاميين والمرتزة انصاف المدربين ولم تكن ضمائرهم مرتاحة لحربهم شخصاً له هذا المقام الديني المقدس. ولم تتعد اجراءات الشيخ بعد انتصاره نزع سلاح أسراه وإطلاق سراحهم بعد اخذ العهود والميثاق منهم بان لا يجاربه ثانية. لما لم يكن لديه سجن يحفظهم فيه، فالبديل الوحيد هو ان يقتلهم وهذا معناه إبادة، وهو شيء لم يكن يرغب فيه قط"⁽¹⁾.

على إثر هذه المعركة تألق نجم الشيخ في الاوساط الشعبية، واخذت الدوائر الرسمية تحسب له الحساب، كما ان معنويات بارزان وحلفائها ارتفعت كثيراً، وقد كفل لها السلاح والعتاد المغتنم تسليح عدد كبير من المقاتلين الجبلين بسلاح جيد.

بعد هذه المعركة طرأ تغير ملحوظ على نظرة الحكومة الى الشيخ وبدت علائم تشير الى نية استنبول في استرضائه وتسوية الخلافات. ومع أننا لاننكر أثر هذه المعركة في التبدل في وجهة النظر الحكومية إلا ان مؤرخي تلك الفترة يذكرون بان التحقيق الرسمي في شكايات الاغوات على شيخ بارزان وللائحة اتهاماتهم التي اتينا الى ذكرها وكانت السلطات قد بدأت بها قبل الاشتباكات وانتهت منه بعد هزيمة (سهرى باز) اثبت براءة الشيخ مما نسبته اليه اعداؤه والوشاة به، لم يكن له اي علاقة بحكومة روسيا القيصرية ولا بالتخطيط للانسلاخ عن الدولة العثمانية. ومن نوهوا بذلك التحقيق الرسمي صاحب كتاب (مهد البشرية) وعبدالمعظم الغلامى في كتابه (الضحايا الثلاث) وآخرون.

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص 133

ويدلي (ويگرام) برأيه فيقول:

"أخيراً تم الصلح بين الطرفين. وكان من دواعي سرور الشيخ ان يعزو الصلح بصورة رئيسة الى مساعي البريطانيين الطيبة. مع أن العامل الأصلي كان في الواقع تدخل الوالي الذي عرف برجاحة العقل (عين مؤخرًا لولاية الموصل) أما مجهودنا نحن فقد اقتصر على الطلب من السلطات المحلية إطلاق سراح نساء الشيخ ومعاملتهن بالاحترام اللائق، وانه لم يعد ثمة ما يستوجب بقاء (أولئك المتآمرين) في السجن، بعد أن أثبت التحقيق الرسمي ان المؤامرة التي اتهموا بها لا وجود لها قط.¹"

وقد يضاف الى ذلك سبب آخر، وهو إدراك الحكومة انها بحملتها المركزة على مركز واحد من مراكز القوة في بلاد كردستان قد ابتعدت عن سياستها التقليدية، أعني المحافظة في تلك الربوع على توازن القوى بين الرؤوساء والزعماء وعدم السماح لكفة الواحد بالرجحان على كفة الآخر. لذلك فالغلو في (معاقبة) بارزان او القضاء على التكية لا يعني غير استعلاء سلطة الاغوات وسيادة المشيخة النهرية على الموقف، ولم يكن هذا الوضع بأقل خطراً عليها من بقاء تكية بارزان قوية.

بناء على هذا او ربما لعجز في الدولة لاغير، أسرعّت الحكومة فأوعزت للقائمقام التركي في المنطقة بدعوة الشيخ للمفاوضة وابلاغه بان الدولة قد اصدرت فرماناً بالعفو عنه وهي تسعى الى اعادته الى بارزان وفتح صفحة جديدة من السلم والاستقرار ودفن الماضي. وطلب منه الحضور الى قرية (باز) لإجراء المحادثات وانه (اي القائمقام) سيكون في استقباله هناك.

كان شيخ بارزان في (بابسيقا) وكان العديد من انصاره وافراد أسرته في السجن وبضمنهم امه العجوز وأخوه الأصغر ملا صطفى. فلم يتردد في انتهاز الفرصة وخرج من (بابسيقا) بحرس قوي وعند وصوله (بهروژ) توقف في (رهزيا) حيث كان ثمة من ينتظره ليخبره بان قرية باز محل الاجتماع

¹ الوالي هو ناظم باشا. المصدر السابق. ص: 132-133

المقرر محاطة بالجند، فعاد ادراجه متوجها الى (بالندا) ولم يتم الاجتماع. ان احداً لا يدري هل كان حشد الجند جزء من فخ منصوب للشيخ ام مجرد استعراض قوة لغرض الحماية؟ لكن الشيخ على اية حال أثر الحذر على ضوء تجاربه السابقة.

الفصل الثامن والعشرون

الانتصاف من الاقطاعيين

قلنا فيما سبق ان الاغوات استغلوا اختفاء الشيخ عن الانظار واحتلال قوات الحكومة سائر المنطقة فعادوا ليتحكموا جوراً بمصائر الاهالي تسندهم حراب الجيش. بعد معركة (Serebaz) وفيما كانت الحكومة العثمانية تحاول الاتصال بالشيخ لإصلاح ذات البين اخذت الاشتباكات المحلية بين الاهالي وقوات الشيخ من جهة وبين مراكز قوى الاغوات تنتشر في طول المنطقة وعرضها. كانت هناك ثورة شعبية قيد التكوين جرّاء مالحق بالسكان من ظلم وتعسف على يد الاقطاعيين في المنطقة. فمعظم القرى البارزانية واحلاف بارزان منها كانت تحت سيطرة الاغوات فتقاسموا فيها النفوذ كالسابق، ومن استعاد قبضته (عبد الله آغا الزيباري) الذي أرسل ابن اخيه (نصر الله آغا ابن فتاح آغا) نائباً له في قلعة (سيري). يصف (ويگرام) هذه القلعة قائلاً انها تقع على مرتفع من الارض وهي بناية ساذجة الهندسة الا انها محصنة بالأسوار وكأنها برج مراقبة من الدرجة الثانية⁽¹⁾. على انها كانت في ذلك الحين تقوم بخدمة لاثمن للاغوات في التضييق على اهالي (ولات زيري) اقتصادياً. كان خطر المجاعة ماثلاً للجميع، اضافة الى خطر قيام المذابح وأعمال الشقاوة نتيجة لتراكم النقمة ضد هذا الاغا ورفاقه الاغوات عند كل القبائل المنتمة الى المشيخة، بسبب معاملتهم السيئة اثناء الاحتلال العسكري للمنطقة ودورهم المخزي اثناء الحركات العسكرية. كان (نصر الله آغا) هذا شاباً جاف الطبع حاقداً محدود الفكر، لاسيبل للتفاهم معه ولا يعرف للمرونة والليونة معنى، فضرب حصاراً محكماً على تنقل الأهالي ومنعهم من الذهاب الى عقرة والعمادية وغيرها لشراء الارزاق، الامر الذي

⁽¹⁾ مهد البشرية، ص 135

دفع القوم الى مراجعة الشيخ وطلبهم منه ان يضع حدا لأعمال هذا المتجبر، كان الشيخ آنذاك في (بالندا) ففكر أن يعالج القضية بالروية و الحسنى واستدعى أحد اعوان نصر الله واسمه (ملاشيخ) وطلب منه ان يذهب الى صاحبه ويبلغه بان شيخ بارزان لا يرغب في خصومته مطلقا وكل ما يطلبه منه هو السماح للباحثين عن الاقوات بالمرور وعدم التعرض لهم. وانه لا بد عالم بأزمة الغذاء والمجاعة المتفشية. وأكد له نيته في لقائه للتفاهم. خرج الرسول متوجها الى القلعة وظل الشيخ ينتظر الرد، وفي اليوم التالي عاد (ملا شيخ) ووقف امام الشيخ عبد السلام والجمع الحاشد متهيأ لا ينسبح بحرف، فأبى عليه الشيخ إلا ان ينهى اليه بالجواب علناً. كان الجواب كصاحبه خشناً بذيئاً يتضمن الرفض البات، وإذ ذاك قرر الشيخ تصفية الحساب معه بشكل حاسم وجرد حملة لاحتلال القلعة.

تألفت قوة من المقاتلين ذوي خبرة في ميادين القتال منهم (سعيد ولى بك) الشيروانى و (شريف ملا حسن دلانى) عبرت هذه القوة الزاب الى ضفته الغربية واتجهت نحو قلعة الآغا. كانت ليلة ربيع غزيرة المطر شديدة الريح. كانت القلعة نسبة الى قلاع اغوات كردستان تعد من القلاع المنيعة الصعبة الاقتحام ذات الاسوار المتينة العالية. وكانت أبوابها موصدة وقد أطلق كلب الحراسة خارجها. لقد لعب هذا الحيوان دورا هاما في احتلال القلعة، كان مالكة هو القائد البارزانى الشهير (فقى عبد الرحمن) الذي لقي مصرعه كما بينا في فصل سابق، وقد هام الكلب على وجهه بعد ان فقد سيده، فعثر عليه آغا القلعة، فضمه اليه ودربه على حراسة القلعة ليلا، فكانت صدفة خدمت المهاجمين اذ تعرّف الكلب على معظمهم، فأستقبلهم ولم ينبح او يأت بحركة تنذر من هم في الداخل.

وكانوا يقضون ليلة انس وسمر ويرقصون ويدبكون على أنغام الزرناى تتخلها الضحكات والهتافات، فشرعت الحملة في توسيع الثغرة التي ينفذ منها الماء في قناة تمتد من عين الجبل الى داخل القلعة. بعد ان أحدثوا فتحة كافية لجسم الانسان، تسللوا جميعا الى داخل الصهريج ثم الى القلعة،

وفاجأوا الاغا طالين منه الاستسلام، وعندما رفض ولجأ الى المقاومة، هجم عليه البارزانيون. كانت المعركة قصيرة، لان المقاومة ضعفت بعامل المباغته وبسبب الارتباك الذي اشاعة دخول هؤلاء غير المتوقع، وكانت النتيجة ان قتل نصر الله آغا ولم يمسوا الآخرين بأذى. وتم احتلال القلعة.

نظمت أغان شعبية عديدة في اقتحام القلعة، وهي لا تخلو من عنصر المبالغة، نختار منها القصيدة التالية –

طوق ذوو العمام الحمر قصر (سيري) المنيع.
(ونصر الله) ينادى الخدم والاعوان ان هلموا. قاوموا
لقد صدر من (بارزان) امر بقطع رأسي
قصر (سيري) قصر شامخ
يقع فوق مرتفع.

يطوقه رجال هبطوا من تحت ظلال الغيوم
(نصر الله) ينادي. اعزائي هلموا واصمدوا.
لن نكف عن القتال

الابعد ان تذيق ذويهم طعم العزاء والعويل
(سعيد اولى بك) يخاطب (نسو)⁽¹⁾.

استسلم واطلب الدخالة
فالنجدة البعيدة عنك لن تصلك من عمك في (شوش)
ولن تصلك من (شهرمني) كذلك فهي بعيدة.

واحررتي على قصر (سيري) المنيع
الذي احتله المريدون من جهاته الاربع
هاهم فتیان (كوره شهر) يهتفون بقوة.
الا فلنقاوم الا فلنقاوم
غير ان أصداء (شوش) و (شهرمن) لاتستجيب

⁽¹⁾ نسو هو تصغير لاسم (نصر الله)

وفي زخم القتال لا أحد يدري (أنصر الله) حتى بعد؟
أم هو مثخن بالجراح؟ أم انه لقي مصرعه؟ عجباً لا أحد يدري
قصر (سيري) منيع يتكىء على جبل.
وامامه نهر أزرق اجتازه ذوو العمام الحمراء
ثم دخلوا القصر من خلال قناة الماء الى الداخل.
أو ثقفوا كتاف (نصر الله) واقتادوه.
ثم اردوه قتيلاً برصاصة الـ (ماوزر) والـ (سوزهني)
وقذفوا بجثته الى النهر الازرق
عندها وجه (سعيد ولي بك) خطابه لـ (نصر الله) قائلاً:⁽¹⁾
انذرتك مرارا بان لن تصلك نجدة فهي عنك بعيدة -
لا من (شوش)
ولا من (شهرمن)
ولا من عمك (عبد الله آغا)

ووجد الشيروانيون فرصتهم المواتية للانتصاف من الاغوات عندما عمد هؤلاء الى قتل (حادى) من أنصار شيخ بارزان فألفوا من بينهم قوة قضت على معظم هؤلاء الاغوات رميا بالرصاص في (سهروكانى) مركزهم الرئيس.

وثارت قبيلة المزوري على اغواتها وفتكت بهم، وساد شعور عام بوجوب القيام بتصفية شاملة لجميع الاغوات، فدب الذعر في القلوب واحتمى عدد من اغوات (كانى بوت) بالشيخ في بارزان خوفاً من هجوم المريدین، وفر بعضهم الى المناطق التي يحتلها الجيش طلباً للحماية مثل (آل مصطفى آغا) من الزيبار.

⁽¹⁾ سعيد ولي بك من قادة المريدین الذين احتلوا القلعة.

كل هذه التصفيات كانت اعمالاً عفوية قادها أناس من ذوي الرؤوس الحارّة بدون علم الشيخ أو امر منه، وقد آلمه الوضع كثيراً واجتاحه الغضب من المحرضين والفاعلين وخشى التماهى في الاعمال الانتقامية و سريانها الى الاغوات الصغار الذين لم يكن اعتداؤهم يستحق مثل هذه التصفية الجسدية وهم كذلك ممن يمكن كسبهم، فاستدعى (خوشه في سيلكى) الذي كان قد تزعم حملة تصفية اغوات المزورى، واقبل عليه ينتهره بعبارات قاسية مهينة، ثم اندفع نحوه وانتزع من يده بندقيته ووضعها فوق صخرتين ثم هوى على وسطها بصخرة كبيرة فكسرها نصفين، وهي اهانة عظيمة توجه الى محارب قبلي- فانفجر (خوشه في سيلكى) باكيا لفرط ما ناله من الاذلال والتحقير امام الملاء.

فكان بذلك نهاية عمليات التصفية للأغوات، ولم يجرؤ بعد هذا أحد على ممارسة العنف. هذا وقد اقتحم الأهالى قصور الاغوات في القرى، فاستولوا على ما هو مخزون فيها من الحبوب واقتسموها فيما بينهم.

الفصل التاسع والعشرون

سياسة السلطة الجديدة تجاه المشيخة

المفاوضات

جاء في كتاب (الضحايا الثلاث) «سقطت الوزارة الاتحادية وتولى الحكم رجال حزب (الحرية والائتلاف) وكان ناظم باشا قد عين والياً على بغداد، وذلك قبل ان يستدعى الى تولي وزارة الحرية في استنبول من قبل اركان الحزب المذكور، وكان هو أحد أقطابه. فرأى هذا الوالي الحكيم ان المصلحة تقتضي بوجوب إسدال الستار على كل ما أسند الى البارزاني وما الصق به من تُهم، فأصدر العفو عنه وعن كافة المشردين البارزانيين، بل وذهب (اسعد باشا الدرزي) والي الموصل بالوكالة الى ابعد من هذا، فطلب من الباب العالي منح وسام الى الشيخ عبد السلام»⁽¹⁾.

ويتفق هذا تقريبا مع ما جاء في (إمارة بهدينان)، إذ جاء فيه، يأتي (ناظم باشا) والي بغداد فيصدر العفو عنه (اي الشيخ عبد السلام) ويعوضه الخسائر التي اصابته في حرب (محمد فاضل باشا) ببضعة آلاف من الليرات وتبع امير اللواء (اسعد باشا) قائد الفيلق الثاني عشر ووالي موصل بالوكالة) هذه السياسة نفسها، ويطلب من الباب العالي تلطيفه بوسام تقديرا لصداقته واخلاصه، فيوجه اليه الوسام المجيدي من الصنف الثالث⁽²⁾.

على اية حال فأن نتائج المعارك في (سهري باز) ان لم تكن العامل الاساسي لتغير سياسة المسؤولين وموقفهم من الشيخ فقد كان لها الاثر الاكبر فيها. وبهذا أصبح بإمكان دعاة السلم والتفاهم وعلى رأسهم العقيد (صفوت

⁽¹⁾ عبد المنعم الغلامى، الضحايا الثلاث.

⁽²⁾ صديق الدملوجي، إمارة بهدينان، ص 98.

بك) ان يجهروا برأيهم. وهذا هو الذي كان قد نصح بالحل السلمي والتفاوض بدلا من اللجوء الى العنف.

وكان قد أدلى برأيه هذا قبل الهزيمة العسكرية في (سهرى باز)، ولذلك اناطت الحكومة التركية به مهمة اللقاء بشيخ بارزان والتفاوض معه، فغادر (صفوت بك) الموصل وهو شديد الرغبة في لقاء شيخ بارزان والتوصل الى اتفاق تام.

ووصل الى بارزان وأرسل يطلب اللقاء بالشيخ الذي كان في (بابسيقا) وخيّرهُ بتعيين مكان الاجتماع، ففضل الشيخ ان يكون ذلك في مصيفه (تاتوك) وتوجه اليها بحرس قوى والتقى بـ (صفوت بك) وأجريا محادثات اسفرت عن الاتفاق على المسائل الملحة التالية: -

اولاً- افرج الحكومة عن السجناء الذين اتهموا مع الشيخ في حركته وإطلاق سراح نساء الاسرة البارزانية.

ثانياً- التعويض عن الأضرار التي لحقت بالمنطقة جراء الحروب واعمال السلب والقتل.

ثالثاً- البدء فوراً ببناء المدارس والمستشفيات وايصال الخدمات الاجتماعية الاخرى الى المنطقة.

رابعاً- تسليم المدافع والبنادق وسائر المهمات الاخرى التي غنمها البارزانيون الى السلطة.

خامساً- انسحاب الجيش من المنطقة على ان تبقى حامية رمزية قليلة العدد.

سادساً- بناء مراكز للشرطة ولالإدارة المحلية.

سابعاً- عزل او نقل الموظفين الذين دفعوا بالأموال الى هذا المسار السلبي وتسببوا في الكارثة، وتعيين موظفين نزيهين يحسنون اللغة الكردية.

ثامناً- فرض العقوبات على الاقطاعيين الذين تحالفوا مع الموظفين المرتشين الذين كانوا سبباً في الخراب والمأساة وشوهوا موقف الشيخ وحجب الثقة الرسمية عنهم.

أعلن الاتفاق وعودة السلام الى المنطقة من منبر أكثر الجوامع في أثناء خطب أئمة الجمعة. وكان الممثل التركي يردد قوله لـ(عبدالسلام) - "انني أدرك مدى الاضرار والغبن الذي لحق بكم وقد جئت لإصلاح ذلك" وقال له ايضاً "أرجوا رفع التكليف فلست اظن انكم ستحضرون بهذا العدد القليل من المسلحين". وهو هنا يشير الى تجارب الشيخ السابقة والمحاولات العديدة التي دبرت لاغتياله. ومن هنا أوماً الشيخ إلى أتباعه، فظهروا من مكانهم خلف الصخور، وانحدروا الى مكان الاجتماع. وقد اقترح (صفوت بك) المزيد من المحادثات في قرية بارزان، فوافق الشيخ، في حين امتنع أتباعه من قبول الشيخ الدعوة وساورتهم الشكوك.

ونزل الجمع الى قرية (بارزان) للمشاركة في المأدبة التي اقامها (صفوت بك) على شرف الشيخ.

كانت المنطقة بحاجة الى اعانة اقتصادية سريعة، وكانت بحاجة الى عمل عاجل للتخفيف من الضائقة الناجمة عن الاحتلال ومحو مخلفات الحرب وآثارها.

وفي عام 1910 كان بإمكان كل زائر لبارزان ان يسمع النشيد الوطني التركي الذي يشيد بالحرية والعدالة والمساواة ينشده اطفال المدرسة الجديدة كل صباح⁽¹⁾. فلأول مرة في تاريخ بارزان تؤسس مدرسة رسمية على قطعة ارض للشيخ. لقد حرص الشيخ على القيام بزيارات اسبوعية لهذه المدرسة وتفقد احوال الطلبة والمدرسين. ويروى انه كان مرة في زيارة أحد الصفوف،

⁽¹⁾ تروى هذه الحادثة الطريفة التي وقعت اثناء المباشرة ببناء المدرسة. وكان الشيخ يشارك الحفارين في العمل عند تخطيط اساس البناء ويده الفأس. حين اشار (صفوت بك) الذي كان حاضراً الى الجنود الاتراك بالتحرك هرولة نحو الشيخ (ربما لمساعدته) إلا أن الأمر اثار الريبة لدى مريدي الشيخ، فبادروا الى رمي فؤوسهم ورفع بنادقهم لدرء الخطر الموهوم، فأسرع (صفوت بك) مشيراً الى البوقي لينفخ نغير التقهقر، فأدار الجنود ظهورهم لبنادق رجال الشيخ قبل ان يتحول الهزل الى جد. اما الشيخ فقد واصل عمله كأنه لم يلحظ ما جرى.

فلمح تلميذاً قد خبأ خنجراً تحت حزامه التقليدي العريض، فنهأه عن ذلك ووجه كلامه له ولبقية التلاميذ مؤكداً بأن الانقطاع الى الدرس والتحصيل اهم مما عداه، وان الجميع بانتظار ما سيقدمونه من خدمة بعد ان يصيبوا من العلم حظاً. وبذل الشيخ جهوداً كبيرة في اقناع الآباء بمنافع الدرس والعلم، وكان في اتباعه صدور تقليدي من هذا الشكل من التحصيل العلمى ومن المدارس واجبر أولياء امور التلاميذ على ارسال أولادهم الى المدرسة فلم يسعهم الا الانصياع.

تطلعات الشيخ الوطنية

إن الروح الوطنية التى تحلى بها الشيخ عبد السلام لم تكن سرّاً ابداً، وهو من جانبه لم يحاول اخفاء ذلك قط. فبعد الوقائع والمعارك التى أسلفنا ذكرها بفترة قليلة نجده يصارح (الرحالة ويكرام) عند زيارته (بارزان) فى احدى جولاته فى بادينان. بكل ما يعتلج فى نفسه من احساس تجاه تطلعات الشعب الكردي الى التحرر والاستقلال والأخذ بأسباب الحضارة "... كانت الساعة تقترب الخامسة مساء عندما بلغنا اول بيوت القرية وكان حشد الرجال والحياد المجتمع حول القلعة دليلاً على وصول الشيخ وحاشيته قادما من العمادية.

وسبقتنا أنباء وصولنا واستقبلنا وفد من لدن قداسته ينقلون لنا دعوة او بتعبير آخر امراً منه تحت الظروف الراهنة كيما ننعى بضيافته تلك الليلة فترجلنا عند باب القلعة بين حلقة من الاتباع الغلاظ الشداد. وأستقبلنا الشيخ على رأس درج حجري خشن المرقى محييا مرحبا وقادنا بنفسه الى (كهـپره) كان يستخدمها بمثابة قاعة استقبال مؤقتة ورجانا ان نجلس على المطارح التى بسطت لنا حالا قبالتة.... كان تنازلاً عظيماً من رجل عظيم يخرج للقائنا على رأس الدرج. ان اغلب الشيوخ البارزين يتعمدون ان يكونوا خارج الغرفة عنما يدخل الزوار الاوروبيون كى لا ينهضوا فى

استقبالهم مؤكدين بذلك تقدمهم عليهم. لكن الشيخ البارزاني كان يدخر لنا تكريماً أسمى من هذا بتنازله الى تناول طعامه معنا وهذا ما اصاب اتباعه بتردد واضح. كيف يمكن ان يأكل (قداسته) مع اثنين من الكاور؟ (الكفار).

اما عن الحرص على السلم والاستقرار في المنطقة وروح التسامح الديني التي كثيراً ما أشرنا اليها في السابق فيقول ويگرام ((بعد زيارتنا (للشيخ) بزمن قصير. انفجرت براكين نزاع قبلي طويل الامد بين قبيلة التخوما⁽¹⁾ وبين بعض جيرانهم الكرد المسلمين مؤخراً وبات يندب بشر مستطير، وحاول الطرف المسلم محاولات غير مستحبة لاقناع اخوانه الآخرين في الدين بالانضمام اليه لشن حرب جهاد. ولقد أصبنا براحة عندما علمنا ان شيخ بارزان تدخل لفض النزاع تدخلاً جدياً حازماً بعد ان رفض الموافقة على الجهاد رفضاً قاطعاً ومنع اتباعه ومريديه من التدخل.

أفحم نفسه في القضية لانه غيور على استتاب الامن واشاعة النظام وليصنع معنا جيلاً، إذ انه لم يكن مرتبطاً بأي التزام أدبي مع (التخوما) لاسيما بعد ان رفضوا ايواؤه عندما كان الجيش التركي يتعقبه.⁽²⁾

وفي نطاق حديثه عن قرية آثورية منقطعة في الجبال يقول: "ان (اردليل) وهو اسم القرية - تستحق التهنئة من عدة نواح. فأهلها يقرّون انهم لا يجدون سبباً للشكوى من الناحية السياسية لان صاحبها هو آغا (سوراني) فيكون سيدهم الاعلى والحالة هذه شيخ بارزان الذي عرف بلقب (شيخ النصاري) لانه يعامل النصاري وأتباعه المسلمين على قدم المساواة. وتسامحه هذا جعلهم ينعمون بالامن والحصانة من الاضطهاد والنهب والسلب. وهم (أي النصاري) يقدمون عنه نفس الشهادة التي جاءت بحق (بريان بورو). Brian

⁽¹⁾ هي واحدة من القبائل الأثرورية الأربعة الكبرى.

⁽²⁾ مهد البشرية، ص 135.

Borouangh King of Ireland ملك ايرلندا في الازمنة الغابرة، إذ قيل عنه - انه بإمكانك ان تترك حليه ذهبية في دغل على مقربة من الطريق ضمن املاكه وانت آمن عليها تماماً".⁽¹⁾

ويستطرد ويگرام "أبدى الشيخ استعداداه لمرافقتنا الى (انكلترا) لكي يطلب شخصياً من رئيس اساقفة كانتربري فتح مدارس في قراه"⁽²⁾... ويسره في الوقت نفسه ان يعتبر الانكليز اصدقاء شخصيين له⁽³⁾ ويذكر ويگرام انتقال الشيخ الى الشؤون السياسية ". كانت الشؤون السياسية المحلية للريف الكردي مدار حديثنا معظم الوقت، وكان ينعى فقدان سيادة القانون في كل مكان. وهو في رأيه من سوء حظ المسيحيين والمسلمين واستغرب من عجز بريطانيا وروسيا عن ادخال الاصلاح الى هذه البلاد وتساءل قائلاً - لقد ذهبت- يقصد الإنكليز- الى الهند وبقيتم هناك مع انهم لا يريدونكم؟ لماذا لاتأتون الى هذه البلاد، فأهلها يريدون التعلم منكم... ولما سمع الشيخ اننا عائدون الى انكلترا بعد أشهر قليلة على الاغلب أبدى استعداداه لمرافقتنا ليزور (الملك جورج) ويجلس معه للبحث في قضية (کردستان) والبت في أمر استقلالها. ولم يكن في وسعنا مع الاسف الشديد ان نؤمله بشيء. لكن اقتراحه كان مخلصاً نابعاً من قلبه بلا شائبة.

لقد كان الشيخ مدركاً بان بريطانيا وهى بلا جدال أعظم وأقوى امبراطورية في العالم، كانت تستطيع ان تملئ ارادتها على الدولة العثمانية متى شاءت وكما فعلت في مواطن عدة، فضلاً عن بريطانيا وفرنسا وغيرها من الديمقراطيات الغربية

⁽¹⁾ المصدر نفسه ص 144 .

⁽²⁾ المصدر نفسه ص 137

⁽³⁾ المصدر نفسه ص 129 كان مؤلف كتاب (مهد البشرية) عضواً في البعثة الدينية التي ارسلها (رئيس اساقفة كانتربري) من انكلترا بناء على طلب من بطريرك الكنيسة الشرقية الآثورية المار شمعون للتحقيق في الطقوس والعقائد الكنسية التي تتبعها هذه الكنيسة التي كانت مجهولة عند طائفة الانكليكان (المذهب الرسمي في انكلترا) وهذا هو سر تواجد المؤلف في تلك الاصقاع.

بصرف النظر عن تطلعاتها الاستعمارية وشهوتها الى مناطق النفوذ في بلاد (الرجل المريض) كانتا تعتبران من حماة الاقليات العنصرية والمذهبية المضطهدة في الدولة العثمانية، كما كانت عواصمها ومدنها ملجأ وملاذاً لجميع الاحرار العثمانيين الهارين من جواسيس السلطان وسجونته ومن بينهم الوطنيون الاكراد كما اسلفنا⁽¹⁾. لذلك كان شيخ بارزان يطمع في تدخل إحدى هذه الدول لمصلحة الشعب الكردي وتأييده في كفاحه من اجل الحرية والخلاص من نير الحكم العثماني إلا أن روسيا القيصرية كانت تحتل الدرجة الاولى في تفكيره لقرىها جغرافياً من كردستان في حين تأتي بريطانيا وهي الدولة البحرية البعيدة بالدرجة الثانية.

⁽¹⁾ كانت التهم الاصلية التي وجهها جمال باشا السفاح (والي سوريا ولبنان) لشهداء عالية ومن ثم شنتهم، هو صلتهم بالقنصليتين الانكليزية والفرنسية ومراسلاتهم مع حكومتيهما لمساعدة الوطنيين العرب على الاستقلال والتحرر، وقد اكتشفت الوثائق التي ادينوا بمقتضاها عندما كبست القنصليتان على إثر اعلان تركيا الحرب على الحلفاء في الحرب العالمية الاولى.

الفصل الثلاثون

الغيوم تتجمع

عاد الشيخ عبد السلام الى بارزان وأطلقت السلطة سراح السجناء الذين بقوا على قيد الحياة⁽¹⁾. بما فيهم النسوة والأطفال والأخ الصغير للشيخ (ملا مصطفى) الذين عادوا من سجن الموصل. وتفرغ الشيخ الى مطلب الساعة وهو تنظيم الحياة الاقتصادية للمنطقة. كلف أعوانه بالأشراف على جباية زكاة المحاصيل وفق تعليمات الشريعة الاسلامية، وأزال عن كاهل الفلاحين الاعباء التي كان الاغوات قد كلفوهم بها، فلم يعد ثم سخرة ولا ضرائب. وامتد نفوذه فشمّل منطقة واسعة من بادينان من نهر الخازر الى (دهشتا زى) والنيروه حتى بيروخ الى نهر (موسه كاف) وجميع (بياقة) وعمد وقف واردات التكية على الفقراء وعين (اسماعيل عمر زال) و (زبير چاربوتى) و (سليم گورگه قاي) مشرفين ووكلاء على القرى التي كان أغوات الزبيار يحكمونها من قبل كما عين (نعمان طه بيره كهبرى) في (نزار).

وَنَشَرَ العدل بين الناس، وكان حساساً من هذه الجهة الى ابعاد الحدود، مدركاً عاقبة الظلم، يتبع في تصريفه الامور مبدأ (إذا بلغتني مظلمة ولم أعجل في ازالتها كنت انا الظالم). وأصبح شخصه رمز ردع لكل من تسول له نفسه الاخلال بالأمن أو الاعتداء. ولُقب بأبي الفقراء لتفقدته احوالهم وقضاء حوائجهم. إلا ان الزمن لم يتح له الاستمرار في عملية الاصلاح الجذرية التي بدأها وهي ثورة اجتماعية كاملة الابعاد في بلاد كردستان، فقد

⁽¹⁾ توفي عدد كبير من المعتقلين في السجن بسبب سوء المعاملة والاهمال.

اغتيال (ناظم باشا)¹ ناظر الحرية بمؤامرة دبرها رجال حزب الاتحاد والترقي، وحول هذا الانقلاب، كتب الصحفي التركي (ماركار ئيسيان Markar Esayan): "في حالة تركيا، الدولة العميقة هي الدولة نفسها، فالجزء المرئي من الدولة هو ديمقراطي، لكن الجزء غير المرئي كان دائماً حكماً شمولياً ووحشياً، هذا النموذج تأسس عام 1913 إثر انقلاب قاده حزب الاتحاد والترقي. مصطفى كمال باشا حوّل هذا النموذج، انها دولة تحكم وطنها كمستعمرة، وتستخدم أقصى الأساليب ضد شعبها، هذه هي الدولة العميقة."²

ولم يفقد الشيخ به نصير فحسب، بل ان اغتياله في العام 1913 كان يعنى عودة خصومه الألداء (الاتحاديين) الى الحكم. عادوا واستأنفوا تطبيق سياستهم الاولى باستخدام الارهاب والشدة في ضرب الخصوم ومعالجة الامور ولاسيما قمع اصوات الاقليات المضطهدة. فعزلوا (اسعد باشا الدزرى) صديق الشيخ الحميم عن ولاية الموصل وعينوا بدله (سليمان نظيف بك) أحد اعضاء حزبهم المقربين. "... تمكن الاتحاديون من اسقاط الوزارة الائتلافية وتسلموا مقاليد الحكم للمرة الثانية واسندوا رئاسة الوزارة للفريق محمود شوكت باشا. وكان في الموصل اثناء هذه الحوادث (صفوت بك) القائمقام العسكري وهو من رجال حزب الحرية والائتلاف. فاخترق على إثر ذلك فجأة من المدينة، وبعد مدة قتل محمود شوكت باشا رئيس الوزراء فألصق الاتحاديون هذه الجريمة بخصومهم من حزب الحرية والائتلاف وشاع الخبر بأن القاتل هو (صفوت بك) نفسه وانه قد التجأ الى الشيخ عبد السلام"³.

⁽¹⁾ تم اغتيال ناظم باشا من قبل جمعية الاتحاد والترقي في 23 يناير 1913 خلال الانقلاب العسكري العثماني عام 1913 وانتقاماً له قام أحد أقاربه باغتيال الصدر الأعظم المدعوم من الجمعية، محمود شوكت باشا في 11 يونيو 1913.

⁽²⁾ جريدة الزمان. ماركار ئيسايان، 26.12.2012 باللغة الإنكليزية.

⁽³⁾ الضحايا الثلاث (فصل عبد السلام البارزاني).

لا أحد يدري هل ان يد (صفوت بك) هي التي أطلقت الرصاص على
(رئيس الوزراء) فأردته؟

ولكن مسألة لجوء المتهم بالقتل الى الشيخ عبد السلام هي حقيقة ثابتة.
ففيما كان الراعي (لفروك) يرعى قطيعه في (بهروژ) خارج القرية، انتبه الى
نباح كلابه الفجائي، فدنا من المكان يستطلع، فاذا به وجهاً لوجه أمام
(صفوت بك) الذي كان قد عبر نهر دجلة متخفياً وقطع هذه المسافة الطويلة
سيراً على قدميه حتى انتهى الى منطقة الشيخ. زجر الراعي كلابه فكفت عن
النباح وكشف (صفوت بك) شخصيته للراعي وحذره من إذاعة النبأ وأمره
ان يتوجه الى الشيخ عبد السلام ويخبره بوجوده. فأسرع الراعي الى بارزان
بعد ان اوقد للطريد الهارب ناراً يستدفئ عليها. وما ان وصل النبأ الشيخ
حتى بادر الى استقدامه وأخلت له غرفة وتقرر ان يكتنم سرّه حتى عن اهل
قرية بارزان نفسها. وظل (صفوت بك) في دار الشيخ يلقي كل تقدير
ورعاية، وكان الشيخ يديم اللقاء به خلال فترة الاشهر الثلاثة التي أقامها
هناك، فيحادثه في قضايا الساعة ومشاكل الحكم في تركيا. ويستفهم منه عن
التيارات السياسية المتصارعة ومستقبل علاقات بارزان بالحكومة الجديدة
وموقف الائتلافيين في الميدان السياسي حالياً الخ... وقد استخلص الشيخ
من تلك الأحاديث ان الاتحاديين لن يدعوه في راحة وانهم سيخلقون ما
أمكنهم من المتاعب، إذ كانوا قد وضعوه في قائمة اعدائهم من المبدأ. وقد
تحقق ذلك بأسرع مما توقع.

كانت القوات الروسية مرابطة في شمال إيران، وكان العداء التقليدي بين
الدولتين يضاعف من مخاوف الاتراك على الحدود، لاسيما بعد ان وقفت
الدولة العثمانية على المحاولات التي تبذلها روسيا القيصرية للتقرب من
شعوب الشرق الاوسط الداخلة ضمن الامبراطورية العثمانية. كان الشيخ
بدوره يدرك هدف الحكومة العثمانية من إثارة النعرة الدينية في نفوس
الشعوب الاسلامية الخاضعة لها بوصفه أضمن وسيلة لقطع الطريق على

روسيا وبريطانيا الى تلك الشعوب. فالدين عند الاتراك كما يقول (ويگرام) يعنى حكم الترك لا غير.

في الواقع وكما بينا آنفا كان المجتمع الكردي يشهد مخاضاً سياسياً واضحاً قبيل الحرب العالمية الاولى، وكان يتطلع بأنظاره الى الخارج للمساعدة في كفاحه للتخلص من نير الحكم العثماني. فمثلاً، هرب أحد زعماء الكرد الوطنيين وهو (الشيخ عبد القادر النهري) من استنبول الى مدينة نوغوروسيك في روسيا عندما شعر بنية السلطة في القبض عليه⁽¹⁾. وكان الشيخ عبد السلام قد أوصاه عندما تم لقاء بينهما ان يعمل على تنمية العلاقات مع الروس لاعتقاده بحسن نواياهم⁽²⁾. وقد علمت السلطات التركية بأمر هذا التوجيه. أجل، كان الشيخ يرغب فعلاً في الاستعانة بإحدى الدولتين، ولم تكن رغبته هذه بالخفية عن السلطة. على ان الشيخ لم يتجاوز حدود تلك الرغبة حتى ذلك الوقت، أعني لم يتصل لا بروسيا ولا ببريطانيا. كما اهتم فيما بعد من قبل السلطات العثمانية.

في اوائل العام 1913 طَلَبَ الى الموصل الجديد سليمان نظيف من الشيخ عبد السلام تسليم العقيد صفوت بك (كان هذا الوالي وهو أحد اقطاب الاتحاديين من اشد المتعصبين للطورانية مع انه كردي قح). فقد اكتشفت استخبارات حزب الاتحاد والترقي مخبأه ولم يعد وجوده عند الشيخ سرّاً، ورفعاً للحرج ومحافظة على حياة اللاجئ، رتب ان يغادر صفوت بك بارزان ويقيم عند السيد طه النهري، فتركها بحراسة كافية، وفي لحظات الوداع الاخيرة تواعد الصديقان على اللقاء عندما تنجلي الامور، وكان آخر ماقاله هذا الرجل الشهم للشيخ - لا تعتمد على حسن نية المسؤولين الاتراك فهم مجردون عن الضمير ولا أمان يرجى منهم ولا يفهمون الاخلاص والخدمة ولا يقدرونها. اذهب الى الروس واعقد اتفاقاً مع السيد طه النهري وعبد الرزاق بك.... هذه المرة لن تنجو منهم وسيعدمونك الحياة ان ظفروا بك،

⁽¹⁾ هو عم السيد طه النهري وأحد اقطاب حركة التحرر الكردية.

⁽²⁾ مجلة (شمس كردستان) مقالة العائلة البارزانية بقلم ف. نيكيتين، ص 31.

الفصل الثلاثون: الغيوم تتجمع

فدافع عن نفسك حتى الرمح الاخير وان اعجزك ذلك فاهرب الى روسيا، ثم افترقا.

كانت رسالة (سليمان نظيف) للشيخ بمثابة انذار بتجريد حملة عليه في حالة عدم تسليمه (صفوت بك) فقد وصف ايواء له بأنه إيواء عدو لدود للدولة وقاتل رئيس وزرائها، كما اتهم الشيخ بالاتصال بدولة أجنبية وطلبه المساعدة العسكرية منها لمحاربة الدولة العثمانية. ان سليمان نظيف كان ينقم على الشيخ بصورة خاصة لعلاقته الحميمة بحزب الحرية والائتلاف.

عند هذا اغتنم اعداء الشيخ فرصتهم، فزادوا من تحريض الوالي ضده، واشتد الوالي في ضغطه على الشيخ بتسليم (صفوت بك)، على ان الشيخ لم يكتف بإنكار وجود المطلوب عنده، وانما رفض القدوم الى الموصل، فكان هذا إيذاناً بتجريد الحملة العسكرية الثانية ضد بارزان.

وفي الوثيقة رقم 8 التي نشرها الباحث المعروف (عبدالرقيب يوسف) موجهة من والي وان (تحسين بك) بتاريخ 25 شباط 1329 (1913) تتعلق بانتفاضة شيخ بارزان الثالثة، يستشف ان الأوامر صدرت من وزارة الحربية بتوجه طابورين للهجوم ضد شيخ بارزان وان تتحرك القوات من الفرقة العسكرية لولاية (وان) لإسناد قوات الجيش من الموصل. والطابورين مؤلفين من 2000 جندي مع المدفعية والرشاشات.

وأبلغ والي (وان) وزارة الداخلية ان خزينة الولاية لا تملك أكثر من 30000 ألف قرش، وارسال هذه القوة يتطلب ليس أقل من 50000 ألف قرش، وهو لا يستطيع تأمين هذا المبلغ قبل حلول شهر نيسان، لذا طلب تأخير موعد ارسال هذه القوة.

وحاول الوالي اقناع وزارة الداخلية بالتريث، لأن شيخ بارزان سوف لن يفلت هذه المرة، وان حاول الفرار سواء من (شمدينان، هكاري او كهقهرى) فان قوات الحدود تمنعه من الفرار.....

لكن وزارة الداخلية ردّت عليه بعد مضي ستة أيام، أن تأخير الموعد غير ممكن وأنه يجب التحرك.¹

أصدقاء الشيخ وقت المحنة

حاول الشيخ سبر غور اصدقائه وانصاره ليتأكد من مدى اخلاصهم وتعاونهم وقت الشدة. ونذكر نموذجاً واحداً لما تلقى من ردود مخيبة للآمال. فقد أرسل (شريف ملا حسن) أحد اعوانه الى (قادر عثمان آغا) يطلب منه العون، الا ان هذا الآغا الذي سبق ان علم بموقف الحكومة من الشيخ. أسرع بمغادرة القرية الى الموصل قبل وصول الرسول كيلا يواجهه ويقع في احراج، ومما يذكر ان عثمان آغا والد (قادر) هذا كان مديناً بحياته للشيخ، فقد حاصرت قوات الهركى حصاراً شديداً في عهد (الشيخ محمد البارزاني) وكادت تظفر به وتورده حتفه عندما لبي الشيخ محمد استنجاده، فأرسل لإنقاذه قائده (فقي عبد الرحمن) الذي أسرع اليه مغامراً بحياته وحياء رفاقه فأنقذه من موت محقق⁽²⁾.

من هذا وغيره من المحاولات الفاشلة أدرك الشيخ الحقيقة المرة. فوضع كل ثقته وآماله على انصاره ومريديه وحدهم.

⁽¹⁾ الوثيقة رقم (8) نشرها الباحث والمؤرخ المعروف (عبد الرقيب يوسف) مع الترجمة الكردية.

⁽²⁾ فاجأتهم عاصفة ثلجية عنيفة جداً فصلوا سبيلهم وتاهوا بسبب كثافة الثلوج المتساقطة وأشرفوا على الهلاك انجمادا، فاتفقوا ان يطلقوا جميعاً نيران بنادقهم دفعة واحدة وتلك شارة الخطر المالحق ايام تساقط الثلوج في عرف شعب كردستان مما ادى الى ان يسرع اهل قرية قريبة برجالها لنجدتهم. وقد واصلوا سيرهم حتى وصلوا وأرغموا (بيروت آغا) الهركي على رفع الحصار عن (عثمان آغا).

الفصل الحادي والثلاثون

تجدد القتال

استنفر سليمان نظيف القبائل الكردية من المرتزقة السورجيين والزيباريين والطوران ثم أشرك معهم فيما بعد قبائل بشدر وبالك من انحاء رواندوز وعشائر النبروه والريكان والدوسكي من انحاء العمادية، فكان على الشيخ ان يواجه ثلاثة ارتال اولها محور العمادية باتجاه بارزان، وثانيها انطلاقاً من قاعدته عقره باتجاه جبل بيرس، وثالثها وقاعدته رواندوز منطلقاً الى ميّركه سور.

كانت الخطة العسكرية تهدف الى جرّ معظم قوات الشيخ وتركيزها في ميّركه سور لإضعاف الدفاع عن جبهة بيرس لتسهيل واجب القوات الزاحفة من عقرة. كما ان محور العمادية - بارزان كان سيشاغل قوات الشيخ فيسمرها ولا يدعها تتحرك لمعونة القوات البارزانية الاخرى، ولما تأكدت الأنباء بان الجيش التركي والمرتزقة قد يتحركون نحو ميّركه سور وان الوحدات النظامية طوت خيامها وتهيأت للتقدم، دفع الشيخ نحو هذا الخط بنخبة من رجاله يقودهم مقاتلون مجربون عرف من بينهم (مصطفى هولييري)⁽¹⁾.

تقرر الهجوم على المعسكر والتركيز على مواقع المدفعية، وفعلاً بوغت بهجوم صاعق ولم تصمد القوات الحكومية ولاذت بالفرار، واستولى البارزانيون على مدافعها وفيما كان (مصطفى هولييري) يحاول نقل أحد المدافع اصابته رصاصة فخّر صريع فوق فوهته. وقامت قوة بارزانية اخرى بقطع طريق الانسحاب على الجيش والمرتزقة، فانكشفوا للعدو وجوبها بنار حامية فلاقى عدد منهم

⁽¹⁾ هولييري هو الاسم الكردي لمدينة اربيل وبذلك يقرأ الاسم (مصطفى الاربيلي) وكان جندياً هارباً التحق بالشيخ وأخلص له واطهر شجاعة وحنكة بحيث تولى دور القائد.

مصرعه واستعداد الجنود والمرترقة ثقتهم وثبتوا عندما وجدوا طريق الانسحاب مقفلة في وجوههم وتمكنوا من افشال عملية التطويق، ثم تحولوا الى الهجوم وازاحوا قوات بارزان عن مواقعها واعادوا سيطرتهم على المعسكر بعد ان وصلتهم نجدات كبيرة. فاضطرت قوات الشيخ للارتداد الى الخلف قليلاً واحتدمت المعركة. وهنا وصلت رسالة عاجلة من الشيخ يأمر فيها هذه القوات بالعودة الى خط بيرس - بارزان لان طلائع الجيش والمرترقة قد هاجمته بأعداد غفيرة، فانسحبت معظم القوة من ميرگه سور بعد ان اوقعت بالجيش التركي خسائر جسمية، وكانت على قاب قوس او أدنى من النصر.

معركة بلي

شهد محور بيرس - بارزان اوسع تجمع للقوى مما لا يمكن مقارنته بالقوات التي تواجهه من البارزانيين.

ان سعة الرقعة التي كانت تتحرك فيها هذه القوات جعلت الدفاع عن جبل بيرس متعذراً، فأخلي الجبل وانحدرت القوات المهاجمة من سفحه نزولاً الى بيره كه بره. فاصبحت (بله) مركز خط الدفاع الثاني لقوات بارزان، فالنهر هنا وفي هذا الشهر (آذار) من السنة 1914 كان بمياهه الغزيرة السريعة بشكل حاجزاً طبيعياً.

وسحبت المدافع الى ضفته الغربية وبدأت تقصف ما وراء ضفته الاخرى. وكانت أرضاً مستوية ليس فيها عارض طبيعي يذكر ولا تصلح للدفاع نهراً. وقد جرى القتال ليلاً بعد ان عبرت القوات الحكومية النهر فوق عبات اقامها النجارون الذين جيء بهم من الموصل خصيصاً فوق مجرى النهر على طول ستة كيلومترات، وساندت المدفعية حركة العبور وحماية الجنود واستخدمت ثلاثة عبات متحركة لنقل المدفعية.

دخلت القوات الحكومية (بله ژيړى) بعد ان اقتحمها المرتزقة تحت حماية المدفعية والنيران الكثيفة.

اما قوات الشيخ التي اتخذت مواقع مستورة في الضواحي فقد انتظرت حلول الظلام ثم هاجمت مواقع المرتزقة ودحرتهم وطردتهم من المواقع التي احتلوها، وفي تلك الاثناء وبينما كان البارزانيون يستعيدون المواقع واحداً إثر الآخر نادى بينهم مناد بأن بعض المرتزقة قد اختبأوا في زريبة من ميدان الاشتباك، فبادر فريق منهم الى اشعال النار فيها فتصاعد لهب عظيم أرشد اليهم العدو وكشف له موقعهم، فامطروا البارزانيين بوابل من النيران من كل صوب وسقط (حسين بارزاني) صريعاً، فجرّ والده جثته الى حقل قمح مجاور وعاد فوراً ليشارك في القتال ويُقتل هو الآخر. وقتل أيضاً كل من (علي) و (أمين) ابن وحفيد القائد البطل (فقى عبد الرحمن) وبلغ عدد الضحايا تسعة وهو يساوي عدد القتلى الذين سقطوا في جبهة ميّرگه سور.

قلنا، تدفقت القوات الحكومية الى الضفة الشرقية من الزاب تحت جنح الظلام وبحماية نيران المدفعية. ولم يكن للبارزانيين طاقة لمواجهة هذه القوات المتفوقة بغير حساب، وأيقنوا بعدم جدوى المقاومة رغم انهم اوقعوا بالمرتزقة خسائر كبيرة وجرح عدد من اغوات الزيبار، وقد جرف النهر جثثاً عديدة بحيث تعذر انتشالها.

ان روح التضحية والحماسة في القتال اللتان تحلى بهما البارزانيون في بداية المعركة رجالاً ونساء وتصميمهم على القتال حتى النفس الاخير، الهمت (ملا محمود البارزاني) الشيخ الهرم والمقاتل الشجاع قصيدة من الشعر مازال البارزانيون يتغنون بها. قال مخاطباً زوجته (زهري).

الفصل الحادي والثلاثون: تجدد القتال

Zere zere zere
Tu bivre ez bixencere
Eskere li Birakepra bikeyne dere

زهرى... زهرى... زهرى... زهرى
تو ببقرى آز بخه نجه رى
عه سكه رى لبيراكه برا بكهينه ده رى
وترجمتها:

زرى... زرى... زرى
انت بالفأس وأنا بالخنجر
هيا لنطرد العساكره من بيراكه برا

لم تجد هذه الاستماتة فتياً. فقد وصلت المدافعين أوامر الشيخ التي تقضى بإخلاء القرية، فانسحبوا منها وهم آسفون، إذ كانوا ينوون القتال حتى الرمق الأخير.

وهرب أهل القرى رجالاً وشيوخ ونساء إلى متاهات جبل شیرين وتراجعت قوات بارزان، وزحف ألوف من الجنود والمرزقة نحو بارزان، فدخلوها وأشعلوا النار في بيوتها وأحاطوها خراباً وبياباً لكنهم لم يمسوا المسجد الأثري.

بقيت القوات المواجهة لمحور العمادية – بارزان، صامدة في مكانها تحتل مواقع دفاعية منيعة وعلى رأسها (قادر سیری) الذي وصله نبأ يفيد بأن الشيخ قد غادر (بهروژ) وأن بارزان قد وقعت في قبضة القوات الحكومية، كما جاءه نبأ آخر يفيد بأن الشيخ قد ترك الوطن وينوي عبور الحدود إلى إيران، فلم ير جدوى من مواصلة الدفاع خصوصاً وأن الجيش التركي

والمرتزقة كانوا قد وصلوا الى (پراجهلکی) عندئذ لم يكن منه إلا وأمر بالانسحاب، ولم يكن لديه غير منفذ واحد وهو عبور النهر للتخلص من حلقة الحصار التي احكمت حوله. وانتهاز حلول الليل وباشر في العبور على ضوء القمر، إلا إنه فوجئ بنار كثيفة من مواقع العدو القريبة جدا شارك فيها فضلاً عن الجيش والمرتزقة اولئك الذين كانوا اصدقاء (قادر سیری) بالأمس يتمسحون بأذياله ويلتمسون رضاه. وسقط عشرة من رجاله صرعى بينهم (احمد شيخيل) و (حسو) من اقرباء (قادر) كما جرح (عبدالله) شقيق قادر واصيب قادر نفسه. وواصل الآخرون عبور النهر ثم تفرقوا. وكاد التيار يجرف الجريح (عبد الله) لولا ان سحبه (ابراهيم قادر) في آخر لحظة. وسحب الجرحى الخائروا القوى أنفسهم متوارين في احراش الدغل الجبلي، وعثر أحد الرعاة على (قادر سیری) وأخيه (عبد الله) فاعلم (الشيخ نوري هلوري) الذي أرسل بغلين مع عدد من رجاله فحملوهما الى قريته (هلورا) سراً، وقام الشيخ بنفسه بالعناية بالجرحين. ورأى ان يرسل عبد الله الى قرية (تاتکی) الشيروانية ليلقى المزيد من العناية الطبية على يد ممارسيها القرويين، لكنه توفي متأثراً بجراحه ودفن هناك.

وبقي (قادر سیری) في رعاية (الشيخ نوري) اياماً.

في صباح اليوم الذي تلا انسحاب قوة (قادر) وعبورها النهر، عبرت القوات الحكومية الى الضفة الاخرى وعثرت على القتلى فقطعت اذانهم. واحتز راس القتيل (ابراهيم سه قريهیی) وأرسل الى قيادة القوات التركية. أما مصير (قادر سیری) فقد كان معلقاً بشعرة، إلا أنه نجا باعجوبة فقد علم (قادر عثمان آغا) الذي مرّ ذكره آنفاً بوجوده في (هلورا) فأراد ان يحسن في عين السلطة بتقديمه رأس (قادر سیری) فجهز قوة احاطت بالقرية، لكن الشيخ نوري هلوري حمل (قادر) على ارتداء زيّ النساء فلم يعثر عليه قادر عثمان آغا وباءت محاولته بالفشل.

الفصل الحادي والثلاثون: تجدد القتال

بعد هذا تطوع (فارس آغا الزيباري) بحماية قادر سيرى وهياً له من
اوصله اليه سالماً هو وابنه ابراهيم ومكثا في قريته حتى شفى قادر تماماً،
فخيره بالبقاء او الرحيل، فأثر الالتحاق بالشيخ عبد السلام في إيران، وتم
له ذلك.

الفصل الثاني والثلاثون

النزوح الى إيران

عدل الشيخ (عبد السلام) عن المقاومة حتى النفس الاخير- في آخر لحظة، وأمر بالجلء الفوري عن المنطقة والاتجاه الى الحدود الايرانية. وفي اوائل نيسان بدأ بالنزوح وخرج (الشيخ) من بارزان متوجهاً الى قرية (بيي) ومنها الى (زرارا) حيث اقيم معبر فوق النهر لتسهيل عبور النازحين من النساء والشيوخ والاطفال. أما القوات التي كانت مرابطة امام القوات الحكومية فقد انسحبت وفق أوامر الشيخ الى سفوح جبل شيرين. لقد رافق عملية النزوح هذه مواقف أليمة يذكرها ابناء النازحين الباقين على قيد الحياة والقلائل الذين شاركوا فيها، وقد بلغوا من الكبر عتياً - مازالوا يذكرون حوادثها ووقائعها بألم⁽¹⁾ وحسرة، وفي اليوم الثاني الذي عقب صدور الامر للقوات البارزانية بالانسحاب، وصلت قرية (بيي) وقد أنهكها القتال والجوع والسهر. وكانت الماشية السائبة مبعثرة في كل مكان لا تجد من يرعاها او يدعي بملكيتها فالجميع كانوا في عجلة من امرهم خوف ان يدركهم المرتزقة ويوقعوا بهم، وقد باغتهم تعديل القرار المفاجئ الذي اتخذه الشيخ البارزاني والغائه قراره السابق بالاستماته في الدفاع عن النفس حتى النهاية.

لا شك انه أشفق على الارواح الكثيرة التي ستفقددها بلاده دون نتيجة بسبب تطبيق قراره الاول. على ان انصاره لم يكونوا قد استعدادوا لهذه الحالة الطارئة ولم يتأهبوا للقيام برحلة شاقة طويلة كالتزود بالأقوات وحمل

⁽¹⁾ روى لنا أحد رجال سعيد ولي بك الباقين على قيد الحياة انه اثناء ماكانوا يجتازون أحد شعاب الجبل وجدوا امرأة بين النازحين تحمل رضيعاً. تقف بين حين وآخر تلتفت الى الوراء وتتفحص اوجه رجال القوات العائدة من جبهة القتال. كانت تنتظر زوجها وولدها اللذين هما من ضمن تلك القوة. ولما لم تعثر عليهما ايقنت بموتهما فأجهشت بالبكاء.

مايمكن حمله من المتاع واخفاء ما يتيسر اخفائه عن المحتلين. لذلك فقد غادروا منازلهم والتحقوا بالرتل المتوجه نحو الحدود وليس عليهم غير ثيابهم وما تستطيع الأيدي حمله. ولم يكن معهم من الزاد ما يكفيهم ليومهم الواحد. لذلك حفلت المسيرة المتوجهة الى إيران بكل مظاهر البؤس والشقاء التي تكتنف مسيرات المدنيين الهاربين من جحيم الحرب وويلاتها.

وعمد الشيخ الى تنظيم الحماية للرتل النازح فوضع في المؤخرة (سعيد ولى بك) مع رجاله ووضع في المقدمة خاليه (فاخر) و (نوري) مع مقاتلين، وأبقى العزل من النساء والاطفال وكبار السن في الوسط.

ومع ان الجوع كان ينهش بطونهم، فأوامر الشيخ واجبة الطاعة وهي تهدد بالعقاب كل من يعبث بالمزروعات المنتشرة على جانبي خط السير، وقد وضع حراساً على الجانبين للقضاء على فكرة ترادوهم بافتحامها. ولم يكن امامهم بعد هذا إلا ان يملؤوا بطونهم بالحشائش والنباتات الجبلية ولاسيما ساق نبات (الراوند) الذي يكثر نموه في الجبال في هذا الوقت من السنة.

بلغ الرتل مشارف قرية (بابكي) وحانت من الشيخ التفاتة فرأى بين النازحين شابين يافعين من اهالى قرية (راس العين) القريبة من عقرة وكان يعرفهما فناداهما وامرهما بالعودة الى ابيهما العاجز للعناية به، فأجابا انهما يفضلان الموت معه، وواصلوا المسير⁽¹⁾.

بعد ان خلف الرتل قرية (بابكي) صادفهم أحد اصدقاء الشيخ فعمد الى ذبح عدد من اغنامه وهياً لهم طعاما. وعلم (صالح مراد خان البرادوستي) بمحض الصدفة بوجود الرتل قريباً منه فأسرع وحشد قوة قوامها مائة مسلح وهجم أحد جوانب الرتل وتمكن من عزل تسعة من رجال (فق

⁽¹⁾ هذان الاخوان هما طاهر وزبير من قرية (راس العين) اولهما توفي في 1971 والثاني مازال حياً يرزق (حتى كتابة هذه الاسطر 1974) ومنهما استقيننا معظم المعلومات والتفاصيل التي يجدها القارئ في هذا الفصل. وذكر لي (زبير) وكان جاراً لي في (ريزان) أن والده أمرهما بمرافقة شيخ بارزان أياً كانت المصاعب وهو يأسف لعدم تمكنه من مرافقتها لكونه عجوز طاعن في السن.

بابكر) وتطويقهم، إلا ان (سعيد ولي بك) و (خوشه قى سيلكى) أسرعا الى نجدتهم فهرب (صالح مراد خان) وفاتته فرصة تقديم الدليل على ولائه للدولة العثمانية.

ونزل الرتل في قرية (گيزاقلی) وحواليها. وفي أحد منازلها وجد اوائل الداخلين رجلاً مستلقيا على فراش تبينوا فيه شخص (عبد الله عقراوي) الذي امر الشيخ بعقابه، لانه أقدم على ذبح ثور يعود لعجوز من أهل القرية. وعلى إثر تركهم هذه القرية ثم (لولان) بعدها صادفهم برد شديد في منطقة (الگادر) لاعهد لهم به من قبل في مثل هذا الفصل من السنة، واضطروا الى الزحف فوق أرض تكسوها طبقة من الجليد مجتازين (بن زيرته) الى (سنگان). ومكثوا فيها حوالي خمسة ايام وبعدها توجهوا الى (اشنويه) ثم الى (مهرگه قهر)⁽¹⁾ وسط عاصفة ثلجية ومطر شديد.

كان (السيد طه النهري) في تبريز، غائبا عن قريته عند وصول طوابير اللاجئين، فناب عنه في استقبالهم وكيله (مى هرکی) فزود افراده المرهقين بالطعام والكساء ورتب امر استقرارهم في منطقة (مهرگه قهر) واسكن اسرة الشيخ في (راژاني) قرية السيد طه. وكان شهر نيسان من عام 1914 قد أشرف على الختام عندما استقر النازحون في ديار الغربية.

طلبت الحكومة التركية في شهر مايو 1914 من طهران القبض على شيخ بارزان وتسليمه للسلطات العثمانية دون تأخير،² إضافة الى الاعاز للجواسيس والشخصيات المرتبطة بها على متابعة جميع تحركات شيخ بارزان

⁽¹⁾ عندما همّ بعضهم بإيقاد النار في منزل مضيفه عجوز فقيرة الحال للتدفئة مستخدمين القليل من الاحطاب التي جمعتها في أيام الصيف، نهاهم الشيخ وزجرهم. لصعوبة التعويض عنه في ذلك الفصل من السنة.

⁽²⁾ من الارشيف العثماني 6 جماد الثاني 1332 و تاريخ آخر في نهاية الرسالة موجهة الى الباب العالي ووزارة الداخلية والأمن العامة موقعة في 19 جماد الثاني 1330. بارزان و زيارله بهلگه کانی عوسمانيدا 1840-1923. بلاوکراوه ي زانکوي جيهان. ص : 236.

وأُتباعه والاعلان عن جائزة مالية كبيرة للقبض عليه. وفي ذات الوقت عززت السلطات التركية وجودها العسكري في بارزان نفسها وانشاء خطوط التلغراف وبناء معبر على نهر الزاب لتسهيل وصول الامدادات العسكرية من لواء الموصل الى المنطقة الثائرة وأيضاً تحويل بارزان إدارياً الى مركز قضاء. كان والي واني وتحسين بك و والي الموصل الحاقدا سليمان نظيف يعملان دون كلل في تعقيب شيخ بارزان والايغاز الى عملائهم والمرتقة الكرد اغتياله أو القبض عليه في المناطق الحدودية، وسرت شائعات تناقلتها البرقيات الى وزارة الداخلية مرسله من الموصل أو واني مفادها أن شيخ بارزان مختفى في القنصلية الروسية أو في منزل آغا بطرس في أوروميه، أو أنه عاد الى مناطق بارزان أو توفي... الخ.

يرى سليمان نظيف الى وزارة الداخلية تلغراف مؤرخ في 27.4.1914: "المراقبة تحركات شيخ بارزان اجتازت القبائل الحدود الإيرانية رغم منعهم..... واني حاجي آغا أحد رؤساء الهركية مصحوباً بـ خمسة الى عشرة أشخاص دخلوا إيران والشيخ لا يزال طليقاً..."¹

ويقول سليمان نظيف والي الموصل في برقية مؤرخة في نيسان 1914 موجهة الى وزارة الداخلية مفادها، نتيجة توافد البرقيات واحدة اثر أخرى الى أذربيجان أن المسؤولين الإيرانيين يعملون لإبعاد الشيخ الخارج عن القانون عن أراضيهم واني السلطات التركية ستتخذ الإجراءات المناسبة في حال لم تتخذ الحكومة الإيرانية أية اجراءات.²

لاشك ان والي الموصل بذل الكثير من الجهد في تعقب خطى شيخ بارزان وللأسف كان العملاء في المناطق الحدودية من الكرد كثيرين، ففي برقية الى وزارة الداخلية مؤرخة في 20 ايار 1914 أن شيخ بارزان لا يزال في

¹ المصدر السابق ص: 273

² المصدر السابق ص: 276

الأراضي الإيرانية وسينشأ موقع مراقبة على الحدود وان النتيجة ستكون جيدة.¹

وفي برقية أخرى الى وزارة الداخلية مؤرخه في 7 حزيران 1914: "شيخ بارزان لم يدخل الأراضي العثمانية وبكل تأكيد لا يزال في الأراضي الإيرانية، وقد وعدنا شيخ صالح أفندي اليوم مع رجاله أنه يراقب تحركات الشيخ وان مرّ بالأراضي العثمانية فان تصفيته مؤكدة"²

شنت السلطنة العثمانية هجوماً مفاجئاً على ساحل البحر الأسود ضد روسيا القيصرية في 29 أكتوبر 1914، وردت روسيا في 5 نوفمبر 1914 بإعلان الحرب. أي كان شيخ بارزان في هذا لأثناء في إيران وعلى صلة بالممثل الروسى في أورواميه وبأغا بطرس وآخرين. وكانت تركيا متخوفة من روابط الشيخ مع السلطات الروسية وقد دخلت الحرب معها.

ويقول أرشيف عثمانى مؤرخ في 31 أغسطس 1914 أن شيخ بارزان عاد من راژان الى خوى قرب الحدود ولا يمكن في هذا الظرف الهام والحساس ان نغفل عنه.³ وثم أرشيف آخر مؤرخ في نفس اليوم موجه الى وزارة الداخلية يقول: أرسل الروس شيخ بارزان الى أطراف ديلمان هدفه جمع المؤيدين والانصار للقيام بعمل ما، هذه المعلومات وصلتنا من ممثلينا (شاهبندر أو القنصل) في خوى،⁴

ويعترف أرشيف آخر من الوالى سليمان نظيف مؤرخة في 1 أيلول 1914 بعودة بعض البارزانيين الى بارزان وحصول مجاهبات مسلحة معهم، ولذا ومع عدد من القبائل الموالية اتجهت قوات من الشرطة لتأديبهم وابعادهم.⁵

¹ المصدر السابق ص: 278

² المصدر السابق ص: 279 ويحمل الأرشيف رقم : 00429.00053

³ المصدر السابق ص: 282

⁴ المصدر السابق ص: 283

⁵ المصدر السابق ص: 284

وفي برقية عاجلة مؤرخة في 20 أيلول 1914 وموجه الى وزارة الداخلية ونسخة منها الى وزارة الحربية تقول: "بتضحية كبيرة القى القبض على شيخ بارزان مع خمسة من مرافقيه وقتل اثنان.¹ ثم يمضى الأرشييف في سرد أكاذيب ومبالغات لا أساس لها من الصحة عن تدخل روسي وحصول معارك كبيرة.

كان القبض على شيخ بارزان نتيجة مباشرة لخيانة رئيس لفرع من عشيرة شكاك الكردية واسمه صوفي عبدالله طمعاً بالمال لاغير ولم يكن الشيخ قد أساء اليهم أو يعرفهم، كما سيرى القارئ، وهنا تحضرنى كلمة مؤثرة لقائد ثورة أراارات احسان نوري باشا حينما كان شريدا في كردستان ايران ويريد العبور الى راوندوز، يقول:

مايلفت النظر بصدد هذه الخيانة من بني جلدته قول مأثور للقائد العسكري لثورة اراارات (احسان نوري باشا) اذ يقول وهو مشرد في جبال كردستان العراق: "كنت دائم الخوف من أن أقتل على يد أبناء قومي وأنا بعد لم أحقق أي مكسب لشعبي." ² وهذا ما حصل لشيخ بارزان في أخطر لحظة تاريخية.

ومن خيرة الضباط الكورد الذين تمردوا على الجيش التركي مع احسان نوري، هو الضابط (راسم بك) وآخرون، ويشير احسان الى جريمة قتل قدرة بحق هذا الضابط الكردي قام بها أكراد من عشيرة الشكاك ونزعوا خورشيد بك ههرتوشي من سلاحه وهم ضيوف في كردستان إيران.³

للأسف تاريخ الشعب الكردي فيه – ربما أكثر من غيره من الشعوب – من الخيانات والعمالة للأجنبي ليس فقط من قبل الجهلاء بل من قبل بعض

¹ المصدر السابق ص: 285

² "Mon destin de Kurde . Ihsan Nouri Pasha. "Editions Orient-Réalités
2019. page : 132 "

³ Ibid. page: 147

الفصل الثاني والثلاثون: النزوح الى إيران

المثقفين وممن اعتبروا أنفسهم ثوريين ورفعوا راية الحقوق القومية واحتكروا تمثيل الوطنية كذباً.

الفصل الثالث والثلاثون

الشيخ في ميدان السياسة الدولية

منذ ان فقد الشعب الكردي كيانه الاستقلالي وقسمت بلاده بين الدولتين الكبيرين في الشرق الاوسط بين السلطنة العثمانية والمملكة الشاهنشاهية الايرانية، لم يوجد خط حدود واضح المعالم بين الدولتين في كردستان ولم تفلح أي منهما في أي وقت من الاوقات في ضبط تلك الحدود امام الافراد او المجموعات القبائلية الكردية والسيطرة على انتقالها من أراضي تلك الدولة الى هذه وبالعكس. وقد كان لهذا (مع انه جزء من مأساة هذا الشعب) أثره الايجابي في محافظة الشعب الكردي على خصائصه القومية وعلاقاته القبلية رغم خضوعه لدولتين. لقد ضاعت كل المحاولات التي بذلها رجال حكم الدولتين - منذ احتلال السلطان مراد الرابع العراق بما فيه منطقة بادينان والجزء الغربي من سوران الكرديتين - في الوصول الى اتفاق على تلك الحدود منذ محاولة العام⁽¹⁾ 1639 حتى المحاولة الاخيرة التي تمخضت بلجنة تخطيط الحدود الرباعية (الايرانية - التركية - البريطانية - الروسية) التي باشرت اعمالها وفق برتوكول موقع من قبل الدولتين، الا ان الحرب العالمية الاولى فاجأتها ولم تكمل إلا قليلا من الجزء الجنوبي للحدود.

لهذا كان لفظ (الحدود) بالنسبة الى القبائل الكردية مصطلحاً ان لم يكن غير مفهوم فهو بالتأكيد غير معترف به في ذلك الحين، وعلى هذا الاساس اختار الشيخ النزوح الى إيران والعيش بين ابناء جلدته دون ان يخشى تعقيب

⁽¹⁾ في الواقع كانت معاهدة 1639 (عقدت في ايار) المعروفة بمعاهدة (زهاب. زهاو) التي صدقها كل من الشاه صفي بهادر والسلطان مراد الرابع بمثابة معاهدة صلح لأنها اقتصرت على بيان المدن والمناطق دون التحديد، وقد تلت ذلك معاهدة العام 1727 و1732 و1736 و1746 ثم معاهدة ارضروم الاولى 1823 ومعاهدة ارضروم الثانية 1847 وبروتوكول الاستانة 1913 وبروتوكول تهران 1912، دون نتيجة طبعاً.

القوات التركية التي لا تجرء على اقتحام تلك الحدود وتعقبة مهما كانت تلك الحدود مائعة او موهومة. فضلاً عن هذا فان انتقال الشيخ عبد السلام الى إيران يعنى اقترابه من الروس. فقد انتهزت القوات الروسية في القفقاس ضعف حكومة ايران وبسطوا نفوذهم على شمال اراضي⁽¹⁾ البلاد وبضمنها تبريز منذ آذار 1914. لقد كان الشيخ ينوي الاتصال بهم والافادة من الوضع الدولي لإقناعهم بمساعدته عسكرياً ومعنوياً فيما انتواه.

في آب 1907 وقعت روسيا وبريطانيا معاهدة حلف دفاعي هجومي، وبذلك انتهت بريطانيا خلافاً السياسي القديم مع روسيا القيصرية حول الموقف الذي ستتخذه الدولتان ازاء الامبراطورية العثمانية (الرجل المريض). فقد كانت سياسة بريطانيا الخارجية قبلاً تقضى بالحد من اطماع روسيا في الامبراطورية⁽²⁾ العثمانية وايقاف اية محاولة لاقتطاع روسيا أجزاء منها، إلا ان ظهور المانيا دولة عسكرية معظمة من الطراز الاول ودخولها ميدان السباق الاستعماري والنفوذ الكبير الذي اخذت تتمتع به هذه الدولة في اوساط الحكم العثماني ولاسيما في ايام الاتحاديين ذلك النفوذ الذي تكلل بفوزها لإحدى شركائها بامتياز مد خطوط سكك الحديد في تركيا وزيارة الامبراطور فلهم الثاني لفلسطين و دمشق، واعجاب اقطاب الاتحاديين وزعمائهم العسكريين بالعسكرية الالمانية ومحاولتهم السير في ركاب تلك العسكرية والاقتداء بها. ثم تزعم روسيا لحركة التحرر السلافية في البلقان التي ادت الى خروج جميع شعوب البلقان من يد العثمانيين. واحتلال ايطاليا لطرابلس وبنغازي في ليبيا ثم

⁽¹⁾ قام شجاع الدولة بمحاصرة (تبريز) تعقياً للوطنيين الايرانيين، فاتخذ الروس من ذلك ذريعة وقصفوا مزار الامام الرضا في المدينة وحكموا قبضتهم على الاقليم كله وظلوا يحتلونه الى ما بعد الحرب العامة الاولى.

⁽²⁾ كان النزاع بين الدولتين بالدرجة الاولى على مناطق النفوذ ولذلك تدخلت بريطانيا وفرنسا مثلاً لصالح العثمانيين في حرب القرم 1854 - 1856 وارسلتا حملة عسكرية احتلتا مع الجيش العثماني مرتفعات شبه جزيرة القرم على البحر الاسود. وقد كان من الطبيعي ان تتحد وجهة نظر الدولتين بعد ظهور المانيا على مسرح السياسة العالمية منافساً لايمكن التقليل من شأنه.

السيطرة على كل البلاد، كل ذلك ادى الى التكهّن الصحيح بان الإمبراطورية العثمانية اخذت تدنو بقدّم ثابتة نحو ساعة الاحتضار.

هذا ما حمل الشيخ عبد السلام على التفكير بضرورة الاتصال العاجل بالروس. كان العالم على شفا الحرب الكبرى ومصير تركيا وامبراطوريتها لم يعد خافيا عند المطلعين على دقائق الامور مهما كانت نتيجة تلك الحرب. لقد تحرك الارمن والعرب واخذوا يطرقون أبواب الدول الكبرى يعرضون قضايا شعوبهم ويبحثون في مصائرها ويطلبون المساعدة منها، ولم يكن ثم بد من ان تبرز بين الكرد شخصية وطنية معروفة لتبسط قضية هذا الشعب ومستقبله على مسرح السياسة العالمية. لم يكن ثمة شخص أفضل من الشيخ عبد السلام للشروع بهذا السبيل في ذلك الوقت بالذات، فإلى جانب مركزه الديني والولاء العميق الذي يكنه اتباعه له والاحترام الذي يتمتع به من سكان المنطقة كان الزعيم الكردي الوحيد الذي تحدى السلطة العثمانية في القرن العشرين وخاض ضدها المعارك، فهو خير من يمثل الشعب الكردي في تقديم قضية هذا الشعب الى محكمة الضمير العالمي. وربما كان هذا من أسباب عدوله عن قرار المقاومة حتى النفس الاخير. وكخطوة أولى ارتأى اللقاء بزعماء الكرد الوطنيين ولاسيما أولئك الذين قد يكون في وسعهم تسهيل مهمة الاتصال بأوسع عدد ممكن من الزعماء، وأفضى بذلك لـ (سمائل آغا شكاك) المعروف بلقبه (سمكو). وتم الاتصال بعد فترة بالمسؤولون الروس فطلبوا حضوره الى جورجيا في العاصمة (تفليس) مقرّ الغراندوق نائب القيصر وقائد جيوش الجنوب. فتوجه اليها بصورة سرّية قاطعاً مسافات طويلة، ويبدو الشيخ في صورته التي التقطها مع الممثل الروسي نحيفاً، اذ لم يشعر اتباعه الا وهو ليس بينهم. لقد غاب الشيخ زهاء اربعين يوماً ثم عاد.

لا يُعرف بالضبط مضمون المباحثات التي اجراها الشيخ مع الروس، والحجج التي قدمها إذ لم يرافقه أحد من اتباعه ولم يفض هو نفسه لأحد بما دار بينه وبين المسؤولين الروس. ولم يعرف من هم أولئك الذين رافقوه من غير

أتباعه الى هناك، ولا مع من أجرى المباحثات. كل هذه ستبقى سرّاً خفياً ربما لا يقوى التاريخ على كشفه بأية حال الا ان (ف. نكيتين) يذكر ما يأتي بصدد تلك المباحثات "نصحت السلطات الروسية الشيخ بأن من الافضل له ان يحتفي لانه ليس من صالحهم (أي صالح الروس) معاداة الاترك في هذا الظرف. وهذا من مقتضيات السياسة. وان عليه ان ينتظر شهرين أو ثلاثة. فاذا تحسنت العلاقة مع الاترك فانهم سيتوسطون للعفو عنه. أما إذا ساءت فانهم سيزودونه بالقوات والسلاح ويعيدونه الى بارزان. ولم يعجب⁽¹⁾ الشيخ هذا الموقف ولا هذه النصيحة إلا انه لم يظهر احساسه".

وصل الشيخ عبد السلام الى تفليس في شهر آب 1914 على الأرجح، وعاد في شهر ايلول التالي، وكان شيخ بارزان قبل وصوله قد أرسل من ينبيء اعوانه بعودته وكان الجميع يترقبون تلك العودة تحذوهم الآمال الجسام، وذلك قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.²

كانت السلطات العثمانية جادة في تجنيد المرتزقة من كرد الشكاك لتعقب تحركات شيخ بارزان. في تلك الاثناء أعلن والي (وان) جودت بك عن جائزة نقدية كبيرة لمن يأتيه بالشيخ عبد السلام حياً أو ميتاً.

⁽¹⁾ من مقال (العائلة البارزانية) المنشور في مجلس شمس كردستان، ترجمة الدكتور كاوس قفطان. (نقول ان هذا الموقف الروسي البارد من الكرد يشبه الى حد ما موقفهم اثناء الحرب العالمية الاولى من بطريك الآثوريين (مار شمعون بنيامين) عندما طلب منه العون العسكري فقد قرر كما يذكر (ويگرام) ان يقوم بمحاولة اخيرة لنيل المعونة منهم، الا ان الخيبة كانت في انتظاره فقد اوضح قواد الروس محليون تعذر ايصال أي معونة ولم يقدموا للبطريك شيئاً خلا النصيحة البائسة المذلة وهي ان من الخير له البقاء عندهم آمناً مادام أفلح في النجاة).

⁽²⁾ ذكر لي والدي: "أنهم سمعوا بعودة الشيخ بعد غياب طويل وكنت طفلاً، فذهبنا جميعاً لاستقباله، متلهفين لرؤيته، وشاهدناه يقترب منا على صهوة جواده ومعه عدد من أتباعه، وعندما شاهدني، أمر البارزاني الذي يرافقتني أن يحملني اليه فوضعتني أمامه على صهوة جواده الى أن وصلنا موقع سكنانا المؤقت."

كان من أولى الأعمال التي قام بها الشيخ بعد عودته ان كتب رسالتين في غاية الأهمية الى أعوانه الذين أرسلهم الى بارزان قبل سفره الى تفليس حملها على عجل خمسة من السعاة الى (هوستان)، كانت الرسالة الاولى موجه الى (قادر سيري) والثانية الى (خوشوى سيلكى) ويروى لنا بعض الذين كانوا موجودين اثناء تسليم الرسالتين ان (فق بابكر) خرج من لدن الشيخ والرسالتان في يده حيث السعاة الخمسة ينتظرون الأوامر، وقال لهم وهو يدفع اليهم بهما "يأمر الشيخ ان تسلموا هاتين الرسالتين الى كل من خوشوى وقادر يدأ بيد واحرصوا عليهما من الضياع او الوقوع في يد احد حرصكم على حياتكم".

بعد بضعة ايام من الراحة غادر الشيخ قريته قاصداً اسماعيل آغا (سمكو) وبقي لديه فترة من الزمن يتبادلان الرأي حول خطط المستقبل، وأعقب ذلك زيارات عديدة لكثير من زعماء الكرد في المنطقة وذوي النفوذ فيها، واننا لنفهم من سعة تلك الاتصالات ان الشيخ كان قد استقر رأيه بعد عودته من (تفليس) ان ينتهج سبيلاً يشبه الى حد ما السبيل التي سلكها بعد عودته الى بابسيقا وقاتاله الجيش التركي في (سهري باز). لقد تعدت اتصالاته اسماعيل آغا الى (سليمان خان) رئيس عشائر الزرزا وممثلي السيد طه النهري وآخرين غير هؤلاء، الامر الذي اشعر من حوله بأنه يعد العدة للعودة وشن انتفاضة واسعة على القوات التركية المربطة في بارزان وحواليها بعد ان لاحت في الافق بوادر العاصفة الكبرى التي اجتاحت اوروبا والشرق الادنى⁽¹⁾.

⁽¹⁾ من المفيد ان نشيت هنا رأياً للأستاذ جرجيس فتح الله كتبه لنا بعد مطالعته هذا الفصل (في الواقع ان ما ذكره الملحق الروسى المعروف فاسيل نكيتين عن مفاوضات الشيخ والمسؤولين الروس وجوابهم له وان لم يستند الكاتب الى مصدر رسمي انما يستقيم مع منطق الاحداث والموقف السياسي الدولي في ذلك الحين، صحيح ان روسيا القيصرية كانت قبل سبع سنين قد عقدت حلفاً بريطانياً من مقتضاه تنسيق سياسة الدولتين في انحاء عدة من الكرة الارضية ولا سيما سياستيهما في الشرقين الادنى والوسط (أعنى الدولة العثمانية) فضلاً عن التنسيق الثلاثي (الروسي، البريطاني، الفرنسي) - المعاهدة الروسية - الفرنسية لعام 1904). إلا ان الاتجاه السياسى الداخلى في روسيا كان ابعد من ان يتحول عن المانيا فجأة او بصورة سريعة، فالقيصر الضعيف كان يقف بين أنصار الحلف من الوزراء ورجال الحكم وفي مقدمتهم وزير الخارجية

الفصل الثالث والثلاثون: الشيخ في ميدان السياسة الدولية

(ايسغولسكي) وبين فريق قوي من اعضاء الحكومة ورجال البلاط وبعض قادة الجيش الروسي الذين هم من اصل بروسي تترعهم القيصر الالمانية. الاصل الواقعة تحت التأثير الروحي للراهب الدجال (راسبوتين) فضلا عن ميلها الطبيعي لبنى قومها. كان القيصر مصدر كل السلطات يقف حائرا متذبذبا بين هذين الفريقين)). ويتطرق الكاتب والمؤرخ البريطاني (كيث فيلينيك K. Feilinig) في كتابه (تاريخ انكلترا- ط 1966- ص 1049) الى هذا النقطة بالذات بقوله ((حقا اننا كنا بعيدين جدا عن حلف متين (حلف 1907) مع روسيا حيث الوزراء الاقوياء ورجال البلاط المتنفذون يميلون للقيصر الضعيف تجاه المانيا. برهن هذا، سياسة اللف والدوران التي اتبعها وزير الخارجية الروسي يقصد (ايسكولسكى) 1906-1910 بين هذين النفوذين)). ان هذا الصراع بين أنصار المانيا وأنصار الحلفاء من رجال الحكم في روسيا، او بكلمة اخرى هذا التذبذب كان يزداد حدة في الواقع بدنو العقرب من ساعة الحرب وينعكس على السياسة الخارجية بشكل عجز عن اتخاذ قرارات مصيرية. ونجم عن ذلك ان رجال السلطة في موسكو او في الاقاليم البعيدة منها ما كانوا يستطيعون البت في موقف واضح من الدولة العثمانية التي كان الاتحاديون يدفعون بها بإصرار وعناد الى احضان المانيا. ولذلك ارى ان الشيخ عبد السلام قد تلقى أفضل جواب يمكن ان يتلقاه مثله في تلك الظروف الغامضة الفلقة ان كان ما أثبتته فاسيل نكيتين قد وقع فعلا.

الفصل الرابع والثلاثون

خاتمة المطاف

كانت المخابرات التركية التي دأبت على ترصد حركات الشيخ قد علمت برحلته الى (تفليس) ومقابلته بعض المسؤولين. فالمنطقة التي استقر فيها مع انصاره كانت قريبة جداً من الحدود التركية وكان يسهل استقاء الانباء ببذل المال والوعود لذوي النفوس الرخيصة. كما تابعت الاتصالات المتتالية التي اخذ الشيخ يقوم بها بعد عودته من (تفليس) مباشرة وأطمعت الجائزة المرصدة من قبل والى (وان) المدعو (درويش صوفى عبد الله) أحد صغار رؤوساء الشكاك الذين يسكنون تركيا، فكمن له في طريق عودته من زيارته لـ (سمكو).

تشاء المقادير ان يحصل التباس بسيط هو الذي ختم على مصير الشيخ، إذ عندما فرغ من زيارته أرسل الى اتباعه يطلب ان يأتوا له بفرسه واستقباله في الطريق. إلا ان الرجال الاثنى عشر الذين خرجوا لاستقباله بأمره (سعيد ولي بك) و (ابراهيم قادر سبرى) سلكوا طريقاً آخر، غير الطريق الذي عاد منه الشيخ فلم يلتقوا به. وكان الشيخ قد اعتذر عن قبول اقتراح (سمكو شكاك) بأن يرفق معه مسلحين من رجاله. ان طرح الشيخ جانب الحذر ومخاطرته بالمسير بمحاذاة الحدود وفي ارض قريبة جداً من اعداءه الذين دأبوا على وضع الخطط لقنصه، وعرضوا جوائز مالية للقبض عليه وليس معه الا ستة من المسلحين لأمر يستوجب الحيرة والتسائل. كان (صوفى عبدالله) كما قلنا ينتظر مرور الشيخ وهو في مكمنه مع قوة من رجاله، وما ان لمح حتى ترجل هو واعوانه وتوجهوا اليه مظهرين كل تجلة واحترام وقالوا انهم جاؤا لاستقباله حاملين اليه رجاء اهالي القرية بتشريفها حتى تحل بركته فيها، فأعتذر الشيخ بضيق وقته فألح (صوفى عبدالله) وحلف الجميع بالإيمان المغلظة انهم سيشعلون النار ببيوتهم ان لم يلبّ الشيخ رجاءهم وغالوا وأشدتوا

في اللجاجة، فنزل الشيخ عند رغبتهم مكرهاً وبلغ مشارف القرية بصحبة مرافقيه (على مح وعزيز گوهار ونوري خاله وصالح عقراوي وعزيز واحمد حاجي امين عقراوي⁽¹⁾). فلم يشعروا الا وقت احاط بهم مسلحون جدد احاطة السوار بالمعصم، فألتفت الشيخ وخاطب رفاقه قائلاً:

اتشعرون بالخوف؟

فأجابوا:

بنادقنا محشوة.

وسار الشيخ نحو القرية التي تقع داخل الحدود التركية يحف به الموكب الشاكي السلاح ودخل منزل (صوفي عبد الله) وحده. وما ان غاب عن انظار البقية حتى بادر رجال (صوفي) الى الطلب من اتباع الشيخ بإلقاء سلاحهم وافهمهم (صوفي) بأنهم اسراه. فأبى الرجال الستة وأسرعوا يتفرقون فرادى مستترين بزوايا منازل القرية لاتخاذ مواقع لهم، فانهاled الرصاص عليهم من اسطح الدور وقتل اثنان منهم (احمد حاجي امين) و (عزيز گوهار). وعند سماع الشيخ لعلعة الرصاص خرج فعثر بجثتي رفيقيه فصاح مستنكراً (هذا ليس من شيم الرجال). واذاك تقدم منه (صوفي عبد الله) مصوباً فوهة بندقيته الى صدره هاتفاً به (انت أسيرنا) ثم استدار ونادى الاربعة الباقين يطلب منهم القاء سلاحهم والا لقوا نفس مصير الاثنين الآخرين، فألقوا سلاحهم واستسلموا. أدرك شيخ بارزان انه وقع في الفخ.

سيق الشيخ ورفاقه ومعهم (محمد آغا هيئشه تي) في اليوم التالي الى أقرب مركز عسكري تركي ووجد نفسه في اليوم الثاني يمرّ بين صفين من الجنود الاتراك الى خيمة القائد، كانوا شبه عراة، فقد نزع رجال (صوفي عبد الله) ثيابهم الخارجية عنهم ولم يبقوا عليهم الا ما يستر عوراتهم. حاول الشيخ

⁽¹⁾ كان صوفي عبد الله بإعداده هذا الكمين والسيطرة على الطريق وتوزيع قواته على هذه الشاكلة ينوي القبض على الشيخ حياً. فاذا وجد مقاومة فأنه كان مصمم على الفتك به وتسليم جثته للسلطة التركية طمعاً بالجائزة.

اقناع القائد التركي بالسماح لاحد اتباعه هو (على مح) بالعودة لنقل الاسر البارزانية من (مهرگه قهر) فأستجاب لطلبه. واخذ الشيخ ورفاقه الى مركز ولاية (وان) ومنها نقلوا الى (ديار بكر) ثم جاءت بهم قوة تركية الى الموصل. في تلك الفترة العصبية من حياة الشيخ كان كل تفكيره منشغلاً بمصير قومه في ديار الغربية. فقد قدر ان الروس قد يفسرون الكمين الذي وقع فيه بانه مواطأة بين الشيخ والعثمانيين، يقصد به تغطية تحوله الى الولاء العثماني وخشى ان يصبوا جام غضبهم على الاسر البارزانية التي كانت حين ذاك ضمن المنطقة التي يسيطر عليها الروس. فما حصل كان يصعب تصديقه بسهولة. ولقد كان تقدير الشيخ صحيحاً فقد ضل سعيد ولي بك و ابراهيم قادر سيري وصحبهما الطريق والتقت بهم دورية روسية فألقت القبض عليهم جميعاً واددعوا سجن (اورميه) إلا ان صديقهم (آغا بطرس)⁽¹⁾ توسط لهم عند القنصل الروسي الذي اذهلته مفاجأة القبض على الشيخ عبدالسلام، فبادر الى اطلاق سراحهم بعد ان اخذ منهم سلاحهم وخناجرهم، ونصحهم آغا بطرس بعدم إضاعة الوقت في التسكع وأن يرحلوا فوراً، فمن الصعب إفهام الروس بحقيقة ما جرى.

⁽¹⁾ يصعب علينا ان نعرف القارئ تعريفاً كاملاً بشخصية (آغا بطرس) في بضعة أسطر. هاجر من (حكاري) وهو فتى الى كولومبيا البريطانية في امريكا الجنوبية وعمل بمختلف الاعمال ثم تورط في حادث قتل فهرب الى اوربا وجمع اموالا من تبرعات الاوروبيين لأيتام حروب البلقان وزار (بابا) روما وحظي منه (لا أحد يدري كيف) بلقب شرف ووسام ثم عاد الى تركيا واشترى لنفسه منصب نائب قنصل تركي في اورميه. وعندما انسحب الاثوريون من حكاري بقيادة المار شمعون بنيامين تتعقبهم قوات علي احسان باشا التركية والقت الحصار على اورميه، برزت مواهب آغا بطرس العسكرية في دفاعه عن المدينة. وفي عام 1917 بعد ان أخفق البريطانيون في ارسال المساعدة للمحاصرين قاد آغا بطرس الانسحاب الفاجع جنوباً الى بعقوبة في 1920 اقنع سلطات الاحتلال البريطانية في العراق بتجهيز حملة من الاثوريين لاستعادة اوطانهم في حكاري كان هو قائدها الاعلى فمنيت بأخفاق قبل بلوغ الهدف وعاد الى بغداد يخلق المتاعب للسلطة حتى ضاقت به ذرعاً وأخرجته من البلاد فعاش في سوريا، ثم انتقل الى فرنسا وتوفي فيها. واحفاده وبعض أولاده ما زالوا هناك.

تجدد الاشتباكات في بارزان

كانت رسالتا الشيخ لقائديه تتضمنان امراً بتعبئة قواتهما وشن هجوم على قوات الحكومة العثمانية المربطة في بارزان واخراجهم منها، ثم توسيع نطاق العمليات لتشمل المنطقة بأسرها، وبهذا يتوصل الى اقناع الروس بجدوى مساعدتهم له. وقد نفذ هذان القائدان أمره وهاجما بارزان واحتلوا من دون مقاومة تذكر لصغر الحامية العسكرية التركية فيها. هؤلاء القادة لم يكونوا على علم بما آل الي مصير شيخ بارزان، ففتانوا في القتال على أمل حصول تغيرات إيجابية على الوضع العام وربما عودة الشيخ الى بارزان مجدداً. وبرز من أفراد المهاجمين (سليمان وسمان آغا وملاي ملا محمود وحاجي دوري وعيسى سيلكي وميرالي كوركي وككشار ميرگه سوري) وكان مجموع القوة لا يزيد عن مائة مسلح. وتم احتلال بارزان حسب المخطط.

عادت السلطة فاستنفرت العشائر الموالية مجدداً وسأقت قواتها النظامية فندفعت الى بارزان وطوقتها من جميع جهاتها، إلا ان المدافعين ردوا القوات الحكومية على اعقابها مراراً ملحقين بالمهاجمين الخسائر تلو الخسائر.

كان الوقت خريفاً والبساتين الكثنة في أسفل منازل القرية مازالت محتفظة بأوراقها وكان الطرفان يستخدمان ظلالها للتخفي وتوجيه نيرانهم أحدهما الى الآخر كلما حانت فرصة. ولجأ البارزانيون الى حفر الخنادق في بعض المواضع المكشوفة وأحدثوا انفاقاً بينهما ليسهل انتقلهم خلالها باتجاهات مختلفة. وظل القتال على هذه الشاكلة أياماً. ولم يكن المدافعون يشكون إلا من فقدان عنصر (الملح) في طعامهم⁽¹⁾.

ارغمت السلطات العثمانية بقية القبائل التي لم تنزح مع الشيخ إلى إيران من المزوري وبهروزي وشيرواني على المشاركة في الحملة. وثبت المدافعون اعتقاداً منهم بأن المساعدة الروسية لا شك قادمة بمساعي الشيخ. وكان التراشق بالنيران مستمراً دون انقطاع ليل نهار مصحوباً بالتراشق بالشتائم

⁽¹⁾ مادة الملح مما لا يستغنى عنه في طعام الكرد.

وعبارات السخرية والاستهزاء. المرتزقة يندرون البارزانيين بدنو ساعتهم ولات حين مناص والبارزانيون يتحدون هؤلاء بالخوف من التقدم منهم⁽¹⁾.

ورغم ان المهاجمين لم يكتموا عن البارزانيين نبأ القبض على شيخهم ونصحهم بالاستسلام والمعاملة الطيبة، إلا ان البارزانيين لم يلتفتوا إليهم ولم يصدقوا خبر القبض على الشيخ وعدّوه من جملة اكاذيب اعدائهم للنيل من معنوياتهم. وظهر البارزانيون الواناً من البطولة لا يمكن اغفال طائفة منها فقد كان (ملاى ملا محمود نائب شيخ بارزان ومن أقرب المقربين له) مصاباً بحمي شديدة وهو في خندقه وكان الى جانبه قريبه (ملا وسمان) فأمره ان يحشو له بندقيته ويراقب له مكمّن أحد المرتزقة في الهضبة الشرقية (كهترينك) ويشغله، كان يزعجهم بشتائمهم وسخريته. فنهض (ملاى ملا محمود) له ولم يكن ليجتاج الى أكثر من لحظة اخرج فيها المرتزق رأسه من مكمّنه فأطلق عليه رصاصة أردته قتيلاً لساعته رغم بعد المسافة. ولم يجرؤ اصحابه على سحب جثته حتى حل الظلام.

تجاوز الحصار اسبوعه الثالث دون ان تتمكن القوات الحكومية والمرتزقة من اقتحام القرية. وكان بطل الميدان بحق البارزاني (محمد هوكى) الذي أصبح مضرب المثل في الشجاعة والاستبسال والمفاداة.

واستنجدت أمرية الحملة بالمدفعية، فجيء بها من الموصل في شهر كانونى الثاني ونصبت على مرتفع وسط هتافات المرتزقة والجنود الترك. وما لبث ان

⁽¹⁾ من بين المرتزقة- كان ثم سورجي سليط اللسان لم يكف لسانه عن كيل الشتائم وهو متوار بين شبكة من السواقي بين البساتين فيرد عليه أحد البارزانيين قائلاً ((لو أغلقت فمك وتفضلت بالخروج من الساقية لأمكننا التفاهم بسهولة دون شك)) فيجيبه السورجي متهماً ((لقد جئت من بجيل عدوا قطع هذه المسافة الطويلة من اجلك. اما ترى كم انا تعب؟ اليس من الواجب عليك ان تكمل الخطوات الباقية لاستقبالي؟ فى تلك الاثناء استطاع أحد رفاق البارزاني الذي كان طرفاً فى المحاوره ان يقف على مكمّن السورجي فيصرعه برصاصة ويبقى آخر جملة من فمه غير كاملة.

أخذت تصب حممها تباعاً على مواقع البارزانيين الا انهم ظلوا ثابتين في خنادقهم.

تَدَخَّلَ أولئك الذين كانوا من أنصار الشيخ وأرغموا على قتال اخوانهم بعد ان أدركوا مصير هؤلاء اشفاقاً فاتصلوا سرّاً بهم وصارحوهم بصحة نبأ القبض على الشيخ وبوضعهم الميؤوس منه واتفقوا معهم على ان يسهلوا لهم عملية الافلات من الطوق. فاندفع البارزانيون من خنادقهم بهجمة صادقة وأفلتوا من الحصار وتفرقوا في طول المنطقة وعرضها. وتلك كانت آخر معارك بارزان في العهد العثماني.

حكمت الحكومة التركية قبضتها على بارزان واعتقلت مائة واربعين بارزانياً واقتادتهم الى سجون الموصل، حيث توفي عدد كبير منهم ومن بينهم خال الشيخ. واستمر التعقيب بحق البقية فقتل كثير من اتباع الشيخ وعاد الاغوات مجدداً لشفاء غليلهم من المنطقة برمتها.

الفصل الخامس والثلاثون

محاكمة الشيخ عبد السلام واعدامه الحياة

غادر النازحون من إيران بعد القبض على شيخ بارزان نحو ديارهم، إنهم لم يرجعوا الى قراهم خوفاً من التعقيب وتفرقوا في عدد من القرى وانشعبت اسرة الشيخ من النساء والاطفال فسكن قسم منهم في قرية (نيرى) وبقي قسم آخر في قرى (اوليا) و (كرانة) و (بيرسياث) و (زيت). واختفى اخ الشيخ (احمد) مع اخيه الآخر (محمد صديق) خشية من السلطات، كما التجأ معلم الشيخ (ملا أحمد) الى الجبال لان السلطة كانت جادة في أثره. وقد أرسلت (آساء) والدة الشيخ وهي في مخبئها رسولا للتحقق من مصير ابنها في الموصل، وكان إذ ذاك قد وضع في الثكنة العسكرية تمهيدا لمحاكمته أمام المجلس العرفي العسكري. جيء به مخفورا وتحت حراسة مشددة من (وان)¹، ولما علم سليمان نظيف بموعد وصوله "ركب عربته واتجه نحو الطريق حتى وصل الى الموضع القريب من مرقد (الشيخ قضيب البان) (في ضواحي الموصل) فأوقف عربته وجلس على حافة الطريق. وبعد برهة جيء بعبد السلام وكان قد اركب بغلة والجند يحيطون به من كل جانب، فنهض سليمان نظيف وتوقفت القافلة ثم اقبل على عبد السلام وسأله:

- أنت عبد السلام البارزاني؟

أجابه الشيخ:

- انا هو.

قال سليمان نظيف:

- لماذا عصيت الأوامر ولم تجيء الى الموصل واخترت المجيء على هذه الشاكلة؟

¹ تذكر أرشيفات الحكومة العثمانية انه بعد القبض على شيخ بارزان اقتادوه الى وان وتقرر محاكمته هناك لكن عودل القرار وحوكم الشيخ في الموصل.

ثم ركب عربته وقفل راجعاً واقتيد عبد السلام الى محبسه.
وقد استطاع (لشروك) رسول والد الشيخ ان يواجهه في السجن. وأعطاه الشيخ
منديله لإيصاله الى والدته كما أعلمه بأنه سيقدم للمحاكمة بعد مدة وأوصاه ان يعود
ليحضر وقائع المحاكمة ويتلقى النتيجة.

يقول صاحب كتاب (إمارة بادينان) عن سليمان نظيف هذا الوالي الذي
ترغماً اجراءاته الشاذة اللاقانونية بحق الشيخ عبدالسلام وبارزان السابقة
منها واللاحقة - على الاستنتاج بانه لم يكن يعد الشيخ ثائراً على دولة
متفسخة مهترئة فحسب، وإنما عدواً شخصياً له تجراً عصيان أوامره ورفع
السلح ضده وهو الحاكم المطلق الذي لا يرد له أمر. يقول الدمولوجي عنه
(هو ابن سعيد باشا الديار بكري وأمه يزيدية من عشيرة (الخالتيه) واذن
هو كردى اباً واماً. تخرج في المدرسة الملكية الشاهانية باستنبول واندمج في
صنف الادباء. كان على كرديته متشيعاً للطورانية ومن أكبر الدعاة اليها...
وكان عنصراً فعالاً في جمعية الاتحاد والترقي، اول ماعرفته في مجيئه الى
الموصل (1895) كاتب سر للفريق عبد الله باشا الذي جاء بمهمة
الاصلاحات في كردستان واشغل زمناً ولاية الموصل بالوكالة. كان يسير
على سياسة مقاومة العناصر غير التركية ومنها الكردية وكان من اول
اجراءاته ان قبض على سعيد بك ابن عبد الله باشا الرواندى المع شخصية
عرفت في الاكراد وسجنه. وتعقب (الشيخ عبد السلام البارزاني) بقوة من
الجيش ونفي عام من العشائر المعادية له ونكل به وخرب زاويته، ثم قبض
عليه بواسطة العشائر وحاكمه وأعدمه. كان سليمان نظيف بهذا يريد ان
يكون له ذكر تتناقله الألسن ويتردد صدهاء في الآذان، فكان ذكراً مستهجنًا
ممجوجاً، دلّ على روح متمردة طاغية فيه).

تشاء الصدف ان يكون مؤلف كتاب (إمارة بادينان)⁽¹⁾ معتقلاً في نفس السجن ورفيقاً للشيخ في زنزانتة. وقد اغنى والحق يقال كتابنا هذا بتسجيله وقائع اللحظات القليلة الأخيرة التي عاشها الشيخ عبد السلام في هذه الدنيا، قال "...جاؤا في المساء (الاول من كانون الاول 1914 الموافق ليوم 15 محرم 1323 هـ)² بالشيخ عبد السلام البارزاني الينا في السجن وأنا أعرفه جيداً وسبق ان اجتمعت به مرة. وقد نقل الى السجن الملكي بعد ان انتهت محاكمته في مجلس الديوان العرفي العسكري. سألته ماذا أتم من أمره؟ أجابني: انتهى كل شيء وسيرقون دمي. وكان الالم بادياً على وجهه. قلت له: هون عليك ياشيخ والحكومة ليس من صالحها ان تعدم رجلاً عظيماً مثلك ووراء كل ضيق فرج. فاجاب: -

- كلا، ليس لي أمل في الحياة. وهذا الوالي قد صمم على قتلي. قلت:

- ليس الامر بيد الوالي وحده مالم توافق استنبول على ذلك. اجابني:

- كلهم شيء واحد. لكنهم مخطئون. (ثم فكر قليلاً) ان دمي سيكلفهم ثمناً غالياً.

وانا اخاف على اولادي واخوتي من بعدي. وظل يكرر هذه الكلمات.

⁽¹⁾ يذكر صديق الدمولوجي سبب توقيفه ان سليمان نظيف اتهمه بمسؤولية ايقاد نار التمرد المسلح في تلعفر الذي وقع ايام ولاية (اسعد باشا الدرزي) بصفته مديراً للناحية واتهمني بكل مانص عليه قانون العقوبات العثماني من جرائم وحاكمني عليها ولما لم يتمكن من التأثير على عدالة المحكمة احالني الى الديوان العرفي العسكري المشكل في الموصل الا ان انفصاله عن الولاية واعادة محاكمتي حقق براءتي.

⁽²⁾ الدكتور مهند علي فرحان الجبوري أكد لي وذلك حسب ماورد في الأرشيف العثماني أن تاريخ اعدام الشيخ كان في 18/01/1915. أي بعد شنق الملا سليم في ساحة بيتليس في 18/11/1914. وبهذا وضع نظام تركيا الفتاة حدا لمحاكمات ثورة بيتليس وبارزان، لكن التدايعات استمرت.

"... في الليلة الثانية وقد فرغنا من صلاة العشاء فتحت ابواب السجن فانقبضت قلوبنا. وفتح ابواب السجن في مثل هذا الوقت نذير الشر نحن المسجونين في هذه الغرفة عبد العزيز بك قائم مقام عقرة وحاجي بيرداود آغا من اغوات عشيرة الدزهى وحكمت أفندي مأمور برق وبريد كركوك. وعبد الغني أفندي مأمور طابو السليمانية. تقدم رئيس السجانين (قاسم حسن) وضابط الجندرية (تحسين أفندي) وناديا الشيخ عبد السلام وأخذه. ثم عادا واخذا خادمه (محمود) وخادمه الآخر (موسى) و(محمد آغا هيشتى) وهو أحد رؤوساء عشيرة النيرة وذهبوا بهم. لقد اصابنا الوجوم وكأننا اجنحة الموت ترفرف فوق رؤوسنا"⁽¹⁾.

"... انى اسجل هذا للحقيقة والتاريخ - ينفذ حكم الاعدام الصادر من المحاكم المدنية او المجالس العرفية عادة بمصادقة السلطان. وقد طلب سليمان نظيف المصادقة على الحكم الذي اصدره المجلس العرفي العسكري بالموصل بحق الشيخ ورفاقه الثلاثة. إلا انه لم ينتظر صدور الارادة السلطانية (الفرمان) بالمصادقة على التنفيذ. ويظهر انه كان يخشى ان يبدل الحكم او يرجئ الى اجل غير مسمى وهذا ما يقع كثيراً. اذن ماذا يفعل؟ او عز الى الضبطية (شرطة المدينة) ان يطلقوا طلقات نارية في مختلف انحاء المدينة لإيهام الناس بقيام محاولة مسلحة ترمي الى انقاذ الشيخ عبد السلام. وأمر بتطويق السجن بفوج من العساكر النظامية وأخرج دوريات تطوف بالمدينة وسارع الى نصب المشانق⁽²⁾. وأبرق الى الباب العالي بأن اجراءاته المملوءة حزماً قضت على ثورة كادت توقع المدينة في خطر".

⁽¹⁾ امارة بادينان، ص 152 - 153.

⁽²⁾ يقول صاحب الضحايا الثلاث في تعليل إطلاق الرصاص (صودرت الاوامر الى بعض الجندرية بان يطلقوا الرصاص اشعاراً بإعدام الشيخ وفي تلك الليلة نفسها لغاية خروج الاهالي لرؤية المشهد الفظيع وقبل ان يتتصف الليل جيء بالشيخ عبد السلام مع الثلاثة المحكوميين.

احيط السجن بفوج من المعساكر النظامية وكتيبة من الجندرمة الخيالة. وأخذ الاربعة الى ساحة التنفيذ بين الثكنة العسكرية والثكنة الملكية حيث اعدت أربع مشائق. واحضر العالم الكردي (امين افندي القره داغي) لتلقي المحكومين كلمة الشهادة ثم توضعاً الشيخ عبد السلام وقرأ القرآن وصلى ركعتين ولما صعد الى المشنقة توقف وقال:

- لي كلمة لقولها للوالي. ان الحياة والموت عندي سيان، إلا ان موتي بهذا الشكل ليس من صالح الدولة فليحقق دمي وانا أقدم للجيش معونة ألف بغل بحمولتها (وكانت تركيا على ابواب الحرب) وسأربط على الحدود بقواتي.

- ولم يلتفت الى اقواله وتقدم من المشنقة وهو يردد ان موته ليس في صالح الدولة.

وشنق محمد آغا هيّشه تي (نسبة الى قرية هيّشه ت) أحد رؤساء عشيرة نيره ورفيق الشيخ المخلص.

اختلف الكاتبان الوحيدان اللذان أرّخا هذه المأساة في هويتي الضحيتين الباقيتين، فبينما يثبت (صديق الدمولوجي) اسمي (محمود وموسى) بدون ايراد اللقب او الشهرة او اسم الاب ويعرفها بكونها خادما الشيخ عبد السلام. نجد مؤلف الضحايا الثلاث يثبت اسمين آخرين (بهويتهما) ليس بينهما وبين هوية (محمود وموسى) علاقة ما. وان كان وصفها عند الكاتبين يتطابقان تماما وهما (عبدى آغا المزورى - وهو في دور الكهولة (عند الدمولوجي: موسى الذى يبلغ الستين من العمر) و (علي ابن محمد امين آغا المزورى) - من قرية بابسيقا وكان شاباً في مقتبل العمر (عند الدمولوجي: محمود وهو شاب في العشرين من العمر). اتفق المؤلفان بانه تقدم من المشنقة بجراً واقدام وهو ينادى بالكردية).

خولى بهسر حكومتى. بكشتنا من بارزاني خه لاص نابن = رماد برأس الحكومة. البارزانيون لا ينتهون بقتلي). (اي خدان بارزان انا كبشه انا قربان له)

المؤلفان كلاهما من اهالي الموصل وقد نشر كتاب الضحايا الثلاث بعد فترة قصيرة من صدور كتاب (امارة بادينان) وكأني بمؤلف (الضحايا الثلاث) قد قصد تصحيح ماورد من وهم عند مؤلف الكتاب الثاني في ايراد وقائع هذه المأساة عندما اثبت الفقرة التالية تدليلاً على صحة معلوماته، إذ قال: " وجدت اسماء المعدومين مدونةً بمجموعة مذكرات المرحوم خالي محمد بك ابن صالح بك آل أمين بك بخط يده وهي الان بحيازة ولده السيد محمد امين المقدم بالجيش العراقي حالياً. ولما كانت الروايات الاخرى في الاسمين الاخيرين من هؤلاء المعدومين قد اختلفت فقد اتصلت بأناس بارزانيين - وصاحب الدار أدرى بما فيها كما يقول المثل فأيدا الاسماء التي ذكرتها بالإجمال".

في الواقع ان هذا الاختلاف في اثبات هوية المشنوقين الأخيرين كان مصدر حيرة لنا شخصياً، وقد ضاعت محاولتنا هباء في التعرف على الحقيقة من التواتر المحلي وليس ذلك بغريب إذا ما وضعنا في تقديرنا الظروف التي كان يعيشها البارزانيون الملاحقون المشردون في ذلك الوقت وعدد المعتقلين في السجون، ومن مات منهم داخلها ومن قتل منهم اثناء المطاردة والتعقيب. علماً بان الجثث لم تكن تسلم الى ذويها وانما كانت تدفن في قبور مجهولة وتخفى معالمها كما حدث لجثمان الشيخ عبد السلام.

لقد كان أقرب الى المعقول ان لايرضى سليمان نظيف بقتل مجرد خادمين للشيخ وان يطمح الى اناس ارفع شأنًا وأخطر مقاماً ليضرب بهم مثلاً للباقيين، وهذا مايجعلنا نرجح رواية (الضحايا الثلاث).

لم تسلم جثث المشنوقين الى اهلها بطبيعة الحال، ودفن الشيخ ورفاقه في المقبرة المقابلة لمرقد ومسجد الشيخ عمر المولى (وهي مقبرة الغرباء والمنقطعين) وتدعى الان بمقبرة البوبدران. ولم يوضع على قبره علامة تشير الى من يضمه القبر، ولذلك مالبت ان ضاعت آثاره وراحت كل المجهودات التي بذلت لمعرفة موقع القبور عبثاً بعد تأسيس الحكم الوطني. وعاد الرسول (لثروك) الى والده الشيخ وليس معه غير الثياب التي تركها الشيخ في السجن.

يذكر الدمولوجي (....) اراد البعض ممن يعطف على البيت البارزاني ان يقفوا على قبر الشيخ عبد السلام وكان قد دفن في مقبرة الغرباء قرب جامع (عمر المولى) فلم يقفوا له على أثر. ويقال انهم دفنوه ورفقائه الثلاثة في حفرة وساووها مع الارض واخفوا معالمها.... فما ضرّ سليمان نظيف لو أبقى على قبره؟ أخوفاً من ان يتخذاه اهل الموصل مزار يعبدونه؟ أم يأتي البارزانيون يسرقونه؟ أخوفاً من الاموات أم نكاية بهم؟ أم تشفياً؟ أم القصد إهانة شعور هذه الامة وسحق كرامتها؟ ويسمى هذا إصلاحاً؟

في الثامن والعشرين من تموز 1914 اندلعت الحرب العالمية.

وفي الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني اعلنت تركيا الحرب على الحلفاء الى جانب دول الوسط (المانيا والنمسا).

وفي ليلة 1/2 من شهر كانون الأول 1914 اي بعد ساعة وبضع ساعة من تنفيذ حكم الاعدام بالشيخ عبد السلام انزلت بريطانيا حملتها المشهورة لاحتلال العراق في خليج البصرة.

كان منجل ملك الموت يحصد آلاف الأرواح يومياً في البرّ والبحر، والعالم كله في شغل عما يحدث في هذا الجزء القصي من المعمورة من الامبراطورية العثمانية المتداعية. والناس جميعاً يقفون على فوهة بركان متفجر لا يبقى ولا يذر. كلٌ يفكر في مصيره المجهول. فأَي مكان ترى يمكن ان يحتل اعدام الشيخ عبد السلام البارزاني ورفاقه من الضمير العالمي آنذاك؟ لقد أصّر والي الموصل ان يجعل من فعلته حدثاً تاريخياً به حفظ كيان إمبراطوريته ولم يشأ ان يكتفوا روح التشفي والكيد التي يحملها للرجل الذي أعدمه الحياة، فحضر ساحة الاعداد بعد التنفيذ مباشرة ووقف هو وهيئة الديوان العرفي العسكري تحت المشانق التي كان يتدلى منها جثث الضحايا امام عدسة آلة التصوير معجباً متباهياً بما أنجزه وطبع الصورة الفوتوغرافية بهيئة بطاقة مصورة (كارت بوستال) ونشرها في الخارج واذا بها بين البارزانيين أنفسهم.

هذه الاعمال وغيرها هي التي اوردت الامبراطورية العثمانية حتفها، وهي كفيلة بالقضاء على كل حكم يمارسه حكام مستبدون لانعرف العدالة ولا الرحمة الى قلوبهم سبيلاً⁽¹⁾. بهذا انطوت آخر صفحة من حياة رجل استطاع رغم صغر سنه وقلة حظه من العلم والتجربة وضيق أفق مجتمعه ومحدودية دائرة تحركه ان يكسر كل هذه الاطواق التي تشده بالدين والعنعنات العشائرية والافتقار الى المعرفة، ليخلق في جو أرحب ويعمل في ميدان أوسع هو ساحة النضال الوطني والتوعية القومية والتحرر.

ومع ان كلمة (لو) لا محل لها في تحليل الاحداث التاريخية والوقائع المؤثرة على انتقالات المجتمعات البشرية. ومع ان عقارب ساعة الزمن لا ترجع الى

⁽¹⁾ (من مقالة العائلة البارزانية - شمس كردستان) اما الخائن صوفي عبد الله فقد بقي مدة طويلة في (وان) ينظر المكافأة التي لم يحصل عليها قط ولقد قال له جودت بك الوالي (لم يبق لك الا ان تمسح فمك) وظل هو واعوانه في وضع تعيس في (وان) ولم يجرؤوا على الرجوع الى ديارهم وعشيرتهم. أرادوا ان يحنوا من الشوك ورداً ولم يدروا بان الانسان لا ينجي من الشوك غير الشوك (ف. نيكيتين ص 22)

الوراء فتعيد الاحداث المارة كما يعاد عرض الفلم السينمائي ليحذف منه ما يحذف ويضاف اليه ما يلزم اضافته كي تستقيم القصة كما يجب ويتم تدارك الاخطاء، إلا ان المرء لايسعه إلا ان يفكر بأهمية الدور الذي كان مقدراً للشيخ عبد السلام (لو) بقي حيا. والى التأثير الذي كان سيحدثه في مجرى احداث الشرق الاوسط والحركة القومية الكردية (لو) التزم بقليل من الحذر و (لو) أبى النزول عند رغبة المتآمر على حياته. كيف سيتناول قضية شعبه بعد ختام الحرب العالمية الاولى وطرح قضايا تحرر الشعوب في المؤتمرات الدولية التي تلت الحرب (لو) لم تتيه القوة التي خرجت لاستقباله وحمايته؟ ماذا سيكون دوره من انتفاضات الشعب الكردي المسلحة التي حصلت في العراق وإيران وتركيا (لو) كان على الموصل والي منصف ملتزم بأحكام القانون غير سليمان نظيف؟

تم الكتاب

الملاحق

الملاحق

- 1- العمامة البارزانية الحمراء.
- 2- ملحمة (قمرى) الشعرية وترجمتها.
- 3- قصيدة دينية زجرية للشيخ عبد السلام الأول وترجمتها.

الملحق الأول

في العمامة البارزانية

من اظهر ما اتخذه البارزانيون تمييزاً لأنفسهم عن سائر جيرانهم هم شدّهم العمامة الحمراء. وقد جلب هذا انتباه كثير من الاوساط على الصعيدين الاجتماعي والعلمي، فتساءلوا عن الدوافع والاسباب. ومتى اتخذت؟ ومن اشار باتخاذها؟ وكيف اصبحت العلامة الفارقة للبارزانيين وحلفائهم؟

ومع اعتقادنا بان الموضوع جانبي. وهو أبسط وأقل أهمية من ان نتناوله بالبحث ونفرد له جانباً من هذا الكتاب، إلا أن صيرورة هذه العمامة في مناسبات سياسية كثيرة موضع إثارة وازعاج حملنا على ان لانبخل على القارئ بما لدينا من معلومات هي في الواقع ليست كثيرة ولا نراها تشفى الغليل.

إن لم يكن يكمن وراء اتخاذ البارزانيين هذه الشارة دافع عاطفي فلا شك انه لا يكمن وراء ذلك أى دافع تاريخي أو سياسي. ولقد سألنا أولئك الذين بلغوا من العمر عتياً من البارزانيين فلم يضيفوا الى مانعلمه شيئاً جديداً، وقالوا انهم وجدوا آباءهم وأجدادهم يشدّون عمامتهم هكذا فاقتدوا بهم. ومن الأرجح انهم اتخذوا هذا اللون المميّز لهم عن جيرانهم (ذوى العمام السوداء المرقطة بالابيض) عندما بدأت المشيخة البارزانية تفقد صلتها القبائلية والاجتماعية مع سائر القبائل الزيبارية التي كانت هي جزء منها.

والامر واضح، فالقبائل الكردية في سائر أنحاء كردستان تتخذ من غطاء الرأس بصورة خاصة (دعك من الزي) علامة فارقة تتميز بها الواحدة عن الاخرى ليسهل التعرف على أفرادها. وإذا ما حاولنا إحصاء ووصف أنواع وأشكال وألوان العمام التي يشدها الاكراد في كل مكان، لاقتضى ذلك منا مجلداً كبيراً دون ايفائنا بالغرض. وكل ما في الامر بالنسبة إلى البارزانيين أنهم

ظهروا على مسرح التاريخ والنضال المسلح أكثر من غيرهم في العقود المتأخرة من هذا القرن، الأمر الذي استجلب الاهتمام بمعرفة أصل اتخاذهم هذا اللون لعمائمهم. فقد كانت في الواقع عامل إثارة وإزعاج كبيرين لبعض الحكومات العراقية تحدث فيها ما تحدثه جبة مصارع الثيران الحمراء من هياج وغضب في الثور إلى الحد الذي دفع بإحدى تلك الحكومات إلى أن تجعل منع اتخاذ هذا اللون للعمائم شرطاً من شروطها في الثلاثينات من القرن العشرين.

ومن يدري؟ فلعل ثمة أصول تاريخية للقرار باتخاذ هذا اللون بالذات. خفي عن الاتباع وأمر به شيخ بارزان الأول والثاني دون أن يرى ضرورة لتفسير الحكمة في اتخاذه، إذ لم يكن الشيخ عادة ملزماً بتفسير سلوكه أو قراراته لاتباعه ولذلك بقي الأمر سراً كما بقي تأريخ البدء باتخاذ هذا اللون مجهولاً منا.

في بداية القرن العشرين يشير الكاهن البريطاني عدة مرات إلى العمامة الحمراء التي يرتديها مرافقوا شيخ بارزان.¹

والواقع أن البارزانيين لم ينفردوا في تأريخ المشيخات الصوفية في الشرق الأوسط باتخاذ الأحمر شعاراً للرأس. فقد سبقتهم إلى ذلك (القلباشية) وهي المشيخة الصوفية بزعامه (الشاه اسماعيل الصفوي 1487 - 1546). إذ كانت القبائل الأذربيجانية التسعة التي ألقت النخبة الممتازة من جيشه تسمى بالقلباشية وبالتركية تعني (ذوي الرؤوس الحمراء) بسبب العمام الحمراء التي كانوا يعتمرونها والتي صارت مصدر رعب لأعدائهم وقت المعارك والتلاحم بالأيدي. وهذا الجيش (الأحمر) هو الذي وضعه على عرش إيران في 1503. عندما فتح هذا الشاه العراق بقسميه الشمالي (بداً بكرديستان) والجنوبي (ما زال ثمة بقايا من اتباع هذه الطريقة في مدينة

¹ دبلو. أ. ويغرام. مهد البشرية. ترجمة جرجيس فتح الله. مطبعة الزمان - بغداد 1971، مراجعة فصل شيخ بارزان (أيان فور الشرق)

كركوك والقرى المجاورة) وضع هؤلاء المحاربين الاشداء حاميات عسكرية بقي قسم منها بعد خروج العراق من يده. وربما كان الشيخ البارزاني الذي اتخذ العمامة الحمراء على عهده على علم بهذا، فعمد الى تقليد سلفه الزعيم الصوفي الايراني؟

والشائع عند البارزانيين انهم اتخذوا الاحمر غطاء للرأس تقليداً واقتداءً بصحابة الرسول الاعظم الذين كانوا يعتمرون بالعمامة الحمراء، إشارة الى استعدادهم لبذل أرواحهم في المجاهدة لإعلاء شأن الدين، إلا أننا لم نجد سنداً تاريخياً يؤيد هذا الزعم.

بقي أمر تعليلي واحد عاطفي النزعة وهو ان الاحمر يرمز الى (الدم) لذا فهو علامة المجاهدة في سبيل الله واسترخاص الدم في سبيل العقيدة والمبدء.

على اية حال، لم يكن لأتباع الطريقة من البارزانيين وغيرهم يد من إتخاذ زي للرأس يميزهم تماماً عن ابناء جلدتهم الزياريين في ذلك الوقت الذي اعلنتها مشيخة بارزان حرباً لا هوادة فيها على اغوات هذه القبائل الشديدة الشكيمة والكثيرة الاتباع الخاضعة لمستغليها. لا شك انها كانت رمزاً أو ظاهرة تحد شجاعة لفئة قليلة انفصلت فكراً وعقائدياً عن الجزء الاكبر من القبيلة ورفضت بكل عناد ان تسير معه على نهج التقاليد القبائلية فاستهدفت للأضطهاد، واصبحت عمائمهم الحمراء مادة للدعاية ضدهم باعتبارها (رمز للكفر والاحاد).

الملحق الثاني

ملحمة قُمري وترجمتها

ملخص للملحمة⁽¹⁾

هذه القصيدة الشعرية نظمها شاعر كردي شعبي مجهول باللهجة البادينانية السائدة في تلك الانحاء، وتتضمن قصة مأساة (دراما) عنيفة قبائلية بطلها وضحيته (سمائل آغا زيباري). وخلاصتها ان (محمد طيار باشا) كان قد توفي، فخلفه في نفوذه وأملاكه زعيمان يمثلا له قوة، سيطر كلاهما على (دهشتا نافكور) اولهما (سمائل آغا) المعروف بفتوته وشجاعته وشهامته، وثانيهما (خال احمد) الذي يليه نفوذاً، وكانا يسكنان معا قرية (بارزان).

سافر (سمائل آغا) الى أرض اليزيدية ليشترك في مراسيم تنصيب أمير لهم. وفي اثناء عودته ابلغ بتمرد (البرواريين) على الزيباريين وشق عصا الطاعة بامتناعهم عن دفع الخراج لهم.

يبلغ (سمائل آغا) بارزان ليلا فيبادر (خال احمد) الى اطلاعه على الامر، فيقوم (سمائل آغا) بدعوة أهالي (هوستان) و (ههسن) و (سريشمي) للحضور للتشاور فيما يرتأى اتخاذه بحق المتمردين، ويتفقون على تجريد حملة تأديبية على البرواريين لاعادة سيطرتهم.

يخرج (سمائل آغا) على رأس ثلاثمائة وخمسين مقاتلاً ومعه (ههسنه سور) أحد معتمديه الشجعان ودليله (زينديزه). ولم يكاد نبأ الحملة يبلغ

⁽¹⁾ زدونا بهذه الملحمة الپیشمه رگه والمغني الشعبي (ابراهيم رهشاهي). وهي مفحمة بالمبالغات لكنها تجسد حب القبيلة للسلب والنهب قبل ظهور الطريقة النقشبندية في المجتمع القبلي في مناطق الزيبار والقبائل المجاورة.

البرواريين حتى يبادر كبيرهم (عبد الرحيم بك البرواري) بالكتابة الى (سمائل آغا) متظاهرا بالترحيب بمقدمه وعرضاً عليه السلام، ويعده دفع الخراج المترتب وهو ليرة عثمانية واحدة عن كل اسرة. فيصدق (سمائل آغا) قوله ولم يعد يرى بعد حاجة تدعوا الى مسير القوة، فيأمر ثلاثمائة من رجاله بالعودة الى بارزان ويبقي خمسين فقط.

من جهة اخرى يتصل (عبد الرحيم بك البرواري) بالتياريين (وهي قبيلة مسيحية كردستانية) حلفائه ويعلمهم بقدوم الزيباريين في طلب الخراج، فيتفق الطرفان على الايقاع بـ (سمائل آغا) وحرسه والاجهاز عليهم. فينحدر الجميع ويكمنون لهم في الوادي ويتقدم التياراتيون لاستقبال (سمائل آغا) وصحبه في الطريق فيرحبون بهم وينتظمون في صفوف القادمين وهم يتوغلون الجبل صعوداً الى (قُمري)، وكانت خطة المؤتمرين تقضي بأن يجعلوا كل زيباري بين اثنين من التياريين. وهكذا سار (سمائل آغا) في المقدمة يتبع (مام بشيو) احد زعماء التياريين الاشداء. فيصعد الجميع تلك الشعاب الملتوية على هذه الشاكلة التي اثارت شكوك (ههسنه سؤور) الداهية الذكي فيحذر (سمائل آغا) ولكن بعد فوات الاوان.

ما ان يبلغ الركب شُعب (قُمري) الضيق حتى يسبق (مام بشيو) الآغا الزيباري ويواجهه أمراً إياه بالقاء بندقته (ششخانه) فيرفض ويهجم عليه ويتبادلان الطعن بالخناجر. كانت المعركة غير متكافئة، ولكن الزيباريين استبسلوا رغم ضآلة عددهم نسبة الى التياريين (وهم ثلاثة مقابل زيباري واحد) وأبدى (ههسنه سؤور) من البطولة فنونا. واستمر القتال عنيفاً بالخناجر و (ششخانه) حتى قضي على آخر زيباري بعد ان يقع من التياريين كثير من الضحايا.

تبدأ الملحمة بسرد تفاصيل عودة (سمائل آغا) من ديار اليزيدية الى بارزان، ثم كيفية تقدمه نحو البرواريين والقرى التي مر بها. وفي خلال ذلك يسجل الناظم سجايا وعادات المجتمع في ذلك الوقت والضراوة التي تصحب

نزاعاتهم على النفوذ ووسائلهم العنيفة التي يلجؤون إليها للتخلص أحدهم من الآخر.

اما (قُمري) فهي قرية كبيرة تقع في منطقة برواري بالا (ضمن قضاء العمادية) في كردستان العراق. ولما كانت هذه الموقعة قد جرت في شُعبها⁽¹⁾ القريبة منها فقد سميت الملحمة باسم القرية.

ههرجى روژا (محمد طيار) مرد	ما أن توفي محمد طيار
دو آغا رابون وهت خورد	حتى برز زعيمان قويان مثله
دهشتا نافذ كۆر لى هه لگرد	فبسطا سيطرتهم على سهل نافكور

ههري قوباد بهگو گوركى هار	ان قباد (بك) ذلك الذئب المسعور
وان تالان كر خه زيندار	قد نهب ثروات البلاد
ههروهكو جارى جار	وغصبها وتلك هي عادته
سمایل آغا توى كۆرى	اما اسماعيل آغا ذاك الفتى
سواری جانی دى برى	الفارس المغوار بجواده الاصيل
جه خماخى لى دجييت گورى	وزناده يقدح الشر

جوانى قوته ييت نرى	صهيل جواده الجميل
سمایلو لاوى له شكرى	سمایل آغا فتى المعارك
سهركهفت سهري شمدرى	يصعد قمة (شمدر)

جه خماخا تاقيت په شكا	زناده الوهاج يطلق الشر
شه قى ما (لخانا هه شكا)	توقف وبات ليلة فى (خانا هه شكا)

⁽¹⁾ الشعب (بفتح العين وضم الشين مع التشديد)، هو الطريق الجبلي الوعر.

سمایل بازی سهرلیسی	سمایل بازي القمم الشواحق
جه‌خماخی دجیت بریسی	وزناد بندقیته يتوهج
سهرکه‌فت سهری بیرسی	يصعد قمة بیرس
هه سپی قوته ره‌قسی	وجواده الجمیل یختال تیه‌ا
هاته کفرا سیدانی	بلغ (کفرا سیدان)
شیر لپشتی دکه‌ت جولانی	وسیفه يتأرجح علی خاصرته
فراقین اینا سهر ده‌راقا دلانی	وعند معبر دلانی ادرك وقت الغداء
***	***

گوت یانه دیلم دیلانی	قال ما اجملها من رقصة ⁽¹⁾
بی‌ثیت خال نه‌حمه‌د کانی؟	وسأل این هو خال أحمد؟
شه‌قی هاته بارزانی	وصل لیلاً الی بارزان
***	***

گوت جابی بهن بو (هوستانه)	قال بلغوا اهالی (هوستانه)
داشیر بین للیسانه	ولتنطلق اسودها من العرین
دی‌ چینه ناڅ به‌رواریانه	سنزحف علی ارض البرواریین
دی‌ اینین خه‌رجی و سالیانه	ونعود منهم بالخراج والجزية
***	***

جابی بهن بو (سریشمی)	قالوا بلغوا اهالی (سریشمه)
دا پلنگ درکه‌ فن لکونی	ولتنطلق نمورها من الأجام
ناڅ به‌رواریا دی‌ جمی	لنزحف علی ارض البرواریین
***	***

جابی بهن بو (هه‌سنیانه)	وبلغوا اهالی (قرية هه‌سنی)
دابین قه‌ومی مه‌ردانه	لینجدنا رجالها المیامین
دی‌ چینه ناڅ به‌رواریانه	کی نزحف علی ارض البرواریین
دی‌ اینین خه‌رجی و سالیانه	ونعود منهم بالخراج والجزية

⁽¹⁾ یشیر الشاعر الی ان سمایل آغا وصل اثناء ماکان الاهالی یرقصون فعبّر عن استحسانه.

الملحق الثاني: ملحمة قُمري وترجمتها

لبارزانی کوم قه بينه	وفی بارزان اجتمعوا
پاش ته کبیرا پیک هاتینه	وبعد المشاورات اجمعوا
بهرواری آسی بینه	على أن البرواريين قد عصوا

سپیدهیه هیشتا زویه	لايزال الصباح باكراً
سمایل آغا سوار بییه	اعتلى سمایل آغا صهوة جواده
ههسنه سور دگهل وی یه	يحف به كل من (هسنه سور)

زیندی زهر دبره چیه	زیندی زقر دلیله
یی لا آقی دهر بازبی یه	وعبروا النهر ⁽¹⁾

هو دلیمنو لهنگورا	ياالقلبي من عصر ذلك اليوم!
سوار بی سمایل آغای سورا	امتطی سمایل آغا جواده
شهقی هاتنه (هلورا)	ووصل (هلورا) ليلاً

هو دلیمنو لخوریکی	واحسرتا لقلبي الحزين
زرنا دکهت جیکه جیکي	والزرنای تصدح بانغامها ⁽²⁾
سهرتیشته بره (هاریکی)	وقت الفطور وصل (هاریکی)

هو دلیمنو لقی نه هاری	لهفي من ذلك النهار
روژهه لات ل زیباری	اشرقت شمسه فوق زیبار
فراقین بره بهری گاری	وفی (بهری گاری) توقف للغذاء

⁽¹⁾ يقصد نهر الزاب الكبير.

⁽²⁾ الزرنا (السرناي) آلة موسيقية نفخية تعمل من القصب في كردستان.

يا لقلبي الغارق في الهم	هو دليمنو لخميدا
غمرت اشعة الشمس الوهاجة ⁽¹⁾	روژهلات تاقي ليدا
وبلغت طلائع جيشه السهل	سهراف جونه ده شتيدا
واخذت الاسود تصعد نحو القلعة	شير سهركة فتنه كه ليدا

يا لقلبي المفعم بالرجاء	هودليمنو ل هيقيي
والزرنا تصدح بانغامها	زرنا دكهت جيكه جيكي
وصل العمادية وقت العشاء	شيف بره آميدي

عبدالرحيم بك البرواري	عبدالرحيم بهگي بهرواري
افقده الله باصرتيه!	هردو چاف ليبن تاري
كتب رسالة لسمايل	كاغز بو (سمايل) هناري

ياسمايل آغا الاشقر	سمايل آغا گهردن زهر
مجيئك الينا على الرأس والعين	بلا بيتن لسهر سهر
وسندفع الليرة عن كل بيت.	دي دهن مالو زيري زهر

تلا سمايل آغا الرسالة	سمايل آغا كاغز خونديه
متمعناً فهمها تماماً	زور باش تيگه يشتيه
ثم امر ثلاثمائة مقاتل بالعودة	سي صد ميّر زقرانديه

عبدالرحيم بك البرواري	عبدالرحيم بهگي بهرواري
فليفقده الله كلتا باصرتيه!	هردو چاف لسهرى بن تاري
ارسل انذاراً للنصارى	جاب بوفه لا هناري
بأن الزيباريين جاؤوا بطلب الخراج	هاته خه رجي زيباري

⁽¹⁾ المخاطب هو (سمايل آغا)

تيارى هاتنه خارِه	انحدر التيارية من فوق
قوتاندن دولو نقاره	يضرِبون طبول الحرب
نه دو نه سى نه چاره	لا احاداً ولا مثنى ولا ثلاثاً
گوت مهو زيباريا ئەف جاره	مهددين اما الزيباريون او نحن

سپيدهيه هيشتا زويه	والصبح ما زال وليداً
(هه سنه سور) دگهل ويه	والى جانبِه (هه سنه سور)
سمایل آغا سوار بيه	امتطى سمایل آغا جواده
زيندى زهر له دؤ ويه	وخلفه (زيندى زه ر)

آميدى خوار كه فتيه	انحدر القادمون من العمادية
نيزيك بونه قومرى يه	واقترَبوا من (قُمري)
فهله هاتنه به راهى يه	فاستقبلهم النصارى في الطريق

فهلا ته كبير كرى يه	احكم النصارى تدبيرهم
زيبارى ريز كرينه	نَظَّموا الزيباريون بحيث يكون
هيريكي يك له دؤيه	خلف كل واحد منهم نصرانى
سمایل آغا له به راهى يه	وسمايل آغا في المقدمة
مام بشيو له دى وى يه	يتبعه (مام بشيو)

(هه سن) ميړه كى بحسيبه	اقسم (هه سن) الرجل الحكيم
سوند خارى بكتيبه	بحق كتاب الله
فان فهلا لگهل مهليفه	ان النصارى يكيدون لنا

(بثيو) نصرانى ديرى گهشته مام سمايل لويړئ گوتى تو بوچى هاتيه قيړئ بثيو) بهرازى خويسي سميل ته مه ت ودريسه گوت مام سمايلو بهرسيه	(بثيو) نصرانى الدير ابتدر سمايل آغا فجأة ما الذى جاء بك الى هنا؟ (بثيو) الخنزير المتين الالواح بشاربيه الغليظين الشبيهين بالحبل صاح أمر مام سمايل الق بسلاحك ***
گوت مام بثيو وهنينه كوشتن نك مه چونينه ريس كردن لنك مه خينه	أجابة إسماعيل: مام بثيو أنت واهم فالقتل عندنا لاشيء تجريد السلاح لدينا هو سفك الدم ***
گو به ئنجیلی به قرآنى توشه ش خانى ⁽¹⁾ نابهيه بارزانى دى بهمه (شيفا ليزانى) دى بى كه م آرمانجانى	قال قسما بالانجيل والقرآن لن تعود بندقيتك الى بارزان سأخذها منك الى (شيفا ليزان) واتخذها ملهاة الى هناك. ***
گوبه ئنجیلی به قورآنى شه ش خانى نابهيه ليزانى پي ناکه ی ئارمانجانى دى بهمه فه آخا بارزانى	اجاب قسما بالانجيل والقرآن لن تذهب بندقيتى الى ليزان ولن تتلهى بها بل ساعود بها الى أرض بارزان ***

⁽¹⁾ الششخانة: هي البندقية التي تدور في سبطانيتها ست حلزونات. وتمتاز ببعد مداها لهذا السبب.

الملحق الثاني: ملحمة قُمري وترجمتها

كولانا قومري تهنگه
(بثيو) لى گرتى تهنگه
وفى ممر قمرى الضيق
امسك (بثيو) ببندقية
اسماعيل آغا

گوت مىرا كوشتن گرتيه
روس كردن نه ديتيه
فوله دمینی رادمینی
خه نجه رى هه لكيشینی
مليت سمايل وهرتینی
میللاكا لى دبز دینی
فصرح اننا الفنا القتل
ولم نألف القاء السلاح
باغته (مام بثيو) مهاجما
واستل خنجره
سمايل آغا فامتلاءت
وغرسه بين كتفه
جیوب صدره ملئ بالدماء
خوينى له پاخه لى دبه نگینى

سمايل دمینی رادمینی
خه نجه رى هه لكيشینی
ناقى خودى دگهل تینی
وانثنى سمايل آغا مهاجما بدوره
مستلاً خنجره
ونطق باسم الجلالة

هورگى فوله ی وهرتینی
صاقارا گهرم دبژینی
مام سمايل راوه ستافه
وشق بطن النصرانی
فتناثر منها (البرغل)⁽¹⁾ الساخن
توقف (مام سمايل) قليلا

خه نجه ر هه لكيشافه
ناقى خودى اينافه
هورگى فوله ی وهردافه
صاقارا گهرم بژيافه
ليشرع خنجره ثانية
نطق باسم الله وأغمده
مرة اخرى فى بطن النصرانی
فانتثر منها البرغل الساخن

⁽¹⁾ البرغل أكلة كردية- عراقية شائعة وتعمل من حب الحنطة المطبوخة مع اللحم والسمن وهي (الكسكس) عند المغاربة.

(ههسنه سورى) هاقرى فهداقه فالتفت اليه (ههسنه سور).

گوت (مام سمايل) توى دينى	وقال له مام سمايل انت مجنون؟
تو ليّره دهست ههلينى	أهذا موضع مناسب للقتال؟
دى تو قى مهقهلينى	أم تريد ان يقضى علينا جميعا؟
توچى تيبينا تيناينى	كيف لا تفكر بعاقبة ما تفعل؟

گوت مام ههسنو وهنينه	قال (مام ههسنو) أنت مخطأ
ئهقه خهتا من نينه	فالذنب ليس ذنبى
بهركيزى من ههلينه	افتح صدري وانظر
پاخلا من تهژى خينه	جيوبى الملاى بالدم
ميّر بهدهست ههلينه	كن رجلا وبادر للقتال
من كهسى حازر نينه	وليس معي احد

مام ههسنى يّك خه بهر	(مام ههسن) الوفى اندفع
خوهاقيته بهرام بهر	الى الامام
خه نجهر داينا پور تاسهر	قفز وتوقف قبالتة
خه نانيشو كه فته بهر	وسدد طعنه خنجر الى رأسه
لبن ئه رزينكى كره دهر	فالتقى بـ(خنانشو)
دهستى ده بانى بو كهر	خرج خنجره تحت ذقنه
	فانكسرت قبضة الخنجر

گوت شكهست زيلانا خه نجهرى	قال ها قد انكسر خنجري
ئه زمحتل بم قى گهرى	فاصبحت عاجزا لا حول لي
چوخه نجهرا فهلهى لبن كيّشا دهرى	ثم هاجم نصرانيا فانترع
	منه خنجره

مام (هه سنى) هه سنى خه نجه ر وكو گاسنى هه چى گه شتى هنجنى ناف شه را خود په سنى	مام هه سنى من قرية هسنى بخنجره الذي كان يفعل بالرجال كما تفعل شفرة المحراث في الارض فهو الشجاع المعتد فى المعارك
---	--

لهوى فه هات (زيندى زهر) دهستى لسر كه ماخا خه نجه ر هه چى گه شتى دابه ر	واقبل (زيندى زهر) من الجهة الاخرى مستلا خنجره يفتك بكل من يصادفه
--	--

مه لك (خه يو) كر هه وار له هه مى لايه كى هاتنه خار وهكو گورگيت بريندار	هتف (ملك خيو) مستنجدا فانحدر الجميع اليه من كل صوب الى الحومة كالذئاب الجريحة
--	--

هو بگه لته بوّن گه لته بوّن لين گويزى بگه لته بوّن سى وجوت فه له بون ئهو زور د زيده بون هه سنه سور لناف دهره بون هو خولامت بم دهبانى تهرما باقى كولانى ئهقرو روژا ليكدانى كوشتو مهلكى (ليزانى) گوهه تا روژا آخرى زهمانى ناقى من بگيره لبارزانى	واختلط الحاجل بالنابل وحصروه بينهم تحت شجرة جوز الواحد منهم يواجه ثلاثة نصارى كانوا أضعافاً مضاعفه هه سنه سور كان المنجد نفسى فداك ايها الخنجر اقذف بالاشلاء الى الشعب فهذا هو يوم النزال لقد صرعت (مليك ليزان) خالدا الى آخر الزمان الا فليبق اسمي فى بارزان
--	---

خولامت بم شیږ خورئ	نفسی فداک یا قریع السیوف ⁽¹⁾
تهرما باقی نافی کورئ	أقذف بالأسلاء الى الطین
ئهږو روژا گرگرئ	فهذا هو یوم النزال

های باری باری باری	الدما تنزف و تنزف وتنزف
سپیډئ هه تا هیڅاری	من الصباح حتی المساء
روژ کره شهقاتاری	تحول النهار الى ظلام دامس
خین سهر زهنډئ زهر باری	تجری الدماء علی السواعد
شهر کهفته نافی آقاری	وانتقل میدان القتال الى السهول
بارک الله تیاری بارک الله زیبارئ!	بارک الله تیاری بارک الله
	زیبارئ!

بارزانی گورگیټ هارن	البارزانیون ذئاب مسعورة
دهوام چه خماخ دسوران	بنادقهم مهیاء علی الدوام
خاسما فهله نه یارن	خصوصاً فی مواجهة النصاری
لهشکر داخشیا خارئ	انحدرت القوة
هه سنی دکهت زیمارئ	وهه سن یترنم منشدا
خه نجهر آسنی کرمانئ	حدید خنجری کرمانئ
یټ وهشینی ده بانئ	وهو یطاعن به

کولانا قومری تهنگه	شعب (قُمري) ضیق
شهش خانا رنگه رنگه	یرجع اصداء رصاص الششخانه
فهلا وزیباریا جهنگه	انها حرب الزیباریین والنصاری

خه نجهر آسنی بریتی	صرع الخنجر الفولاذی القاطع
--------------------	----------------------------

⁽¹⁾ يقصد الخنجر.

كوشتو مه لکی (آشیتی) قتل ملکا من عشيرة (آشیتی)

کولانا قومری راسته شُعب (قُمري) منبسط
خین سهر هه ردی بی ماسته والدم متختر علی ادیمه
بارزانی ییت مای بازده بقی من البارزانیین أحد عشر

خولامت بم شیر خوری نفسی فداک یا قریع السیوف
که له خ که فته ناف کوری الجثث قد تمرغت فی الطین
هه سنی نه مانه چی ری ولم یعد له (هه سن) مفر

کولانا (قومری) کیره شُعب قُمري منحدر
شهش خانا لیره لیره وبنادق الششخانه تلعلع و تلعلع
هه وارا مه یادیره والنجدة عنا بعیده

کولانا قومری دهشته شُعب قُمري متطامن
هه سنه سور سمبیل په شته وشاربا (هه سنی) مشذبان
بارزانی ییت مای هه شته بقی من البارزانیین ثمانية

کولانا (قومری) تاری شُعب قُمري مظلم
خه نجه را خین لی دباری الدم یتقطر من الخناجر
هاتنه فه لا زیباری حین کر الزیباریون علی النصاری

کولانا (قومری) پانه شعب (قُمري) منبسط
شهش خانا دهنگ فه دانه اصداؤه ترجع دوی الششخانه
بکوژن بهرواری وفه لانه الا افتکوا بالبرواریین والنصاری

الملحق الثاني: ملحمة قُمري وترجمتها

كولانا (قومري) بداره	شعب (قُمري) مشجر
خين سهر ههردى چو خارِه	الدماء ساحت على الارض
وهكو جو كو روباره	سيلان الانهر والسواقي
بارزاني ييت ماي چاره	لم يبق من البارزانيين غير أربعة
سه رگا گوندى بداره	شمال القرية مشجر
ل ههسن كره زباره	اطبقوا على (هه سن) بجمع كبير
بيوه رها تن دوباره	تألّبو عليه مرة اخرى
ههسن دخيني كه قزى كهفته خارِه	فسقط مضرجا بدمه

الملحق الثالث

القصيدة الدينية

تعريف بالقصيدة

في فصول الكتاب الاولى نوهنا بهذه القصيدة الطويلة التي تتألف من (95) بيتا ثلاثي السريح، وتكلمنا عن ظروف نظمها وتاريخه. وهي في الواقع لا تخرج عن نطاق التثقيف الديني والاخلاقي تبداً بذكر صفات الله. والخلقة وسقوط ابليس ومحاولته اغراء البشر بالمعصية. والجهود الإلهية المبذولة في سبيل احباط احابيل الشيطان وانقاذ البشر من احابيله واغراءاته. ينتقل الناظم بعد هذا الى تذكير بنى قومه بعذاب الآخرة مع لزوم التمسك باهداب الفضيلة، مذكراً بعذاب جهنم وما سيجنه الخاطيء يوم القيامة وكيف انه سيصلي نار جهنم ويذوق صنوف العذاب الابدى فيها، ثم يأتي الى وصف يوم الحساب والدينونة بفتح سجل أعمال كل شخص وتجري محاكمته بمحضر من الملائكة وغيرهم من الصالحين. ويختتم الناظم قصيدته باسداء النصيحة المعهودة للناس باتباع سبيل الخير واجتناب المعصية. والدعاء والاستغفار. مع اثبات تأريخ نظم القصيدة. (1258) هـ. 1842 م.

انتم يا ذوي السمع	گهلى كهسى صاحب گوش
اياكم ان تنسوا الله	خودى نه كهن فراموش

شبابا كنتم ام شيوخا	ئه گهر جوان ئه گهر پير
من ينس الله	كهسى خودى بكهت ژبير
يصاب بالعمى يوم القيامة	قيامه تى دى بيت ضه رير

كهسيّ خودی نه ناسی
رون نابی قهلبی قاسی
حاصل نابی خلاصی

من لم یؤمن بالله
لن یضیء النور فی قلبه
ولن یتحقق له الخلاص

خالق یتکه یی هه قاله
نه ماننده نه مثاله
نه مردنه نه زه واله

خالق الكون مفرد. ماله شريك
ولا مثال أزلي هو
حي لايموت، لايزول

نه ماننده نه نه ظیره
نه شریکه نه مشیره
نه معینه نه نه صیره
یارب تو زوری بلندی
بی مثال ومانه نه دی
بوتنه نینه چون وچه ندی

لامثیل له ولا نظیر
لامشیر له ولا شریک
لامعین له ولا نصیر
ربی انت جد رفیع
بلا مثال ولا نظیر
تجل عن الوصف بالکم والکیف

دقی چونی تیّت خه بهر
ئهو نه جسمه نه جه وههر
نه عه ره ضه نه به شهر

فمن ناحية (الکیف)
انت لست بجسم ذی ابعاد او جوهر
انت لست کالبشر

ئهو خالقه بتنی
منزه هه ژمردنی
ههم ژخه وی و خارنی

انه الخالق الاوحد
المنزه عن الموت
وعن النوم والطعام

ره وانینه اتصال وانفصال
بو مه عبودی ذو الجلال
دگهل عالهما شبهی اظلال

لم يؤثر عنك اتصال وانفصال
ایها المعبود ذو الجلال
مع العالم الذی هو كالظلال

الملحق الثالث: القصيدة الدينية

الهي انت الاوحد	ربي توى فهدى وهيد
لا تبعد لحظة	يك له حظه نابى به عيد
انت اقرب من حبل الوريد	تقرب ترى نر حبل الوريد

الهي انت الملك القوى	ربي توى شاهى مهتين
من الماء المهيمن	ايجاد كر ژافا مهين
موجد الكثير من الصور	چند صوره تيت مهظه ركى

لله صفات سبع	خودى هه نه هفت صفات
وهى لذاته قديمات	قه ديمن نه وهكى ذات
اولها العلم بالأشياء وثانيها الخلود	يك علمه يادى حيات

ثم القدرة ثم السمع	يك قدرته يادى بيستن
ثم الارادة والبصيرة	يك اراده يه يادى ديتن
وسابعتها النطق.	سابعى وان آخفتن

كلامه منزه عن الحروف والصوت كلامى وي دوره ژحرف ودهنگا
ذاتى وي مؤنه زهه ژته ثلثنا فرهنگا ذاته منزّهة عن تثليث الافرنج⁽¹⁾
مؤقهدهسه ژهندي نهلوان و رهنكا وهى اقدس من الصفات والالوان

⁽¹⁾ يشير هنا الى عقيدة التثليث عند المسيحيين الذين يرون في (الله) ثلاثة اقانيم وهي الاب والابن والروح القدس.

ژهندي جملهی ممکناتان من جميع الممكنات
ژجه واهر و زهراتان من الجواهر والذرات
تيکدا مه ظهه رن بوصفاتان کلها مظاهر لصفاته

گوت ياهه مو جسمه که توجانی قيل الجميع جسد وانت الروح
گوت ياهه مو داره که ن توبانی قيل الجميع بيت وانت الباني
گوت ياهه مو شه هر که ن توخانی قيل الجميع مدينة وانت الحاكم

باری بو که نزا مه ستور أظهر الباريء الكنز المدفون
بطون گیرا بظهور أظهر الباريء الشيء الخفي
اظهار کر عاله ما مه ستور أظهر العالم المستور

اظهار کر ژبطونی أظهر من المستور
ما به بینا کافی ونونی مابين (الكاف والنون)⁽¹⁾
عالم اینا بیرونی اظهر وجودية العالم

ایجاد کر بوئی طه رزی أوجدها على هذا الشكل
ژبو بروزا که نزی کی يظهر الكنز المدفون
ئهو دزانیة حکمه تا ره مزی فهو العارف بحكمة الرمز

ژحالی دی خه به ردهم أني لأخبر عن واقع الحال
اول اظهار کر عالم خلق العالم اولا
آخر ایجاد کر آدم ثم خلق آدم اخيرا

آدهم اینا وجودی جاء بآدم الى الوجود

⁽¹⁾ الكاف والنون هي (كن) عنى فعل الامر من مصدر الكينونة.

فهو مان كره مهله كيّت شهوديّ وأمر الملائكة
بو آده مي هه رنه سجوديّ ان اسجدوا لآدم

تھوان بهيست تھو خه بهر أطاع الملائكة الامر
كهس ژ آمری نه جودهر ولم يتخلف منهم أحد
الا ابليسی بهد نه ظه ر غير ابليس

فرمان كرشاهی وه دود أمر الرب العطوف
دگهل ابليس مه ردود ابليس الراض
ته بوجی نه بر سجود؟ لماذا لا تسجد أنت لادم؟

حجته اين ا عینی أدلى اللعين بحجته قائلا
تھزچيترم بيه قيني انا لاشك افضل منه
تھز نار يمه او طيني فوجودي من نار وهو من طين

تھو دكهت قالو قیلا وأسهب فی القول وغالی
فايده نه دا ده ليلا ولم تكن حججه ذات جدوى
تھو گه ریا بو ژ ده ليلا وعاد يجر اذيال الذل و الخيبة

ابليس كه فته ذله تي أصابت ابليس الذلة
كر دعايا مؤهله تي وطلب من الله مهلة
حه تا روژا قيامه تي حتى يوم القيامة

خودی تھو نه كر مه حروم لم ينكر الله عليه ذاك
گوت مؤنظر به ياظه لوم قال لك هذه المهلة يا ظالم
حه تا روژا وه ختي مه علوم الى ذلك اليوم المعلوم

حال کۆ بو سه ره نگوئن	وعندما تبدل الحال
ظاهر بوسرا مه کنون	وظهر السر المکنون
هه ر کافر بۆ او مه لعون	بدا الملعون کافر!

مه لعون مجدبو لکاری	جد الملعون فی عمله
سوندخار بعزه تا باری	قال مقسما بعزة الباري
ئه زدی انسانا کیشمه ناری	سأجر البشر الى النار

دآ وان کیشمه غه ریقی	سوف اغرقهم جميعاً
دی رونمه سه ر طه ریقی	سوف اکمن لهم في الطريق
هه می رهنگا وی به مه حه ریقی	واقود اقدمهم بكل وسيلة الى
	الحريق

خطاب کر ره بی عزه تی	خاطب الباري تعالى
دگهل مستحقى له عنه تی	ذلك الذي استحق اللعنة
ئه زدی لوان که م رحمه تی	اني لعبادي راحم

ئه گهر بکه ن ذله تی	اذا ارتکبت المعصيات
هندی بکه ن ته و به تی	فتبت عنها واستغفرتم
ئه ز دی لی که م مه غفیره تی	فالله سیصفح عنکم

هه ر که سی کۆ سه رکیش بیت	ومن یبقى منهم على ضلال
شبهی ته دی رو رهش بیت	سیسود وجهه مثلك
حه قی وی دی آته ش بیت	ویکون جزاؤه النار

لما أطال هذا اللعين	تھو مهلعون بهدفعال
بلا أدب والخصال	بی تھدهبی بی خصال
وأكثر الكلام	تھو جهند دریژ کر مهقال

أطال القول مع الملك المجيد	دریژ کر دگهل شاهئی مهجید
ذاك الابلیس الطرید	تھو ابلیس وی مهريد
الذي ظل وحيدا	ژشهريکان مای وهجید

بسبب مسألة الوحدة	بسه بهبی وهجدهتی
واستحق اللعنة	بویه مستحهقی لهعنهتی
ارتكب المعصية	تھو گهريا بو به سهرمهعصیه تی

عندما لم يقنع ابليس	ابلیس کو نه بوقانع
وعارض امر الله	ژئهمری خودی بو مانع
لعنه الملك الصانع	لهعنهت لی کر شاهئی صانع

استعجاله في رفض امر المولى	تھو بو مهنعا عهجول
وقف امامه عقبة	فهрман نهکر تھو قهبول
فاسقطه عن مرتبته	ژمهريتهبی گهريا عهزول

عندما رفض الشيطان السجود	شیطان کونهبر سجود
امر الرب الودود	فرمان کر شاهئی وهدود
بان ((اخرج يا منبوذ))	خارج ببه یا مردود

اخرج من الجنة	خارج ببه ژ جهنهتی
من السماء أو من الرفعة	یان ژ عسمان یان ژ رفعهتی

تُف رهنكه مهرجه عا آيه تيْ

كذا كان قصد الآية

لازمه لسهر عه بيذا

قبول بكه نئه مرئ سه بيذا

دانه بن ژ زمرة يا مهريدا

واجب على العباد
ان يطيعوا أمر خالقهم
كي لا يصبحوا في زمرة المنبوذين

تُز لهو ده كه م قئ قصة تيْ

هه ركه س گوه بده تيْ

بخو بگريت عبيره تيْ

قصدي من هذه الرواية
كل من يسمعها
ان يعتبر بها

نه فسائه مارة بالسوء

هندي مهلهت بدهن له دو

تهوبه ناكهت زوبه زو

النفس أمارة بالسوء
كلما فسحت الطريق لها
تعذر عليها ان تتوب

زو به رابه ژقئ نه ومئ

ژنه فسا خو بكه له ومئ

ژخالقي بكه شه رمئ

عجل اصح من نومك
وأنب نفسك
واخجل من الخالق

ژخالقي بتئي

بترسه ژ مرئي

تهرك بكه قئ دئي

من الخالق وحده
فلتكن خائفا من الموت
أهجر الدنيا

تهرك بكه دونيائ

بترسه ژ لقائئ

بهري خوبده فه نائ

أترك متاع الدنيا
وأخش ساعة اللقاء
وواجه الفناء

توبهس ببه مه غروره سهفه راته زورا دوره مه نزلاته قه بری کوره	کفاک تکبیراً و غروراً فالسفر طویل جداً ومنزلک للحد العمیق
***	***
مه نزلاته قه بری تنگه توبزانه نهو جی رهنگه بی هوارو بی دهنگه	منزلک القبر الضیق فکر بأیه صورة ستکون حيث لاجدوی من استغاثة أو نجدة
***	***
بی دهنگوبی هواره چار کنار لی دیواره تهژی دوپشکو ماره	لا نداء ولا نجدة ترجی أطرافه الاربعة جدران صماء تملؤه العقارب والحیات
***	***
گافا ته مام قه شاری دی هیته سه ری ته هشیاری دی نازل بن قاصدیت باری	ما ان توار اللحد حتى يعود الى الذهن شعوره ويهبط اليك رسل الباري
***	***
گافا ته تینه شو هو دی دی ته راکه ن حال قعودی سؤال دکهن ژته مه قصودی	عند الاستجواب وانت جالس ستسأل عن القصد والحال
***	***
چی مه قسو دی نهو دی قه سدکه ن ماهو مقصودهم منك سؤالا خالقی نه حه دکهن ههم پرسا نه بی نه حمه دکهن	سیسألونک عن الله الاحد وعن النبی أحمد ایضا
***	***
نه گهر جهواب نه بیت سه دیده گوزرا وان بییم حه دیده	لان لم یکن جوابک سدیداً فستنال منك رماهم الفولاذية

وسيقطعون جسمك اوصالا	قالب دكهت قهديده

أقول- ان رماحهم العظيمة جداً لو مست الجبال مرة واحدة لتساعد التراب والغبار منها	گوزرا وان بيم زور کوباره گهر له جيا يا بدهن يك جاره ديکهن توز وغوباره

سيبقى كذلك بائساً ولن يجد سعادة قط وعلى فراشه الملهب ناراً	ئهو دى مينيت بوى عهيشى قهد نامينيت چى خوشى ژفراشا آته شى

حيث النار اللاهبة ويزمجر الملائكة داخل القبر حتى تدخل الاضلاع بعضها في بعض	چه آتەش و هەم گۆرى مەلەکی وى له قەبرى خورى هەتا تەنیشت تیک پەرى

المتوفى الذى سدت بوجهه جميع المنافذ لايقوى على الخروج. انه اعمى ابكم	ئهو مهيت وهى بى مهفهر تاقت ناکەت بێتەدەر دى لنيک مينيت کورۆ کەر

ها أنا ذا أشرح أسماءهم أحدهم (منكر) والآخر (نكير) وثم (المبشر) و ثم (البشير)	ناقیّت وان بینم به تەفسیر یک مۆنکیره یک نهکبر یان مبشره هەم به شیر

هم أربعة بالاسماء لكن المسمى جسمان كذلك الاموات فهما قسمان	جملهی وان چار اسمەن مسه مایی وان دو جسمەن تیکدا اموات دو قسمەن

ئەو مەلەکیئەت صاحب کەرب عندما يتولى هؤلاء الملائكة
گافا لمەیتی دەن ضە رب الغاضبون ضرب الخاطيء
هەوار دى چیتە مەشرق ومەغرب ينشر صياحهم شرقاً وغرباً

دى گولئى بيت دەنگاوان وصوتهم يسمع
خە لقئى عرد وعاسمانان في الأرض والسماوات
غەيرى جن وانسانان ناهيك بالانس والجن

گەر لگوھى وان بەدەت اذا ماسمعوا ذلك الصياح
دى بيتە ترسو هەيبەت فسيركبهم الخوف والهلع
ايمان دى بيت بى منەت ويدخلون فى دين الله دون تردد

گافا مەلەك لئى دخۆرى عندما يزمر الملاك
كافر دى لجهوابئى حەيرى يحتار الكافر فى الجواب
دى ها ها لا أدرى ويتلعثم ويقول ((هاها لا ادري))

ئەگەر جەواب سەدید بیت وعندما يكون الجواب صحيحاً
ئەزمان دى لى فەصیح بیت يصبح اللسان فصيحاً
حالى وى دى مەلیح بیت ويتبدل الحال الى الافضل

جەوابا دروست دى ئەو بى والجواب الصائب هو أن يقول
بیژیت الله رهبي الله ربي
ومحمد نبیي ومحمد نبیي

وَأَنْ الْإِسْلَامَ دِينِي وَالْإِسْلَامَ دِينِي
وَالْقُرْآنَ أَمَامِي وَالْقُرْآنَ أَمَامِي
وَالْكَعْبَةَ قِبْلَتِي وَالْكَعْبَةَ قِبْلَتِي

وَالْمُؤْمِنُونَ أَخَوَانِي وَالْمُؤْمِنُونَ أَخَوَانِي
وَالْمُؤْمِنَاتُ أَخَوَانِي وَالْمُؤْمِنَاتُ أَخَوَانِي
وَأَبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ أَبِي وَأَبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ أَبِي

كَأَنَّا تَهَامَمُ بِهِ جَهْوَابُ كَأَنَّا تَهَامَمُ بِهِ جَهْوَابُ
ثَغْيِي دِي هَيْتِ خَطَابُ ثَغْيِي دِي هَيْتِ خَطَابُ
عَهْدِي مِنْ كُوتِ يَاصَهِ وَابُ عَهْدِي مِنْ كُوتِ يَاصَهِ وَابُ

عَبْدِي قَالَ الْحَقُّ عَهْدِي مِنْ كُوتِ يَاحَاقِي
فَأَفْرَشُوا لَهُ فَرَاشاً مِنْ اسْتَبْرَقِ بُو رَابِيخِي فَرَاشَ وَاسْتَهَبْرَقِي
مَعَ السَّنْدَسِ وَالنَّمْرِقِ دُكْهَلُ سَنْدَسٍ وَبَالُ بَهَبَقِي

وَلِحَسَنِ الطَّالِعِ وَالسَّعْدِ ثَيِّمْنَا طَالِعَ وَفَهْلَهْكَ
يَأْتِي خَطَابُ لِلْمَلَائِكَةِ خَطَابُ دِي هَيْتِ بَوْمَهْلَهْكَ
أَفْسَحُوا لِعَبْدِي وَافْتَحُوا لَهُ النُّوَافِذَ بُوْعَهْبَدِي مِنْ قَهْكَهْنِ كَوْلَهْكَ

أَفْتَحُوا لَهُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ كَوْلَهْكَ قَهْكَهْنِ دَجَهْنَهْتِي
مَرْحَباً بِشَمِ الرَّحْمَةِ خَوْشَ بَيْتِ بَيْنَا رَحْمَهْتِي
حَيْثُ الْمَرْءُ لَا يَعْأَنِي أَوْ يَقَاسِي دَا نَهَبِينِيتِنِ زَحْمَهْتِي

بَعْدَ نَهَايَةِ الْمَقَالِ پَاشَ كُو بَرِيَانَهْ مَهْ قَالِ
يَنْقَلِبُ الْحُزْنَ إِلَى سُرُورِ لَبُوْعَهْبَدِي خَوْشَ بُوْحَالِ

ويقصد العبد أهله ***	ئەو دى كەتن قەصدا مال
لكن الملائكة يقولون له لاتفعل ذلك ابداً لاتذهب الى بيتك واهلك ***	دى بىيئە وى مەلەكە عەبدو تو وەنەكە قە صدا مالا خونەكە
فقيرك سيكون عامراً على مدى البصر نم كما لو كنت فى ليلة زفاف ***	قەبرى تەدى بيت آقا مىقدارى ديتنا چاقا بنقه وەكو بوكو زاقا
ليس هذا النظم بالنظم الجديد انه من قبيل الوعد والوعيد اقتداء بكلام الله المجيد ***	ئەف نەظمە نەظما جديده شو بهت وەعدو وەعيده اقتدا بكەلامى مەجيده
ان كان فيها عيوب فأملني من اصدقائي واخواني ان لا يذكرها بسوء ***	ئەگەر عەيبەك تیدا بى كەس يارو برا بى ذکر نەكەت بخرابى
وان كان نظمها سيئاً وفيها ما يستوجب النقد فقل أنت الصواب ***	ئەگەر چەنديش خراب بى حەقى وى عىتاب بى تو بىيژە صە وابى
اذا كان النظم سقيماً اذا كان الناظر اليه حليماً فانه سيسلم من الطعن ***	نەظم جەندا سەقيم بى ناظر ئەگەر حەليم بى دى ژ طە عنى سەليم بى

نهظم نهگهر برهواج بى
ناظر نهگهر به لجاج بى
بى شك نهو دى هراج بى
أما اذا كان حسنا ورائجاً
فانه لاشك سيفقد قيمته
اذا كان الناظر فيه ذا لجاجة

ژهيجره تى دهم خهبر
سالا جارى بوقهدهر
رابرى بو لهفظا عه مفهر
واما قولي عن العام الهجري
فعامنا هذا الجاري
ضمن لفظة عمفر

جارى ببون چهند سنون
ذ هيجره تى رابرى بون
حاؤ را و غه ينو نون
مضت سنون عديدة
على العام الهجري
حاء وراء غين ونون

رهبى تو غافرى
آزابكهى شاعرى
ژعه زابا ئاگرى
الهى انت الغافر
الا اغفر لهذا الشاعر
ونجيه من عذاب النار

رهبى توى راحمى
خه لاص بكهى ناظمى
روژا نه خدا ظالمى
الهى انت الرحيم
انقذ هذا الناظم
عند حساب الظالمين

بحه قى سوره تا قافى
هم سه به بى فى ايفافى
مه خه لاص بكهى ژخه و فى
بحق ((سورة قاف))
وبسبب هذه الاضافة
نجنا ربى من الخوف

رهبى تو شاهى مه تينى
مه خه لاص بكهى ژ له عينى
الهى انت الملك القوي
احمنا بجاهك من ابليس

وهفتی کو آفیتینى عند النزع الاخير

وهفتی نه زعا سهرکه راتى عند سكرات الموت
رهبی توبدهی راحه تی امنحنا یارب راحة
مه خه لاص بکهی ژ زهحه تی وانقذنا من الأيام الاحتضار

أومید هه رهیه عه بدا عبیدك دوما یأملون
ژ لوطف واکراما سهییدا بلطف وكرم المولى
آزا بکهی ژ قهیدا لتحریرنا من قیودنا

أومید ههیه عه بدی غه ریب عبدك الغریب یتفاءل
هیقى کاره به ندی غه ریب عبدك المسکین یرجو
بو رهحه تا رهبی قه ریب رحمة الرب القریب

ناق دی کهم به اعلام ساکشف عن الاسم
به یانو ههم که لام بالبیان و الکلام
(عه بدی) مضاف بال (سه لام) انه (عبد) مضاف الی (سلام)

ئه گهر بییژیت سائل واذا قال سائل
ئه ف اسمه نابیت کامل الاسم لیس بکامل
قهیداوی نابیت داخل ولایدخل القید

مه دفوعه تن ئه و مه سهل هذا المثل مدفوعاً
قه یداوی دی بیت داخل سیدخل هذا الاسم کاملاً
بحکمى مه جازى مرسل بحکم المجاز المرسل

الملحق الثالث: القصيدة الدينية

ذاك الخالدي الزيباري	ئەو خالدى زىبارى
الداعي من الباري	هه‌ڤى ده‌كه‌ت ژبارى
حمايته من النار	آزا بكه‌ى ژنارى

انا خالدي الطريقة	خالديمه بطه ريقه‌ت
زيباري العشيرة	زىباريمه بعه‌شيره‌ت
وقرية بارزان مسقط رأسي	بارزانيمه بمه‌سكه‌ن قه‌ريه‌ت

اللهي اغفر لعبدك الطالح	ره‌بى آزا بكه‌ى عه‌بدى طالح
وأعف عن المريد الصالح	عه‌فو بكه‌ى مريدى صالح
بحرمة نبيك الفاتح	بى حورمه‌تى النبى الفاتح

ملحق صور وخرائط

ملحق صور وخرائط

ملحق صور وخرائط

ملحق صور و خرائط



ملای ملا محمود (شیخ عبد الرحمن)

ملحق صور وخرائط



شيخ عبد السلام البارزاني في الوسط والى يمينه سليمان بك قائم مقام رواندوز
والى يساره كاتبه ملا أحمد إضافة الى مجموعة من قاداته العسكريين

ملحق صور وخرائط



الشيخ عبد السلام مع مسؤول روسي في تفليس 1914

ملحق صور وخرائط



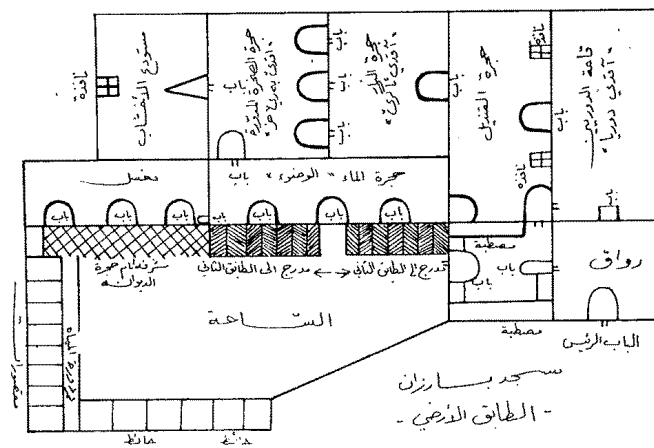
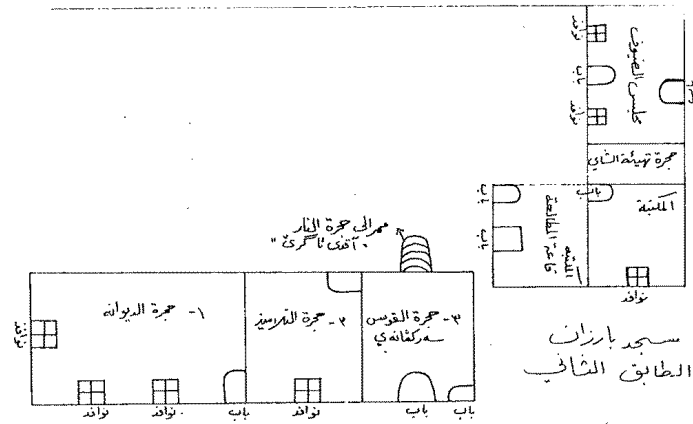
أحمد آغا بیرسیا قی رئیس عشیرة الشیروان اثناء معركة قوربهگ

ملحق صور وخرائط



مظهر خارجي لبناء المسجد القديم في بارزان

ملحق صور وخرائط



ملحق صور وخرائط



حوض الوضوء داخل المسجد القديم في بارزان

ملحق صور وخرائط

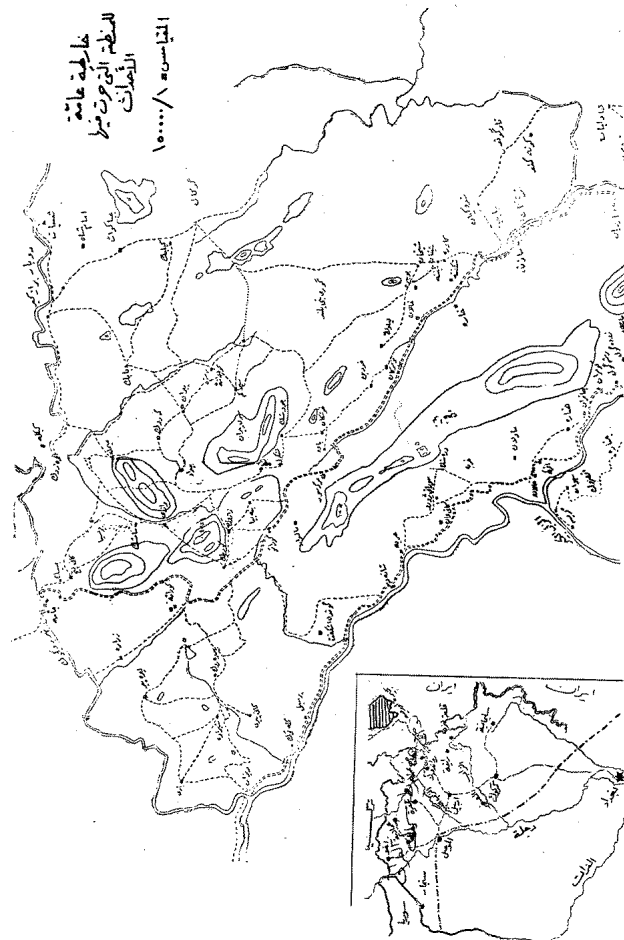


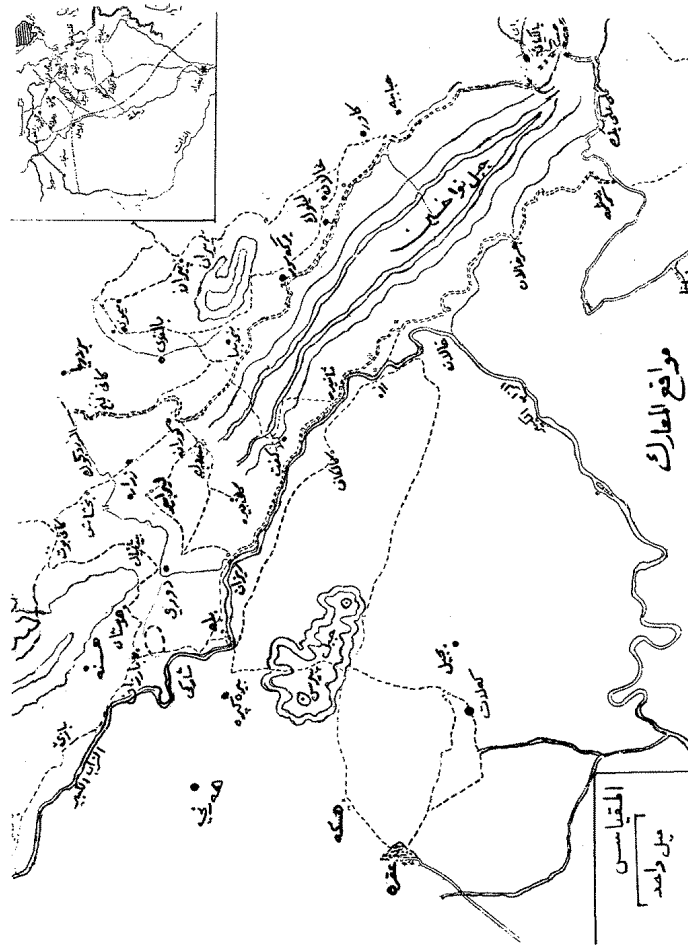
صورة لقرية بارزان بعد ترحيل سكانها نهاية عام 1975

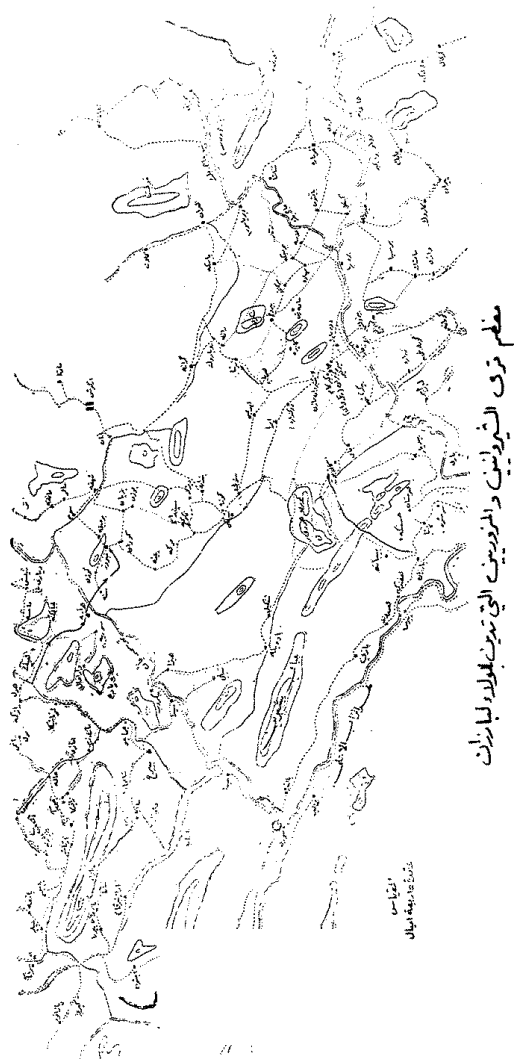
ملحق صور وخرائط



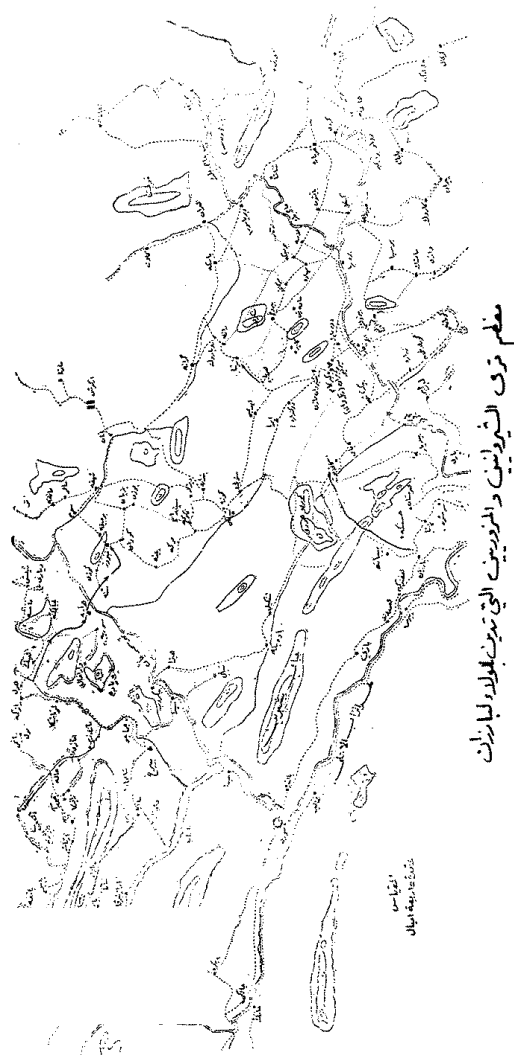
تم اغتيال ناظم باشا من قبل جمعية الاتحاد والترقي في 23 يناير 1913 خلال
الانقلاب العسكري العثماني عام 1913. وانتقاما له قام أحد أقاربه باغتيال الصدر
الأعظم المدعوم من الجمعية ، محمود شوكت باشا في 11 يونيو 1913.

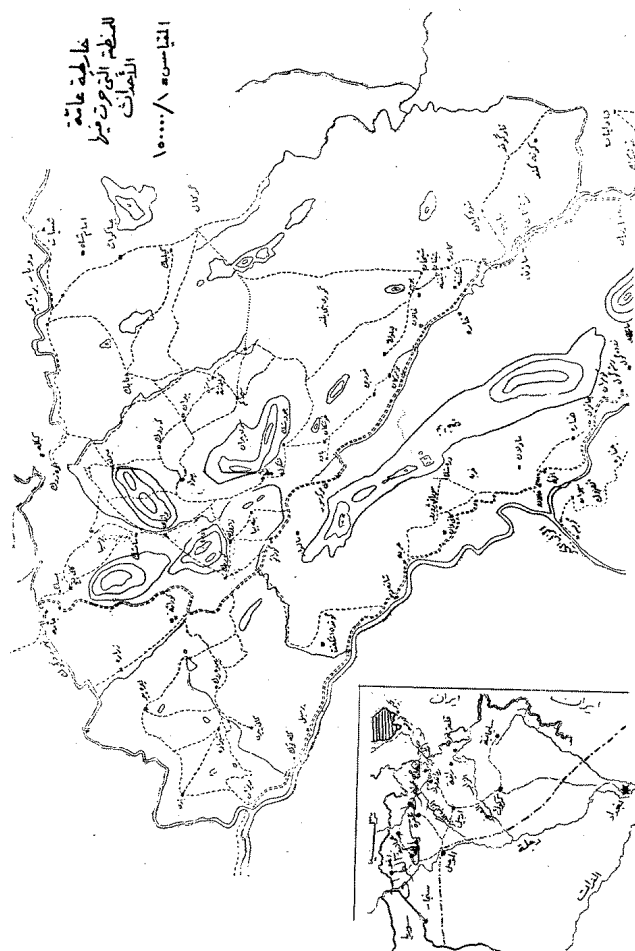






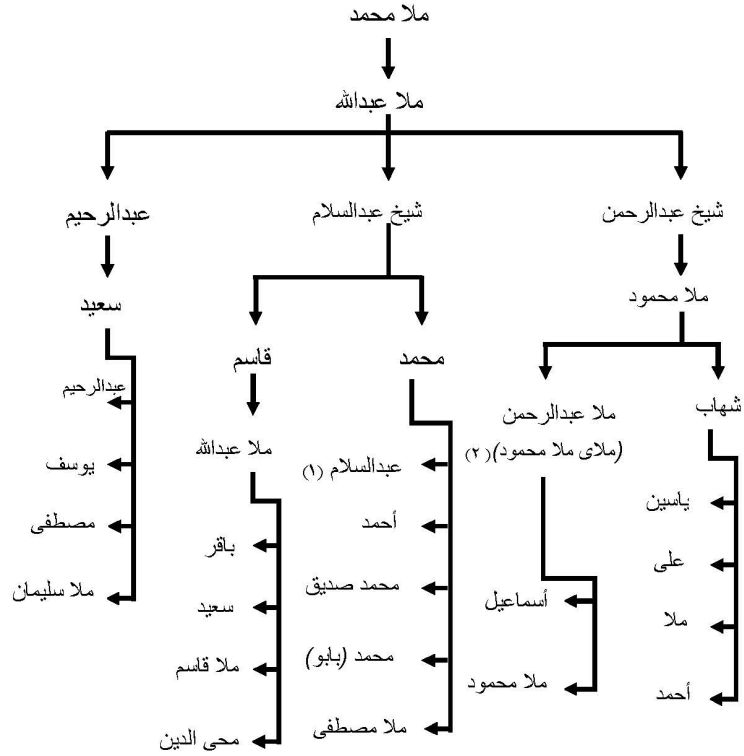
ملحق صور وخرائط





ملحق صور وخرائط

شجرة العائلة البارزانية

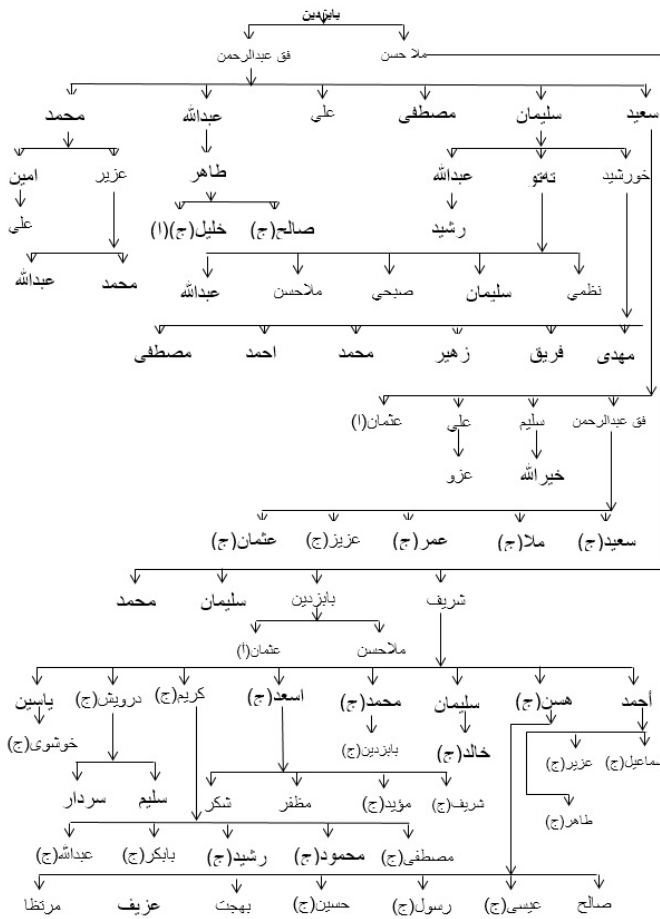


١- أعدمه الترك عام ١٩١٤ في الموصل إثر الانتفاضات التي قادها.

٢- اغتاله ملا مصطفى و محمد صديق عام ١٩٢٧ في بارزان .

ملحق صور وخرائط

شجرة عائلة فق عبد الرحمن قائد الشيخ الذائع الصيت



حرف (ج) على إسم الإسم يشير إلى التعرض صاحبه إلى حملة الإبادة الجماعية (جيتوسايد) عام 1983 في قوشته به

ملحق صور وخرائط

BARZAN
AND THE AWAKENING OF THE KURDISH
NATIONAL MOVEMENT

1826 — 1914

AYOUB BABO BARZANI